



المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث والتسعين

١ نوفمبر سنة ١٩٣٨

٩ رمضان سنة ١٣٥٧

حصاد الصيف

في حقول العلم

١ - رؤية ما لا يرى

مجهر جديد عجيب يفتح آفاقاً علمية واسعة

ما أكثر الاجسام الدقيقة التي يمتلئ العالم ان يراها ! الذرة والجزيء وكيف تتركب الذرات جزيئات وكيف تنظم الذرات والجزيئات بلورات ، وما شكل « الفيروس » الذي تسبب اليه امراض لا يعلم لها سبب ظاهر او جرثومة ترى ، والمورثات genes المنتظمة حيبيات في سبجات الصبغات Chromosomes وكيف يطرأ عليها التحوّل العضوي فتحدث التغيرات في الصفات الوراثية ؟ هذا قليل من كثير يمتلئ العلماء ان يروه بأم العين ، لعلمهم ينفذون من رؤيته الى فهم بعض هذه الاسرار التي تحيط بنا في المادة والحياة ، وحجباها لا يزداد الا عمقا وكثافة كلما أعضا في البحث والتفقيب

كان الرأي ان تكبير الدقائق لا يمكن ان يتعدى حدوداً معينة . أثبت ذلك علماء الرياضة كما أثبتوا ان الامواج اللاسلكية لا يمكن ان تدور حول الارض لأنها اذا كانت مشتقة من معدن امواج الضوء الكهروطيسية ، فلن تلبث حتى تنطلق في الفضاء في خط تماس لكرة الارض

الآن ان القول باستحالة شيء حافز للعالم المطبوع . وكذلك أثبت مركوني على الرغم من أقوال العلماء بالتجربة البسيطة الحاسمة التي جرّبها في شهر ديسمبر من سنة ١٩٠١ خطأ العلماء إذ أطلق الاشارات اللاسلكية من جنوب نكلترا وتلقاها فعلاً في جزيرة نيوفونلند . وكذلك تمكن الآن الدكتور غراتون أحد اساتذة جامعة هارفرد ، من ان يصنع مجهرًا يكبر قطر الجسم الدقيق ستة آلاف ضعف بدلاً من يقف التكبير عند حدّ عينه العلماء وهو ١٥٠٠ ضعف

فقد ذهب الدكتور ارنست آيه Abbé خبير المجاهر المشهور في محلات زيس Zeiss المختصة بصنع الآلات البصرية ان تكبير قطر الجسم الدقيق بالمكسركوب ١٥٠٠ قطر هو الحدّ الاعلى للتكبير الآن . أما الدكتور غراتون فقد تمكن من تكبيره ستة آلاف ضعف ويرى ان ليس هناك حدّ نظري للتكبير اذا استطاع الانسان الصّنع ان يتقن الاجهزة اللازمة لذلك . وليدرك القارئ معنى هذا التكبير فليضرب له مثلاً بصورة سلبية صورت بمصورة ضوئية صغيرة . طول هذه الصورة بوصة ونصف بوصة وعرضها بوصة واحدة . فبحسب رأي الدكتور آيه يمكن تكبير هذه الصورة تكبيراً يحتفظ بجميع خطوطها جلية غير مشعّنة حتى يصبح طولها ١٨٧ قدماً وعرضها ١٢٥ قدماً . (وهذا بصرف النظر عن العوامل الاخرى الداخلة في الموضوع من حيث صنع فلم هذه مساحته) . ولكنها تكبر بحسب أسلوب الدكتور غراتون حتى يصبح طولها ٧٥٠ قدماً وعرضها ٥٠٠ قدم . فكأنك تكبر طابعاً من طوابع البريد الجوي حتى تغدو مساحته فدانين تقريباً . اما النظرية القديمة فكانت تحتّم انه من المتعذر جعله اكثر من نصف فدان بعد اقصى التكبير اما مجهر الدكتور غراتون فلا يشبه المجهر العادي الذي نراه في مختبرات الاطباء ومعامل السكيات . ذلك ان جهازاً يكبر قطر الجسم ستة آلاف ضعف لا بدّ يكبر كذلك كلّ خدش صغير ناشئ من اضعف الهزّات . ثم ان الهزّة مهما تكن ضعيفة لا بدّ ان تؤثر في الجهاز بتحريك الجسم المرئي فتكبر الحركة ويغدو الجسم الذي كان واضحاً جلياً وهو مشعّث خفي . او ينتقل من مجال النظر الجلي ويحلّ محله جسم آخر لا يعنى به الباحث

ولذلك بُني هذا المجهر العجيب على نمط المراقب الكبيرة بحيث لا يتزّ ولا يريج . وهو قائم على قواعد راسخة من الصلب مفروزة في الارض تعلوها مصطبة من الاسمنت المسلح ، وهذا يجعل المجهر القائم عليها بعيداً عن الاهتزاز والارتجاج الاّ اذا نسفت الارض على مقربة منه بالديناميت او اصابها زلزال

ثم ان التروس التي يضبط بها قرب العدسة الى شريحة المجهر الحاملة للجسم الدقيق او بعدها عنها حتى يرى ذلك الجسم وهو اوضح ما يكون ، لا تدار باليد . بل صنع لها الدكتور غراتون جهازاً يضبطها ضبطاً آلياً بالضغط على زرّ . ولو ان باحثاً اراد ان يضبط العدسة بيديه دون

هذا الجهاز الآلي لاستغرقت سبع دقائق وهو يدير التروس فلا ترتفع العدسة او تنخفض عن الشريحة اكثر من جزء واحد من مائة جزء من البوصة ، اي مقدار سماكة الورقة التي تقرأ عليها هذا الكلام ، وهذه الحركة لا تستغرق اكثر من بضع ثوان اذا اعتمد الباحث على الزر وجهاز الضبط الآلي

وكذلك ترى ان هذا المجهر العجيب يجمع بين الضخامة والدقة . فهو والقاعدة القائم عليها ضخمة كالقاطرة دقيق كالساعة . وهما صفتان لا بدّ منهما لان كل خطأ يكبر ٦٠٠ ضعف فيه وما لا ريب فيه ان صنع هذا المجهر سيكشف عن آفاق جديدة في مختلف العلوم ، لان كشف وسائل جديدة للبحث واتقانها من اهم الاساليب التي تدفع بالعلوم الى الامام . فالمطابق خلق علماً جديداً جمع بين الارض والسماء . ولولا « غرفة ولسن الغامضة » لما شهدنا التقدم العظيم الذي شهدناه في الثلاثين السنة الاخيرة في فهم المادة وتركيبها . وكذلك شأن مجهر جرانون . فقد اثبت جرانون وصحبه ان هذا المجهر على حداثة العهد به سيكون وسيلة جليّة الشأن في الكشف العلمية . وقد بلغ من عناية الحكومة الكندية به ان اوصت حالاً بصنع مجهر على مثاله لكي تستعمله في دراسة معادنها المختلفة وتركيبها البلوري

خذ مثلاً على ذلك حبيبات من الذهب كان من المتعذر رؤيتها وتصويرها قبلاً . فجاء الدكتور جرانون بمجهره وجعل دراستها مكبرة من أسرار الامور . وهذه الدراسة تيسر للباحث في شؤون المعادن والمناجم ان يعرف مبلغ الذهب في عرق ما ولو كانت حبيباته خفية عن الباحث الذي لا يستعين بمجهره . فاذا عرف مقدار الذهب الخفي والظاهر في عرق ما فلا يتعذر على الباحث ان يتدعوا الوسائل لاستنباطه منه . وغني عن البيان انه اذا كان استخراج الذهب يقتضي نفقة اكبر من ثمن الذهب المستخرج فلا مجهر صاحبنا يجدي ولا غيره وكما يفيد المجهر الجديد علماء التعدين يفيد كذلك في الصناعة لانه يمكن الباحثين في الصناعات المختلفة من دراسة الفلزات من ناحية تركيبها البلوري اذ ثبت في العهد الحديث بالاشعة السينية وغيرها ان بين التركيب البلوري وقوة الفلز صلة وثيقة . ولعلمهم ينفذون حينئذ الى فهم ما اغلق عليهم حتى الان مما تصاب به الفلزات من « الاعياء » او « التعب » فترى البناء الشامخ والجسر الموطد ثم لا تلبث ان ترى تصدعاً وانهاراً عجز العلماء عن تفسيرها الا بقولهم ان الفلزات تعب فيضعف تماسك بلوراتها وتهار

ثم ان علماء الطب يرقبون بفارغ الصبر وسيلة تمكنهم من فهم سر « الفيروس » الذي يجتاز اذن مسام المرشحات وهم يسندون الى اصناف متباينة منه امراضاً عجوزاً عن معرفة سبب ظاهر لها او جرثومة تشاهد وتزرع . وقد ذهب الدكتور وندل ستانلي الاميركي حديثاً الى ان

« فيروس » داء التبغ جزئي بروتيني كبير واقع على حدود الحياة والجماد . فهل يكون مجهر غراتون سبيل العلماء الى رؤية هذا الجزئي وفهمه

نعم ان هذا المجهر لا يزال في حالته الحاضرة عاجزاً عن جلو الذرة لبعوثها القاصرة . ولكنه سيصبح ولا ريب فرصاً نادرة للعلماء فاعلمهم ينفذون من طريقه الى فهم الظواهر الكيميائية وذلك لانه يتيح للباحث رؤية اجسام يزيد حجمها مائة ضعف عن حجم الذرة . واذن فالجزيئات البروتينية الكبيرة — من قبيل جزيئات الفيروس على رأي وندل ستانلي — ستكون في متناوله ومن هذا القبيل دراسة البلورات وكيف تبدأ في التكون ثم كيف تمضي في النمو . فالبولورات لها شأن عظيم في علم الكيمياء الحديثة ، لا يتسع المجال الآن للتوسع فيه

يضاف الى ما تقدم ان هذا المجهر سيسدي خدمة عظيمة الى عالم الآثار المتحجرة (Paleontologist) الباحث عن هياكل الحيوانات البائدة في صخور يرجع تاريخها الى ملايين السنين . ومن هذه الحيوانات ما كان دقيقاً الدقة كلها فلا تراه العين ، ولكن وجوده في صخر ما في منطقة ما او انتفاء وجوده فيها قد يكون سبيلاً الى العثور على روعة قومية من النفط في تلك المنطقة او الى التوفير على الباحثين عن النفط عناء البحث ونفقاته . وهذا علاوة على ما يمكن ان يضاف من هذا الطريق من حقائق جديدة تزيدنا معرفة باحوال الارض في العصور المتغلغلة في القدم . أو لعله يكشف لنا في هذه الصخور القديمة أحياء دقيقة ما كنا نعلم انها كانت تعيش على سطح الارض في ذلك الزمان . ومن المتوقع ان يكون لهذا المجهر شأن كبير في تصنيف البكتيريا ، وقد كان الاعتماد حتى الآن في تصنيفها على شكلها . فعمل المجهر الجديد يكشف عن خواص في تركيبها وتطورها تكون أساساً للتصنيف من شكلها الخارجي

٢ — الأشعة السينية في الحيوانات

امتحان المواد الغذائية بها لتبذ المعيب منها

اقصر استعمال الاشعة السينية (X Rays) بعيد كشفها او كاد على الاطباء ، فاستعملت لاستطلاع كسر في العظم أو رصاصة في الجسم أو علة خفية في سن أو ضرر . ثم استعملت أيضاً لمعالجة بعض النواحي السرطانية

الآن ان كشفها رتجن أدرك عند كشفها انها قد تستعمل في الصناعة فوصف في رسالته الاولى التي نشرها في سنة ١٨٩٥ بعض الاجسام التي صورها بهذه الاشعة وبينها « قطعة من المعدن نستطيع ان نبين عدم تجانسها بالاشعة السينية » . وقد تحقق ما تنبأ به رتجن قبل أربعين سنة أو تزيد . ودخلت الاشعة السينية ميدان الصناعة فتستعمل الآن في امتحان الاعمدة

والعوارض المصنوعة من الصلب او غيره من الفلزات ليعرف هل فيها شرخ داخلي او موطن ضعف او ثقب حفر خطأ في غير محله ثم ملئ فلا يرى. وبذلك يجتنب اصحاب المصانع الكوارث التي قد تنشأ عن ضعف في بناء الاجهزة التي يصنعونها والمباني والجسور والطائرات التي تدخل الاعمدة والعوارض في صنعها. والخشب يمكن فحصه بها كذلك فتدل فيه على شقوق او عقد او جيوب صمغية خفية او ثقوب تنقرها الحشرات. كل ذلك تبديه عين الاشعة السينية فانه لا يخفى على بصرها الناقد. والحوادث التي تثبت فائدة الاشعة السينية من هذه الناحية كثيرة لا تحصى ثم دخلت هذه الاشعة ميدان الفن. ففي مؤتمر خبراء الفن الذي عقد في رومية سنة ١٩٣٠ تحت رعاية جامعة الالم صرح الدكتور پول جانتز انه كشف بالاشعة السينية صورة نفيسة لمولين تحت صورة سميكة لا قيمة لها. وهذه الوسيلة في امتحان الصور معتمدة الآن مع غيرها من الاساليب الفنية المحضة بين مديري دور الصور المشهورة وكبار المعينين يبيعها وشراؤها. ذلك ان اعلام المصورين القدماء كانوا يستعملون اصباغاً معدنية وهي اكثف من الاصباغ النباتية التي تستعمل الآن فاذا اخذت صورة قديمة ورسم فوقها صورة محدثة او غيرت بعض معالمها اضافة ونحوها كان في الوسخ معرفة ذلك كله بالاشعة السينية

واحدث الميادين التي دخلتها الاشعة السينية هو ميدان حوانيت البدالين او بالحري الشركات المختلفة التي تجهز حوانيت البدالين بالفواكه والخضر والخبز وغيرها

في وسع السيدات والطهاة في أغلب الاحيان ان يتبينوا بلصة او بلمسة او بشمعة هل ما يشترونه من البطاطس والبرتقال واليوسفي والليمون الهندي والتفاح واللحم وغيره من مواد الغذاء سليم من العيوب او لا. ولكن هذه المواد الغذائية وغيرها قد تصاب بعيوب لا تستطيع عين السيدة الناقدة ولا خبرة الطاهي ان تتبينها. وكثيراً ما يؤتى بالليمون اليوسفي الى المائدة فاذا هو في مظهره الخارجي فاخر ريان فاذا قشر ثبت انه جاف يكاد يكون والخشب سواها. وليس بالنادر ان تبتاع السيدة رؤوس بطاطس تبدو قشرتها ملساء غير مشققة فاذا جيء بها الى المطبخ وسلقت ثم قدمت على المائدة وقطعت ظهر ان فيها تجاوير او جيوباً لها طعم كريه. فبقع اللوم على البدال الذي أبتعت منه. ولكنه ليس باللوم ولا التاجر الذي باعه ولا الزارع الذي باع التاجر. لان جميع هؤلاء يرغبون أشد الرغبة في تقديم خير ما يجود به الارض بكفول اطراد العمل والربح

ولذلك خطر للاستاذ هارفي R. B. Harvey أحد علماء جامعة مينسوتا الاميركية ان يستعمل الاشعة السينية في استطلاع طلع المواد الغذائية قبل عرضها للبيع على نحو ما تستعمل في استشفاف ما في الجسم الانساني او في اعمدة الصلب او صور المصورين

عندما يذهب مريض الى طبيب طالباً اليه ان يفحص قناته الهضمية بالاشعة السينية يعطيه الطبيب سائلاً فيه احد مركبات البرموت ليشربه ثم يوقفه أمام لوحة مفلورة (تتألق بوقع الاشعة عليها) ويوجه اليه من جانبيه الاخر الاشعة السينية فتخترق الجسم مستشفة ويبدو الجسم على اللوحة وقد اخترقت الاشعة بعض اجزائه فبدا شفافاً ولم تخترق الاخر فبدا قاتماً. هذه هي القاعدة المتبعة في الشؤون الطبية والصناعية على السواء. فقال الاستاذ هارفي ولماذا لا تجري عليها في فحص البطاطس والبرتقال وغيرها

وبعد ما أجرى تجارب متعددة وضع رسالة علمية بسط فيها طريقته وتناجها وتالها في اجتماعات علمية متعددة حضرها زملاؤه من العلماء، وهو يعلم فائدتها المطبقة. وفعلًا عني أصحاب الشركات المختلفة التي توزع مواد الغذاء بصنع الاجهزة اللازمة لذلك. والاجهزة تختلف شكلاً وتشابه قاعدة. فهي تحتوي على مصباح يولد الاشعة السينية في قلب الجهاز وعلى جانبيه سيران نقالان توضع عليهما المادة التي يرغب في امتحانها. ثم يقف على الجانبين المراقبات وأمام عيونهم اللوحان المفلوران. وتثمر التفاح او رؤوس البطاطس أمام المصباح السيني فتخترق أشعته كل تفاحة، والفيتات يراقبن اللوحة المفلورة فاذا رأت احداهن عليها صورة تفاحة غير سليمة كبست على زر أمامها فتتحرك ذراع تقذف تلك التفاحة الى صندوق تحت السير فتنبذ من المجموعة التي توضع في الصندوق المعد للبيع

وكما يفحص التفاح وغيره يفحص كذلك لحم البط فيعرف موقع رشاش البندقية الذي اصابه بدلاً من ان يترك ذلك لاسنان الآكلين واضراسهم. وليس ما تقدم غير مثل واحد او مثلين على فائدة الاشعة السينية في امتحان المواد الغذائية قبل عرضها في السوق. ولا تكفي صفحة او صفحتان لتعديد نواحي استعمالها في هذا السبيل

والعمل بهذه الاجهزة سريع جداً. فقد يتناول الجهاز الواحد — في شركة فود ماشيزي كوربوريشن بكاليفورنيا — من مائة صندوق الى مائة وخمسين صندوقاً من البرتقال في الساعة الواحدة. او من ١٥٠ صندوقاً الى ٢٠٠ صندوق من الليمون الهندي. وغني عن البيان ان مراقبة الثمار وهي تمر امام جهاز الاشعة السينية عمل يحتاج الى يقظة دائمة وخبرة واسعة اما العبوب التي تصاب بها الفواكه والثمار والخضر فليس اكثرها مكروبياً. فالحيوب او الفجوات في رؤوس البطاطس ترد على الغالب الى سرعة غير عادية في نموها في احوال شاذة من الحرارة والرطوبة. ولكن القشرة تبقى سليمة ملساء فلا يستطيع أحدٌ كائناً من كان ان يبين بالنظر المجرد وجود هذه الفجوات. او قد تصاب بساتين البرتقال بالصقيع فيفتك بجانب كبير من ثماره ولكن بعضه لا يموت وانما يؤثر الصقيع في الاكياس الصغيرة المحتوية على

المصاراة في داخله فتتشقق فيتسرب العصير منها وتتمو الثرة ولكنها تخرج جافة لا عصير فيها وبصاف التفاح والليمون الهندي وغيرها بأفات خاصة تترك الثمر سليماً عادياً في مظهره الخارجي ولكن الاشعة السينية تكشف العيب في داخله

٣ - تأثير الضغط العالي

في خواص المادة

أثبتت المباحث الطبيعية الحديثة ان لا قبل للعالم بفهم المادة فهماً صحيحاً الا اذا عرف تأثير الضغط العالي في ذراتها وجزيئاتها . ذلك ان ٩٩٦٨ في المائة من مادة الارض و ٩٩٧٥ و ٩٩٩ في المائة من مادة الشمس خاضعة لضغط يزيد كثيراً على الف ضغط جوي على البوصة المربعة و يبلغ نحو ١٥ الف جو

وبحوث الضغط ليست بالشيء الجديد في علم الطبيعة . فالأكاديمية الفلورانسية في عهد غاليليو حاولت ان تعرف هل الماء قابل للانضغاط . فاستعمل مجربوها لتلك التجربة إناءً من الرصاص لا يحتمل ان يكون الضغط فيه قد زاد على الف جو . وخرجوا من تلك التجربة بان الماء غير قابل للانضغاط . ثم جرّب كاندون Candon بين سنة ١٧٦٢ و ١٧٦٤ بضع تجارب ليقم الدليل على ان الماء قابل للانضغاط فنجح في ما سعى اليه . ومع ان الماء يوصف بأنه لا يضغط فمن المعروف ان بعض العلماء جرّب تجارب مكنتهم من ضغط الماء حتى نقص حجمه ٥٠ في المائة وقد عني علماء العصر الحديث بدراسة موضوع الضغط وتأثيره في خواص المادة ولكنهم امكنوا من التماهي فيه قبل ان حلّوا مشكلة صنع الاجهزة التي تتحمل الضغوط العالية التي يغونها . وفي مقدمة هؤلاء الباحثين الاستاذ برديجن اساذ الطبيعة في جامعة هارفرد . فقد كتب في مجلة السينتيفك اميركان يقول ان اعلى ضغط تمكن العلماء من إخضاعه لقيود التجربة العلمية في المختبر هو ٥٠ الف ضغط جوي . ووجه الشأن في ذلك ان مادة الارض على عمق مائة ميل تحت سطحها معرضة لمثل هذا الضغط . ولما كان ٩٢٠٥ في المائة في مادة الارض داخل هذه القشرة التي سماكتها مائة ميل ، حيث الضغط اعظم جداً من ٥٠ الف ضغط جوي ، فجهلنا باحوال تلك المادة وخواصها جهل عميق حقاً

فكيف يؤثر الضغط العالي الذي يستطيع العلماء توليده ، في خواص المادة ودراسة تلك الخواص والمادة خاضعة له ؟

هناك درجات من الحرارة تذوب عند بلوغها ضروب المادة المختلفة او تنصهر . والضغط يؤثر في هذه الدرجة Melting Point فيغيرها

في أواخر القرن التاسع عشر ذهب جيمز طمنن شقيق لورد كلفن الى انه اذا كان هناك مادة ما من المواد التي تتمدد عند الانصهار او الذوبان فدرجة الانصهار او الذوبان يجب ان ترتفع بازدياد الضغط. أما اذا كانت من المواد القليلة التي تقلص عند الذوبان او الانصهار — كالماء او الزموت او الغاليوم — فدرجة الذوبان او الانصهار يجب ان تنخفض بازدياد الضغط. وجرب لورد كلفن تجربة استوقفت الانظار لتأييد رأي شقيقه. أما اعترضت كلفن حينئذ صعوبة كبيرة وهي ان ضعف الضغط المتاح له لم يمكنه من تغيير درجة انصهار او ذوبان المواد التي جرب بها تجربته الا تغييراً يسيراً لا يزيد عن جزء من الدرجة. أما الآن وقد غدا في وسع العلماء ان يعرضوا المواد لضغط أعلى جداً من الضغط الذي كان في متناول لورد كلفن في مكننتهم ان يغيروا درجة الانصهار أو الذوبان مئات من الدرجات المئوية. حتى يستطيعوا ان يجعلوا الزئبق ان يتجمد على درجة من الحرارة هي درجة الماء العالي عند ما يعرضونه — أي الزئبق — لضغط ٢٨ ألف جو

أما حالة الماء عند تعريضه لضغط عال فتستوقف النظر خاصة. ما يكون تأثير الضغط فيه اذا مضينا في زيادته زيادة لا حد لها؟ أتتخفص درجة الذوبان انخفاضاً لا حد له الى ان يصيبه تغيير آخر. وهذا الموضوع كان محل نظر وعناية من العلماء بعد اذاعة رأي طمنن وتجربة شقيقه لورد كلفن. الا ان زكن علماء الطبيعة لم يكن كافياً حينئذ ليكنهم من النفوذ الى الحقيقة. وكان عالم يدعى تامان Tammann أول من استعمل ضغطاً قدره ثلاثة آلاف جو في دراسة موضوعات من هذا القبيل. فوجد شيئاً يثير الدهشة. ذلك انه وجد ان درجة ذوبان الجمد توالي الهبوط تحت الضغط المتزايد حتى يبلغ الضغط ٢٢٠٠ جو فتصير ٢٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد وهي درجة أبرد قليلاً من برز مزيج الجمد والملح المستعمل عند عمل المثلجات (دندورمة)

ولكن اذا عرض الجمد لضغط أكبر من ٢٢٠٠ جو وحرارة دون ٢٢ تحت الصفر تهاوت بلوراته ونقص حجمه ٢٠ في المائة وانتظمت جزيئاته في بلورات تختلف عن بلوراته المألوفة. وهذا التحول في نظام بلوراته قد ثبت ثبوتاً لا ريب فيه بواسطة الاشعة السينية التي أصبحت في السنوات الاخيرة وسيلة فعالة لدراسة بناء المادة البلورية. ولا يخفى ان الجمد أقل كثافة من الماء ولذلك فهو يطفو عليه. ولكن اذا عرض الجمد لضغط عال كما قدمنا فان ما يصيبه من نقص الحجم وتحول في تركيبه البلوري يجعله اكثف من الماء السائل. فاذا صح قول جيمز طمنن فهذا الجمد الجديد — الذي يزداد حجمه عند الذوبان وهو على نقيص الجمد العادي الذي ينقص حجمه عند الذوبان — يجب ان ترتفع درجة ذوبانه اذا عرض لضغط عال بدلاً من ان تنقص درجة ذوبانه كالجمد العادي. والتجربة تؤيد هذا القول. الا ان الجمد الجديد يتحول الى

جد من ضرب آخر اذا زاد الضغط الواقع عليه على ٣٥٠٠ جو . وقد وجد العلماء انه يستطيعون ان يصنعوا سبعة اضعاف من الجمد بموالات زيادة الضغط على كل جديد منها ، وآخرها ترتفع درجة ذوبانه الى ١٩٠ درجة مئوية عندما يكون معرّضاً لضغط اربعين الف جو . وهي حرارة كافية على ما تعلم لصهر اللحام

فاذا صحّ هذا على الماء فيجب ان يصحّ كذلك على الزموت والغاليوم وهما عنصران ينقص حجمهما عند الانصهار كالماء العادي عند الذوبان . فهل يتحولان الى صنفين جديدين من الزموت والغاليوم بزيادة الضغط عليهما حتى يصبحا موادّ ترتفع درجة انصهارها بدلاً من ان تنخفض اي هل يطرأ عليهما التحوّل الذي يطرأ على الماء ؟ والجواب بالايجاب ولكن هذا التحوّل فيها لا يتم الاّ بعد تعريض الزموت لضغط قدره ٢٨ الف جو والغاليوم لضغط قدره ١٣ الف جو فيلوح من هذه التجارب ان ما نراه من تمدد الماء عند تجمده ليس الاّ ظاهرة تصحّ ما زال الضغط عادياً فقط . والغالب عند الاستاذ بردجن ان جميع المواد تقلص عند تجمدها اذا كان الضغط على درجة وافية من الارتفاع

قلنا ان رفع درجة الضغط والمضي في رفعها تدريجاً افضت الى صنع سبعة اصناف من الجمد وما يصحّ على الماء يصحّ على مواد كثيرة . فالزموت له اربعة اصناف والغاليوم ثلاثة والكافور تسعة ولا يبعد ان تكون احد عشر صنفاً

هذا التحوّل لا بدّ من حدوثه في المواد التي في قلب الارض حيث درجات الحرارة والضغط عالية جداً ولا بدّ ان يكون لها خواص غير الخواص التي نسندها اليها على سطح الارض وهي في حالتها المألوفة . وهذا يعني اتنا لا نستطيع ان نتكهن بأحوال المادة في قلب الارض الاّ بعد دراسة وافية للعادة وهي معرضة لدرجات عالية من الضغط والحرارة على سطح الارض وكيف تتحوّل هذه التحوّلات في المادة وهي معرضة للضغط العالي تزول عند رفع الضغط عنها وترتد المادة الى أصلها . ولكن العلماء وجدوا مادة واحدة يحدث الضغط العالي فيها تحولاً دائماً وتلك المادة هي الفسفور الابيض . فالفسفور الابيض كما يعلم القارئ مادة غير مستقرة تلتهب من ذاتها عند تعريضها للهواء ولكنها تتحول تحولاً دائماً بعد تعريضها للدرجة عالية من الضغط فتصبح سوداء بدلاً من ان تكون بيضاء ثم انها لا تلتهب وتوصل الكهرباء بدلاً من ان تقاومها فتغير من هذا القبيل يذكي الخيال . ذلك بأنّه اذا استطعنا ان نغير الفسفور تغييراً دائماً ونحوّله الى مادة جديدة لها خواص مناقضة لخواصها الاصلية ، أفليس في الوسع تحويل غيره من المواد بتعريضها للضغط العالي فنصنع بذلك مواد جديدة لها خواص مرغوب فيها ؟

ثم كيف يؤثر الضغط في حجم المواد ؟ الغاز على ما نعلم ينعو بسهولة للضغط فتستطيع ان

تنضغط ما يملأ حجرة كبيرة من الهواء في أنبوب عجلة السيارة . أما الماء فقد قلنا في مسهل الكلام أنه قابل للانضغاط وإن كانت كتب الطبيعة تقول أنه ليس كذلك وذلك لان التجارب القديمة الى منتصف القرن الثامن عشر عجزت عن ضغطه بما لديها من الوسائل . ثم هناك الجوامد وهي أقل قابلية للانضغاط من الماء ولكنها تنضغط . فالحديد أقل قابلية للانضغاط من الماء مائة ضعف . ولكن اذا استعمل ضغط قدره ألوف من الأجزاء أمكن ضغط السوائل والجوامد ضغطاً يسهل قياسه . فالسوائل تقل حجماً تحت الضغوط العالية من ٣٠ الى ٤٠ في المائة . وكل سائل لا بد أن يتجمد بزيادة الضغط الذي يوقع عليه وعندئذ يصبح وهو متجمد شأنه شأن المواد الجامدة أصلاً من حيث تأثير الضغط العالي فيها . فالجمد العادي اذا عرض لضغط قدره ٥٠ الف جو نقص حجمه ٤٠ في المائة عن حجم الماء الذي صنع منه أولاً . والفلازات أقل قابلية للضغط من السوائل ولكن التفاوت بينها كبير . فعنصر الكيزيوم مثلاً وهو أشد الفلازات قابلية للضغط أسهل انضغاطاً من الماء وينقص الى ٥٠ في المائة من حجمه الأصلي اذا عرض لضغط ٥٠ الف جو . ثم ان المقاومة لسريان التيار الكهربائي تقل بارتفاع الضغط الذي تمرّض له المواد حتى لقد تتحول المادة غير الموصلة للتيار الى مادة موصلة فالتوربيوم وكبريتور الفضة ليسا موصلين جيدين في الاحوال العادية ولكنهما يصبحان تحت الضغط الشديد وايصالهما للتيار الكهربائي ألوف الاضعاف أقوى مما كان . ومن المواد ما قد تشد مقاومة للتيار بارتفاع الضغط

ومن أغرب ما يروى عن تأثير الضغط العالي خاص باختراق الماء الواح الصلب القاسي والزجاج فقد روى العالم بواتر في مجلة « الطبيعة المطبقة » أنه اذا ارتفع الضغط ارتفاعاً كافياً في الوعاء انخرق الماء سطحاً صقيلاً من الصلب ، او طبقة سماكتها بضعة مليمترات من لوح زجاجي في بضع دقائق . واختراق الكحول والاثير تحت الضغط اقل من اختراق الماء . اما الفليسرين والزيوت فيندر ان يكون لها قدرة على هذا الضرب من الاختراق . وأغرب من هذا أنه اذا رفع الضغط رفعاً فجائياً فخرج الماء الذي كان قد تخلل سطح الصلب تفتت السطح . واذا اخذ قضيب من الزجاج وأحيط بالماء وعرض الماء لضغط كافٍ هنيئاً ثم رفع الضغط فجأة فالزجاج لا يتأثر . ولكن اذا طال الضغط خمس دقائق ثم رفع فجأة فقضيب الزجاج ينقسم حينئذ الى اقراص زجاجية واذا زاد التعرض للضغط الى عشرين دقيقة ورفع فجأة هوى القضيب شظايا زجاجية صغيرة

٤ - صنع فيتامين الحليب والعقم

بالتركيب الكيميائي وامتحان فعله

كان الباحث الاميركي هربرت افانس Evans يبحث في سنة ١٩٢٢ في تناسل الجرذان من حيث علاقته بانوار (هرمونات) الغدد . الا أنه لم يكن كيميائياً وانما كان فسيولوجياً ثم

بالعوامل التي تؤثر في التناسل . وكان غذاء الجرذان احد هذه العوامل . فغذّي جرذانه بغذاء يكثر فيه فيتامين Δ و B فلاحظ هو ومساعدته ان الجرذان تتزاوج وان اناثها تحمل في مواعيدها السوية ولكنها لا تلد بل تسقط حملها . وفي كل حادثة من الحوادث التي شاهدها كان الجنين يموت قبل ميعاد الولادة . وعجز الفيتامينان اللذان تقدّم ذكرهما عن منع هذه الحالة الشاذة فشرعنا يبحثان عن مواد غذائية تحتوي على عنصر غذائي مجهول من شأنه ان يساعد على الحمل والولادة السويين . فوجدنا ان ورق الخس فعّال وكذلك جنين حبة الحنطة بل وجدنا انها اذا استقطرا زيتاً من اجنة الحنطة واطافا منه مقادير بسيرة جداً الى غذاء هذه الجرذان تمكنت الاناث من حمل الجنين مدة الحمل السوية ثم من ولادته حياً سليماً . فلما استوثق افانس من ان نقص هذا العامل الغذائي المجهول يفضي الى عقم ذكور الجرذان والى موت الانثى في ارحام الاناث اذاع انه كشف فيتاميناً جديداً وسمّاه بالحرف X ثم وسمّاه آخر بالحرف D بعد ان حقق النتائج التي توصل اليها افانس

وقد طبق كشف افانس على البقر اولاً ثم على النساء فأسفر التطبيق عن نجاح يفوق ما كان متوقفاً له . ذلك ان افانس لم يزعم شأن الباحث العلمي الحذر ان ما يصح على الجرذان يصح على البشر . ولكن الدكتور فوخت مولر الطبيب بمستشفى اورانس ببلاد الدنمارك عالج طائفة من البقر كان مشهوراً عنها اسقاطها اجنتها فأضاف الى غذائها مواد تحتوي على فيتامين D فنجحت تجربته نجاحاً كبيراً . وفي ٢٥ يوليو سنة ١٩٣١ اذاع عن طريق مجلة « اللانست » الطبية نتائج هذا الاسلوب من العلاج في النساء المجهضات . ففي الحادثة الاولى كانت المرأة في الرابعة والعشرين من عمرها وكانت قد حملت اربع مرات واسقطت الجنين في كل منها فناولها الزيت المستخرج من اجنة الحنطة عن طريق الفم . فكان حملها التالي سويّاً وولدت في الميعاد السوي طفلاً سليماً . وفي الحادثة الثانية كانت المرأة في التاسعة والعشرين من عمرها وكانت بعد وليدها الاول قد حملت اربع مرات واسقطت الجنين في كل منها فأعطيت مقدار ملعقتي شاي من زيت اجنة الحنطة فكانت النتيجة كنتيجة الحادثة الاولى . ومع ذلك اذاع افانس بياناً في سنة ١٩٣٥ حذر فيه من عواقب استعمال هذا الفيتامين اطلاقاً لشفاء العقم لان العقم قد ينشأ عن اسباب متعددة هذا موحز ما يعرف عن تاريخ هذا الفيتامين . ولكن مجلة العلم الاسبوعية الاميركية اذاعت في عددها الصادر في ٨ يوليو الماضي ان هذا الفيتامين قد صنع بالتركيب الكيماوي في المعمل وعرفت عناصره وانتظام ذراتها في جزيئاته ، وهو مسحوق ابيض يدعى « الفا توكوفيرول » α Tocopherol وضع في غذاء اناث الجرذان البيض بعد ان ثبت عقمها فحملت وولدت سويّاً . وقد اشترك سبعة من العلماء الاميركيين في هذا العمل فاختص فريق منهم بناحية تركيبه

الكيمياوي، وفريق آخر بالناحية الحيوية من جهة اجراء التجارب على الجرذان ومراقبتها واستخلاص النتائج منها. وهناك مركب آخر يدعى «دوروهيدروكينون» durohydroquinone يقال انه اذا استعملت مقادير كبيرة منه كان له فعل شبيه بفعل فيتامين E والظاهر ان السابق الى تركيب مادة «الفا توكوفيرول» وهي وفيتامين E سوائها، هو العالم السويسري الدكتور كارر Karrer ومساعدوه فريتش ورنجيه وسالومون، ثم تلاهم العلماء الاميركيون فركبوه وامتحنوا فعله في الجرذان

٥ — شجرة الصابون^(١)

قرأنا في السينفك اميركان وصفاً مسهباً لشجرة الصابون. فقد جاء فيها ان المستر كذرفنصل اميركا في الجزائر وصف هذه الشجرة في تقريره فقال ان اصلها من بلاد الصين وهي جملة المنظر وبلغ ارتفاعها خمسين قدماً وتبتدىء تحمل ثمرأ حينما يصير عمرها ست سنوات. وخبثها محشوك الدقائق يصقل جيداً ويصلح لعمل الاثاث. وتبلغ غلة الشجرة البالغة ٢٠٠ رطل (ليبرة) من الاثمار تباع بمجنيهين الى اربعة جنيهات وفي كل ثمرة بذرة حولها قشر والمادة الصابونية في القشر وهي من ٣٠ الى ٤٠ في المائة منه. ويقطع القشر ويفرك بالماء فيرغي كالصابون تماماً وينظف مثل الصابون الجيد بل لا يوجد صابون صناعي اجود من هذا الصابون الطبيعي او يقاربه في جودته ولا سماً لغسل اليدين والوجه. ويمكن سحق القشور وعمل اقراص من مسحوقها فتستعمل كألواح الصابون تماماً ويمكن نقعها بالماء واستعمال نقاعها لغسل الشعر. وكيفما استعملت فهي أجود من الصابون وأرخص

وفي البصرة نواة فيها زيت أجود من زيت الزيتون من كل وجه سوائها استعمل في الطعام او في الصناعة. ومقدار الزيت فيها كثير جداً اكثر مما في حبوب الزيتون. واذا كثر البذر حتى صار يمكن استخدام الآلات لعصر الزيت منه صار ثمنه رخيصاً أرخص من زيت بذر القطن وطعمه نيكاً أطيب من طعم اي زيت آخر. ويبقى من البذر كسب يأكله الفراخ والمواشي وهو علف جيد جداً لها. وورق الشجرة علف للمواشي لامثيل له. ويمكن استعمال الثمر دواء في منع فيضان الاعاب والصرع. ويستعمل أيضاً منقأ ويقال ان بزره اذا سحق وجبل بالماء أوقف نوبات الصرع. ويوصف رب الثمر دواء للمصابين بالمرض الاخضر او فقر الدم. انتهى

هذا ويلقى بالجمعية الزراعية الحديوية (الملكية الآن) ان تجلب بذور هذه الشجرة من بلاد الجزائر وتزرعها في القطر المصري لأنها اذا كانت لها جميع هذه الخواص ووافقها هواة الفطر المصري وتربته كانت من أكبر النعم من حيث صابونها وزيتها وخبثها

تيسير قواعد

النحو والصرف والبلاغة

خلاصة تقرير اللجنة

لا شك أن اللغة العربية من أصعب اللغات تعلمًا وتعليمًا . ونحوها وصرفها مليتان بالخلافات الكثيرة التي تجعل دراسة اللغة أمراً إداً . وقد شكلت في وزارة المعارف لجنة من الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب والاساتذة الاجلاء احمد أمين وعلي الجارم بك ومحمد ابو بكر ابراهيم و ابراهيم مصطفى وعبد المجيد الشافعي لاقتراح مشروع لتبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة ولا ريب ان هذه خطوة من الوزارة تحمد عليها لاننا نرى بعيننا الصعوبة التي يلقاها طلبة المدارس في تعلم اللغة العربية . ونرى أيضاً طغيان العامية على العربية فيما يجري بين الناس من محادثات . حتى لتكاد العامية تكون لساناً قائماً بذاته

وقد اجتمعت اللجنة المذكورة وأصدرت عدة مقترحات ، مهدت لها بمقدمة في ضرورة تعلم اللغة العربية الصحيحة . وفي انتشار العامية حتى في حجر الدراسة . . . وفي كون العامية هي لغة التخاطب في البيت وخارج البيت

ولم تغال اللجنة في حسن الظن بأن تكون العربية الآن لغة البيت والبيئة . وانما رأيت ان يكون من الواجب جعل العربية الصحيحة أداة التعبير والكلام في المدارس . وحتت ان يكون شرح مواد الدراسة بلسان عربي صحيح فالتاريخ والجغرافيا والطبيعة وغيرها تشرح للطلبة بالعربية لا بالعامية كما هو متبع الآن في المدارس

ورى اللجنة ألا يترك لغات الاخرى فرصة تراحم بها اللغة العربية . فأعفت صبية التعليم الابتدائي من دراسة لغة غير العربية حتى اذا اجتمع للتعليم الذوق العربي أمكن بعد ذلك — في مرحلة التعليم الثانوي — ان يدرس اللغة الاجنبية المراد دراستها

وقد لاحظت اللجنة انصراف الطلبة عن القراءة المنتجة ورغبتهم عنها . فهم لا يقرءون الا الكتاب المدرسي المقرر للنجاح ، في الامتحان . . . ولاحظت ايضاً فقر أدبنا الحديث

من كتب مفيدة لطوري الصبا والشباب . واقترحت على الوزارة تشجيع المؤلفين الذين سيكونون طلائع هذا النوع من التأليف او الترجمة

وجمعت اللجنة اسباب صعوبة اللغة العربية في ثلاث مسائل : —

(١) اسراف القدماء من النحاة في فلسفة الافتراض والتعليل

(٢) اسراف في القواعد

(٣) اسراف في التعمق العلمي باعد بين النحو والادب

وحاولت بعد ذلك تخلص النحو من هذه العيوب . فباعدت — في اقتراحاتها — بينه وبين الفلسفة . ولم تجعل للافتراض والتعليل سبيلاً الى دراسة القواعد . وتجنبت التعمق وقاربت بين الاصول والقواعد

ولم تقترح اللجنة حذف دراسة البلاغة كما يريد بعض غلاة المفكرين . وانما اقترحت حذف ما لا صلة له بحياتنا اليوم . وقد كان الاعتدال والاناة وحب هذه اللغة رائد اللجنة ودليلها . فلم تسرف في الانقلاب لعلها بخطورته . وانما ناشدت الوزارة أن تتأني في الاخذ بالاصلاح المقترح وتبيء له اسبابه

وأهم مقترحات اللجنة في النحو والصرف وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديري والمحلي ووجوب إلغاء العلامات الاصلية والفرعية للاعراب . فيقسم الاسم الى ما يظهر عليه الحركات مع مدها وهو الاسماء الخمسة . والى ما يظهر فيه حركتان ضم وفتح وهو الممنوع من الصرف وهكذا وترى اللجنة أن يكون لكل حركة لقب واحد في الاعراب والبناء . بدلاً من ألقاب الاعراب والبناء

وقسمت الجملة الى قسمين أساسيين . اختارت لهما اصطلاح المناطقة : الموضوع والمحمول . وبنت الاعراب على هذا الاساس . فالموضوع هو المحدث عنه في الجملة وهو مضموم دائماً إلا اذا وقع بعد إن واخواتها . والمحمول هو الحديث ويكون اسماً فيضم او ظرفاً فيفتح او فعلاً او جملة او مع حرف من حروف الاضافة . وتجب المطابقة بين الموضوع والمحمول في التأنيث والعدد وعلى هذا النحو يسرت اللجنة الاعراب . وجمعت القواعد الكثيرة في مسألة صغيرة وترى اللجنة الغاء الضمير المستتر جوازاً او وجوباً . فمثل (زيد قام) لا ضمير فيه . وزيد الموضوع والفعل المحمول ، ومثل (الرجال قاموا) الرجال الموضوع والفعل قام هو المحمول . والواو والالف علامة للجمع

هذه هي اهم مقترحات اللجنة لخصناها في هذه الكلمة . وانا لندرجو مخلصين ان يتاح للغة العربية فرصة سعيدة تتخلص فيها من المشكلات النحوية والخلافات الجدلية ، وعوامل الضعف

الكثيرة الطارئة عليها حتى تطابق مقتضيات العصر من غير مبالغة بينها وبين الاصول . وحتى نجا كما نرجو لها . فانتا بمنزلة علينا ان نراها غير ذلك كما قال أحد شعراء المهجر المعاصرين لغة يهون على بذلها ان يروا يوم القيامة قبل يوم مماتها *

بعد الفراغ من تلخيص تقرير اللجنة اطلعنا بطريق المصادفة السعيدة بينما كنا نراجع مجلدات المقتطف على مقال في المجلد التاسع والعشرين مقتطف ابريل سنة ١٩٠٤ لحضرة العالم الفاضل الاستاذ جرجس الخوري المقدسي أحد أساتذة اللغة العربية بجامعة بيروت الاميركية . وعنوان المقال « العربية وتسهيل قواعدها »

ولحضرة الكاتب الفاضل رأيه في تسهيل قواعد العربية نجمله في المسائل الآتية :

(١) يرى حضرته اتحاد ضميري جمع المؤنث والمذكر . فيقال الرجال قاموا والنساء قاموا . من غير حاجة الى استعمال نون النسوة

(٢) ويرى أيضاً حذف باب الممنوع من الصرف . فتجري الكلمات كلها على حال واحدة من التوئين

(٣) ويرى أيضاً حذف الخلافات النحوية في اعراب بعض الكلمات . ولا يرى ضرراً في اعراب (اي) في جميع حالاتها . ولا حاجة الى القول ببنائها متى اضيفت وحذف صدر صلتها

(٤) ويرى رفع الاسم والخبر في جميع الحالات . مهما يختلف عليهما من الافعال الناقصة وان وأخواتها فيقال « محمد قائم » « كان محمد قائم » « ان محمد قائم »

والفرض من مقاله كما يقول هو في كلماته (تسهيل قواعد اللغة حتى لا يجد اولادنا ما يجدونه الآن من العناء في دروسها واضاعة الوقت الثمين على غير جدوى)

وهذا المقال الذي كتب ونشر في المقتطف من اربعة وثلاثين عاماً يدل على رغبة قديمة في اصلاح اللغة العربية وتيسير قواعدها وجعلها سائقة للطلاب . هذه الرغبة التي نادى بها المصلحون أخيراً والتي غنيت بها وزارة المعارف في هذه الايام عناية عملية

واذا كان في مقترحات الاستاذ جرجس المقدسي بعض الخطر على القواعد المقررة في علم النحو ، لان فيها هدماً للاصول . فأن المقال نفسه يدلنا على روح قديمة تميل الى تبسيط اللغة العربية واصلاحها

فهذه الرغبة الجديدة من وزارة المعارف هي في الواقع رغبة جاشت في صدور المصلحين منذ أكثر من ربع قرن . ونرجو لها التوفيق في تنفيذ هذه الامنية . فتيسير العربية هو أجل

ملتقى الشعر

والفلسفة

حول شاعرية المعري وفلسفته

لعلى الرهم

من أصدق كلمات مجل قوله « الرجل العظيم يحشم الدنيا مشقة فهمه » فإن الدنيا قد تنصف العظيم وتجل شأنه وتذيع ذكره وتشر مزايه وفضائله وتقذفه بالورود والازهار وترفع له القباب وتقيم التماثيل وتغمره بآيات التبجيل والتقدير ، وقد تسيء اليه وتقمه وتجازيه شر الجزاء وتعمل به الافاعيل فتعظمه حقه وتنكر عليه فضله وتحصبه بالاحجار او تجرعه السم الذعاف وتصلبه على الاخشاب وجذوع النخل وتمثل به اقبح تمثيل ، ولكنها على الحالين لا تأتلي جهداً بعد مماته في استقصاء اخباره واستئناف النظر في حياته وتدبر أقواله وأفعاله ، وتستعز بما يقع في يدها من آثاره وتحرص عليه الحرص كله ويظل كل جيل يبدأ النظر من جديد في حياته ويرسل رواده ليطفوا في عالمه ويضعوا المصور الجغرافي الذي يعين مواقع الافكار ومواطن الاحساسات، ويصف هؤلاء الرواد عند عودتهم تأثراتهم ويكثرون من الحديث عما رأوه من المشاهد فيحفظ ذلك غيرهم الى معاناة السفر والضرب في المجاهل

وباعت هذه العناية بحياة العطاء التي لا يعورها الفتور والتي لا تفتأ تتجدد مع تراخي الاحقاب وتوالي الاجيال هو ان نفوس العطاء مركبة عالمية متصلة الاسباب بسر الوجود الخفي الذي تنوق الانسانية الى اجتلائه ويستحثها اليه ميل لا يقال ، فلا يقعد بها الطلب مهما تصدتها الحوائل وعرضت لها الشواغل ، وكل جيل يفهم العظم على طريقته ويقدر قيمته بمعياره ، ولكل عصر من العصور طابعه الخاص ومزيته المنفرد بها ، والعصور في ذلك كالافراد لها ملاعبها وطبائعها وطرائق تفكيرها وأساليب معرفتها ، ولكل عصر فكرته البارزة ونزغته المهيمنة على نفوس اهله ، وانما يتأثر العصر من العظيم بمقدار اقترابه من هذه النزعة السائدة ، ولقد كانت جبهة أدباء القرن الثامن عشر وعلى رأسهم فولتير تزدري عبقرية شكسبير وترخص قدرها ،

وكان الشاعر بوب يقول وهو يظن نفسه قد اهتدى الى سر أسرار شكسبير ووقف على الدافع المستغلق الخفي لكتابه رواياته بعد طول البحث والتعمق في النظر « لا بد للانسان ان يطعم » وذلك لقلبة النزعة العقلية على مفكري ذلك العصر عصر الاستنارة وزمان المستنيرين، وكان العالي صاحب اليتيمة يرى ان ملك شعر المتنبي قوله

أزورهم وظلام الليل يشفع لي واثني وبياض الصبح يغري بي

لأنه طابق بين الزيارة والالتناء وظلام الليل وبياض الصبح ، والشفاعة له والاغراء به وكل هذا جميعاً في بيت واحد ؟ فأية معجزة باهرة وقدرة خارقة للعادة ! ولست أحاول ان أستطيل على العالي وأتناوله من وراء مشارف النقد الحديث واشتد في تعنيفه لهذا الرأي الفائل فهو رجل يمثل عصره أحسن تمثيل وله عذره المقبول ، والعالي على فضله وكثرة تواليفه لم يرزق من العبقرية ونفاذ النظر وسلامة الفطرة ما يرفعه قليلاً فوق مستوى عصره الفكري ويصونه عن القوص الى الاعماق في أوهامه وتليساته ، وان للعتبي ألياً سائرة كثيرة أحق بهذه المصانة وأجدر بحسن التقدير من هذا الزخرف المموه والطلاء الكاذب الذي راق العالي . والذي يهرنا في العصر الحاضر من المتنبي جمال أصدق من محسنات البديع ويشرق علينا من ناحيته ضوء لم تبصره عيون السكثريين من النقاد السالفين ومن بينهم العالي

ومن هؤلاء العظماء الذين تفاوت في تقديرهم الاجيال وتشعب الآراء وتجدد الرغبة في دراستهم بتجدد الازمان أبو العلاء المعري ، فاننا في العصر الحاضر نفهمه على أسلوب يغير أسلوب معاصريه في فهمه ونسلك اليه طريقاً يخالف طريقهم وزرى فيه غير رأيهم ، فما كانوا يسمونه منه ويكرهونه من أجله نراه نحن موضعاً للعطف والرحمة والتأمل والتفكير ، وما كانوا ينظرون اليه منه بعين التصغير والتجهيل ننظر نحن اليه منه بعين الاكبار والتبجيل ، وأهل العصور المتأخرة على وجه الاجمال أحسن تقديراً للعطاء لأنهم لا يعبدون العظيم ولا يرجونه بالاحجار ، وانما يعملون على فهمه ولسنا نتخذ العطاء وسيلة لمعرفة عصورهم ومرآة يتمثل فيها اصطفاك النزعات وتباين الآراء في زمانهم فحسب ، بل نستعين بهم على فهم اسرار نفوسنا واستجلاء غواضنا ومعرفة خفايا الكون التي تخف بنا من كل النواحي ، وكأنا نقرب من فهم الكون الكبير غير المحدود بتأمل هذه الافلاك النيرة السابحة في جو التاريخ والاكون الصغيرة المليئة بالاسرار والغرائب والتي ينطوي فيها العالم الاكبر

ومن أغرب غرائب العطاء الجديرة بالنظر والاعتبار والتي قد تظهر لأول وهلة عادية مألوفاً جمعهم بين أشياء مختلفة الاعراق متناقضة كل التناقض ، ومن قبيل ذلك التثام النزعة الفلسفية بالسليقة الشعرية في ابي العلاء ، والتثام النزعة العلمية بالموهبة الفنية في مثل جيتي

وابسن، وذلك لان الفلسفة غير الشعر ، والشعر نقيض الفلسفة ، وكلاهما قائم على استعدادات في النفس متغيرة ، وقل مثل ذلك في الملمكة الفنية والاستعداد العلمي ، فان الفن الذي دأبه ان ينظر الى الاشياء مجتمعة في كليتها غير العلم الذي يعتمد الى التحليل وصنع ألفة الاشياء وجراها في طبيعة الانسان تختلف

وليس ابو العلاء فيلسوفاً من باب التوسع والحجاز أو لانه أخذ بطرف من الفلسفة ، بل هو فيلسوف بالمعنى الشامل الحديث للكلمة الذي يفهم منها امثال الاساتذة وندلباند وهفدج وفوييه وغيرهم من كبار مؤرخي الفلسفة في العصور الحديثة ، وهو يدخل الى حظيرة الفلاسفة بمثل البطاقة التي دخل بها أمثال نيتشه وكارلايل وكولردج وغيرهم من عطاء الكتاب والمؤرخين والشعراء الذين تغلبت عليهم أفكار خاصة ظاهرة المعالم في مناحي تفكيرهم وان لم يقيموا على أساسها مذهباً فلسفياً منتظماً محبوباً الاطراف متجاوب الاقسام مثل مذهب شوبنهاور وهجل وغيرهما من أصحاب الأبنية الفلسفية الضخمة . ولا في العلاء أفكار خاصة مبتكرة عن الآداب والاخلاق وآراء في المرأة والتاريخ والاجتماع والحياة وكلها ظاهرة الحدود مطردة الاحكام لا يني يرددها ترديد العابد تسيبحاته ، ووراء هذه المجموعة من الخواطر المنشورة المنظومة فكرة عامة يفرع اليها ويحف برايتها ، وهذه الفكرة العامة خفاقة في كل ربوعه الفكرية ، ويصح ان نسميها مذهباً فلسفياً وموقفاً خاصاً تجاه الحياة ، ونستطيع ان ننظر الى هذه الطوائف من الخواطر والافكار التي تخرج بها صفحات دواوين أبي العلاء منفصلة عن الصورة الفنية والقوالب الشعرية ، وقد تجاوز المعري منطقة الشاعر الى منطقة الفيلسوف ، فهو من الحين الى الحين يصارع مشكلات الفكر الابدية ويجهاد معضلات الحياة المستعصية بجأش ريبط من غير ونية ولا فتور ، ويحاول ان يفض اغلاقها ويخرج النقاب عن سرها ، وتكاد تشعر بلهفة نفسه وتصلصل جوفه من شدة الظاء الى جرعة من المورد الذي يرد كل المفكرين ظمأى متقلصي الشفاء لا يتقنع لهم غليلاً ولا يشفي لهم نفساً ، ولم تبرد من لوعته المشبوبة في هذا الجهاد الشاق أضاليل الاماني وكواذب الاحلام ، ولم تصرفه عن مطلبه العسير صوارف الحياة ومشاكل العيش ، وهو يحتال في رياضة هذه المشكلات ببراعة فنية مدهشة جديدة بأساندة الفن وأعلام الأدب ، ويكاد يذهلك في شعره التفكير الفلسفي عن الوحي الشعري لولا ما يأتلق خلال أشعاره من بارقات الخيال الملون القوي وما يذفها من حرارة المشاعر الحادة المستيقظة وما يتطاير فيها من تلك الكلمات المجنحة التي لا تثب الا من مقول كبار الشعراء ، ولم يتحدث شاعر من شعراء الحضارة الاسلامية عن سر الوجود وغرائب الحياة والموت ولغز الخلود بلغة تشف عن الاهتمام العظيم مثل أبي العلاء ، ولم يجعلها أحد منهم قطب حياته وكعبة خواطره كما

جعلها أبو العلاء ، فطريقه في الشعر العربي طريق مبتكر لم يسلكه أحد قبله وقليل من طريقه وسار في موحش دروبه بعده ، ولقد صار الحق على يده جمالاً شعرياً قبل ان يصير الجمال حقاً فنياً فهو شاعر تهزه الافكار وتميل بنفسه كل ميل كما تحركه العواطف وتستهو به الخيالات ، وله مكانة محترمة بين الشعراء ومنزله عالية عند الفلاسفة ، وهو من سكان المنطقة الحارة الشعرية وله أيضاً تصور رحيية وضياح فسيحة في المنطقة المنجمدة الفلسفية

وبين الشعر والفلسفة حرب قائمة من قديم الزمان ، وما نود ان تضع هذه الحرب أوزارها ولا أن تنفث غبرتها ، بل يحولنا ان نفخ في نيرانها المستعرة لتسع دائرتها وتظل معقودة القبار الى ما شاء الله ، لو استطعنا الى ذلك سبيلاً ، وقد بدأت هذه الحرب قبل ان يطرد أنطون الشعراء من جمهوريته الخيالية خشية ان يفسدوا عليه انسانه الخيالي ، وأما نود دوام هذه الحروب لانه ليس مما يسر ان يفنى الشعر في الفلسفة فيستحيل صوراً ذهنية قليلة الجدوى ولا ان تندمج الفلسفة في الشعر فيخف وقارها وتحول خيالات لا طائل تحتها ، ويحسن بكليهما ان يعمل في دائرته ويسير في طريقه وان كان هناك مستوى أسمى يلتقيان في أعاليه ويتصالحان ويطلع كل منهما الآخر على نقيس مدخراته وغالي كنوزه ، ولذا ترانا عند ما نقف حيال شاعر كبير نتساءل عن فلسفته وطريقته نقده للحياة ، كما جرت العادة ان يرصع الفيلسوف كتاباته بشواهد مستمدة من الشعر يدعم بها حجته ويرر موقفه ، فالشاعر يقتبس من أنوار الفيلسوف والفيلسوف يخلص من أشعة الشاعر ، وهما لا ينسيان هذا النسب العالي والاخاء الروحي في أشد أوقات الخلاف والعداء

وليست وظيفة الشاعر ان يتناول الحق مباشرة ، وأما وظيفته ان يتناول من الجانب الحسي وينفجحه بالجمال ويمزجه بحياة الانسان وعواطفه وأهوائه ومراغبه ، وليست المكانة الاولى في الشعر لما قاله الشاعر في ذاته وأما لكيفية قوله وأسلوب ادائه ، وهناك جماعة من نقاد الادب يغالون في ذلك فلا يعنهم من الشعر الا الصورة التي عبر بها الشاعر وتقدير نصيبها من الجمال والاتقان الفني ، واست أشك في ان الصورة والتعبير لها في الشعر المكان الاول ، فلقد تؤثر فينا خمرية من خمرات أبي نواس او قطعة من مجونه تأثيراً أبلغ مما يحدثه نظم أعرق الحكم وأقدس الكتب ، ولكننا بعد ان نفرغ من أمر الصورة لا نقف عند هذا الحد بل نتقل الى ما وراء ذلك فلا نمنح لقب الشاعر الكبير الا الشاعر الذي يعبر عن أعرق الحقائق ولبس خفايا القلوب ويطوف بنا في مشارق النفس ومغاورها يرشدنا الى آفاق فكرية فسيحة ويركز أعلامه فوق مطالعها وثنياتها

وليس الشاعر هو الرصاص الوزان الذي يرصف الالفاظ رصفاً وينحت التراكيب ويوقع

التفاعيل ويتخير القوافي الرنانة ، فهذا وزان نظام لا أكثر ولا أقل مهما تسامى أو أسف ، وإنما الشاعر الحق هو من كان بطبيعته أكثر استيعاباً لمؤثرات الكون المحيطة به وبخاصة تلك المؤثرات التي يرتضي تصويرها الفن وهو يجمع الى ذلك موهبة الموسيقية والتغيم والسيطرة على اللغة وتسخيرها في اداء اغراضه والترجمة عما يقوم بنفسه من التأثيرات وما يدور فيها من شتى الخواجا وهو بذلك يستطيع ان يضمن عواطفه ونوازه وخواطره عبارة موسيقية منسجمة ويقولها في شعر متسق جميل ، فهو مثل مزرع خفاق توقع عليه الطبيعة ألحانها وتعزف أناشيدها ، وهو يفتن بحدة مشاعره الى جمال في الطبيعة يغيب عن عيوننا ويسمع منها انغاماً لا تصل الى آذاننا ويروي لنا عن عالم بعيد وان كان جد قريب منا ويحدثنا عن ارض مسحورة هي التي نعيش فيها ونسعى في مناكبها غير عالمين بما فيها من مقان الحسن وروائع الجلال لنبو الشعور وكلاله الحواس

على ان توافر هذه المزايا الشريفة والمواهب العالية لا يكفي لانشاء شاعر كبير يعبر عن روح العصر ويصف شتى جوانب النفس الانسانية وتلتي في نفسه البواعث المختلفة والتيارات المتناوذة ، وإنما هي تكون شاعراً وسطاً يطربنا شعره ولكنه لا يملأ نفوسنا وتتخذ صديقا مسلماً لا استاذاً نستشيد بحكمته ونتمنى لا رائه ، والشاعر الكبير يلزم له مجهود من الطبيعة أكثر من ذلك وعليها ان تجزل له المواهب السنية ولا مفر من ان يزداد الى تلك الحساسية اللطيفة والطبيعة المدودة بالانغام عقل كبير يضئ الظلمات ويكشف الخجآت تشد من قوائمه في أكثر الاحايين ثقافة عالية وعلم وافر ، وأمثال هؤلاء الشعراء قلائل في كل الامم بخيل بهم الزمن وأبو العلاء من هؤلاء النوادير القلائل

ولعل النزعة الفلسفية جارت في ابي العلاء على السليقة الشعرية ، وفي المعركة التي نشبت بين عقله وعواطفه تغلب العقل في كثير من المواقف واستعلى على العاطفة ، وقد دفع ابو العلاء نملاً غالباً لذلك ، ولولا انتهاجه هذه الحطة واسرافه على نفسه فيها اسرافاً أساء الى شاعريته لكان شعره أجري الى مسالك النفس وأشد حوكاً في الطباع ، ولقد اجاب ابو العلاء داعي الفلسفة ولم يلب داعي الشعر لما قطع الاتصال المباشر بينه وبين الحياة والمجتمع وظل في عقر داره يحلل افكاره ويشرح عواطفه ولا يتعرض لحلو التجارب ومرها ولا يعاني مد الحياة وجزرها ، والوقوف على الشاطئ وعدم المغامرة في اللجج والتقلب في ادوار الامل والحياة والارتفاع والهبوط مسلك قد يلائم طبيعة الفلاسفة المتنسكين والعباد الزاهدين ولكنه مفسدة اي مفسدة للشاعر ابن الطبيعة المدلل وصفها الحجب ، وقد غرض هذا المسلك من روعة خيال المعري وشوة

من جمال شعره ، وثأرت شاعريته الاصيله لنفسها من نزعة التجريد والانطلاق وراء الحق الفلسفي فصار أطول الناس مصابرة وأشدهم جلدًا على القراءة لا يستطيع ان يمضي في قراءة صفحات معدودة من اللزوميات دون ان يحمل على نفسه ويعتتها

وحسب ابو العلاء انه قد أطمأ الكذب عن شاعريته لانه تزهمها عن الخيال وحسبها على تقرير الحق العاري من التزيين والطلاء ، وجاراه في ذلك الدكتور طه حسين فقال في ذكرى ابي العلاء عندما عقد الموازنة بين المتنبي وابي العلاء « المتنبي حكيم يتجمل الحكمة ويتكلف الفلسفة وابو العلاء حكيم حقًا وفيلسوف لا يعرف التكلف ولا الانتحال ، وحب المال والتباسه من الملوك والامراء اندفع بالمتنبي الى الكذب والمين وجعل حكمته صنعة وفلسفته شركًا لاصطياد المال ، والاستهانة بامر الدنيا جعلت ابا العلاء شديد الحرص على الصدق عظيم الحذر من انتحال الزور فكانت حكمته صادقة وفلسفته فطرية ، ومن هنا استجاب المتنبي الى الخيال وامتنع ابو العلاء عليه » وواضح من رأي الدكتور ان الخيال شديد العلاقة بالكذب وان ابا العلاء حرص على الصدق فبذ الخيال ، وليس الامر كذلك ، وأرى ان مصدر هذا الوهم هو الخلط بين الحق الفلسفي والحق الفني ، وليس الخيال هو الكذب وانما هو منظار الحقائق وصور خفايا النفس ، وهو عتاد الشاعر وركنه الركين ، واذا كان الشاعر طائرًا فان الخيال جناحه ، وقد يظن ان الخيال كذب وذلك لان الفن نفسه قائم على الكذوبة عريقة النسب في الصدق اذ يخلق عالماً غير العالم ويعمره بالموجودات والاحياء ، والخيال هو عامل الانشاء في بناء هذا العالم وخالق احيائه ومبدع موجوداته ، والفن لا يجاري الواقع ولا يحتذيه لانه يجافيه ويتعمد ان يتلب نظامه ويعكس سنه وانما لانه يحاول ان يكمل نقصه ويسد فجواته ويصفيه ويهذب ، قال شوبنهاور « ان وظيفة الخيال هي أن يتم ما تبغي الطبيعة طلبه فيعجزها » وانما المهم في الخيال ان يقوم على صدق الاحساس ، وقد يصف لنا كاتب من الكتاب جزائر واق الواق او جبل قاف وبلاد بيليت وهو مع ذلك أصدق حديثًا ممن يصف لك مشهداً عادياً معروفًا ، وقد وصف هو مر حرب طروادة وصفاً قد يختلف في ظاهره وتفاصيله عن وصف المؤرخين لها ولكن هو مر يعطيك لباب الحادثة ويطلعك على روحها ويترك القشور ويلقي الحشو . والخيال على نوعين : الخيال المنشئ مثل خيال شكسبير ودانتي وجيتي لانه يجسم الاحساسات ويخلق الشخصيات ، والخيال النافذ مثل خيال كارلايل وريتان ، وهذا النوع من الخيال هو الذي يعين صاحبه على استحضار

طيوف الماضي وتصوير الشخصيات التي طواها الموت ولولا الخيال لحُرمت الإنسانية من أروع طرف الأدب وأنفس مبتكرات الفن ، وأرجح أن الدكتور عدل رأيه في هذا الموضوع بعض التعديل فقد شدد النكير على الأستاذ العقاد لأنه رمى المعري بضعف الخيال في رسالة الغفران وعدها كبيرة من الكبار وذلك في المقال الذي كتبه في نقد كتاب « المطالعات » ، والمتنبى أقوم بحقوق الشاعرية من أبي العلاء وأوفى بعهودها وحكمته فيض الطبع وثمره التجربة ، وهو لا يعتنف الحكمة ولا يسوقها لك كالسواق الحطم ولا يؤديها بطريقة تعليمية جافة أو على أسلوب المتحذلقين وثرثرة المعرفة الذين شغنت غرائهم بالبديهيات ورخص الحكم ومبتذل الامثال ، وإنما يأتي بالحكمة في سياق وصف حادثة أو تصوير موقف باعتبارها جزءاً عضوياً من الوصف وقطعة من الصورة ، وهذا الإراد الفني للحكم حسب مقتضى الحال وفي المناسبات السانحة هو الذي أثبت حكمة المتنبي على كواهل الدهور وطبعها في النفوس وأجراها على عذبات اللسنة

ولقد ظهر جيتي في ألمانيا في عصر نهضة حافلة ، وكان الجو الفكري يعمور بالافكار الفلسفية فعبّ جيتي من الفلسفة ولكن بمقدار صوناً لشاعريته ، وذهاباً بنفسه عن الانغماس في التجريدات ومجافاة عالم الحقائق المعبّنة والواقع الملموس فلم تدبّل شاعريته ولم يهضّ خياله بل ازداد قوة على قوة ، وقد تأثر جيتي بالفيلسوفين اسبنوزا وأفلاطون وهو مدين لهما بالكثير « ولكنه كما يقول الأستاذ ادورد كيرد في مقاله البديع عن « جيتي والفلسفة » ظلّ طول حياته على أهبيه لا يسمح للفلسفة ان تستأثر بنفسه ولا يقبل منها الا ما يماشي نوازعهُ ويلائم طبيعته ، وكان يستثمر نتائجها دون ان يضرب في تيمها أو يأخذ في مسالكها المتنوية اذ كان يعلم ان قوته الركينة قائمة على وحي الخيال الشعري » وقد أرضى جيتي غريزة حب الاستطلاع القوية في العبقرين دون ان يسيء الى شاعريته ففتح أبوابه لتأثيرات مختلفة وشارك في أكثر الحركات الفكرية ولكنه لم يمكنها من اجتياح طبيعته واستئصال غرائزه ، وظلّ متبناً في مهاب رياحها ، وكان يعلم ان الافراط في طلب الحق الفلسفي يطفئ حماسة طلب الحق الفني ، ومن الاستهانة بحقوق الفن ان يسخر الشاعر ملكته لاجل فكره أو ان يقفها للنضج عن عقيدة ، لان الشاعر قنّ قبل كل شيء ، ولا يكون الفن فناً خالصاً الا اذا كان ماله كآ حريته مطلق السيادة في عالمه لا شريك له في ملكه ولا مدافع له عن مكاته ، والدين والفلسفة والأدب كلٌ منهم سيدٌ في عالمه ، والشعر لا يكون شعراً الا اذا كان حرّاً طليقاً غير خاضع لسلطان الدين او للفلسفة او

الآداب ، والاشعار التي تتضمن الوعظ والنصائح وتستغفر الناس للفضيلة وترفعهم عن الرذيلة هي نوع من الوعظ وضرب من التبشير ، وأصحابها الصالحون يحاولون انقاذنا من حائل الشيطان ومهاوي السوء فلم ثواب عند الله وأجر عظيم في مستقر رحمته لحسن المقصد وسلامة النية ، ولكن الفن لا يجازيهم على مجهودهم لأنهم لم يلتمسوا بها وجه الفن ، وأمثال هذه الاشعار شواهد في السلوك ومتون في الاخلاق كما ان ألفية ابن مالك متن في النحو وان كانت منظومة شعراً ، وللفن وجوده الخاص وشخصيته المستقلة ، والفنان الذي يحاول ان يستدرجنا على غرة لسمعنا دروسه الاخلاقية ومحاضراته عن الفضائل والرذائل نسميه واعظاً ، وليست الفنون والآداب منابر للوعظ ولا أندية للتبشير ، ومن العبث ان ينازع الشعراء رجال الوعظ وظيفتهم ويضيقوا عليهم سبلهم . ومن المشاهد ان الكتاب الذين تغلب عليهم نزعة الانتصار لناحية خاصة من نواحي الاخلاق يمسخون الطبيعة البشرية ويشوهون تصويرها ، والفنان الصادق تنأى به طبيعته عن مثل ذلك فلا يغالي في نزعة من النزعات ولا يقتصر لجانب من الجوانب

وتختلف وظيفة الشاعر عن وظيفة الفيلسوف ، فوظيفة الفيلسوف هي ان يتناول بالتحليل التيارات الفكرية الغالبة على جيل من الاجيال والتي تشكل افكار هذا الجيل وتقوم على اساسها ثقافته ومعرفته ، ويقيس أبعادها ويسبر أغوارها ، أما مجال الشعر فهو اظهار الجمال ، ولقد قال كنس الشاعر « ان الجمال حق والحق جمال » ولكن مع ذلك فان التفسير الفلسفي للحياة غير التفسير الشعري ، وقد بسط الفيلسوف النقادة الايطالي بندو كروتشه الفرق بين الفلسفة والشعر في هذه الكلمات القوية « قبل ان يصل الانسان الى درجة تكون الافكار عن الامم كونه افكاراً خيالية ، وقبل ان يفكر تفكيراً واضحاً كان يفهم الاشياء فهماً غائماً مختلطاً ، وقبل ان يتكلم تركب ، ولم ينطق بالنثر الا بعد ان عبر بالشعر ، وقبل ان ينحت الاصطلاحات استعمل المجازات ، فالشعر ليس وسيلة اشرح الفلسفة وأما هو نقيض لها ، فالفلسفة تحرر الذهن من الحواس ، اما الشعر فانه يفرقه في عالم الحواس ، والفلسفة تصل الى الكمال بنسبة تسامياها الى العام ، أما الشعر فيعظم ويكمل بمقدار انحصاره في الخاص ، والفلسفة تضعف الخيال وتكبله والشعر يقويه ويطلقه ، والفلسفة تحذرنا من استحالة العقل الى جسم والشعر يطرأ ان يحسم العقل ، وأحكام الشعر مشتقة من الحواس والحواس ، وأحكام الفلسفة قائمة على التفكير الذي لو تسرب الى الشعر جعله قاتراً ، ولم يعرف في سير التاريخ احد كان شاعراً كبيراً وفيلسوفاً كبيراً معاً » ونستخلص من كلام كروتشه ان الانسان لا يعبد الهين ، وان التفوق في الشعر والنوع في الفلسفة لا يجتمعان في صعيد واحد

وان الانسان صدح بالشعر في بواكير الحياة الاجتماعية وخبر التاريخ قبل ان يتكلم نثراً، ولج في عالم الاحلام وسدر في غلواء الخيالات والاهوام قبل ان يستكثر من الصور المجردة ويميش على الفروض والنظريات، فالخيال جاء قبل المنطق والخرافة سبقت التاريخ والغناء تقدم الكلام والشعر أقدم من النثر، وما زال ذلك يتكرر في حياة الاعم وبشاهد في دروجها من مهد الطفولة وملاعبها وغضارة الفطرة وبساطتها الى شباب الحضارة وكهولتها وتكلفها وتعقيدها، وكل نهضة تبدأ بالشعر ثم تنتقل الى الفلسفة في ابان نضجها وهكذا ينتقل المصباح من يد الشاعر فتتلفه يد الفيلسوف

ولا أجد مثلاً أبلى في شرح رأي كروتشه من الموازنة بين رجلين أحدهما يمثل الشاعرية في آتم معانيها والآخر يمثل الفلسفة في صورة من أكمل صورها، وهما شكسبير وشوبنهاور، فشكسبير يصور لك كل خالجة من خواج النفس ويكسو نزعات الالهواء صورة اللحم والدم، ووظيفته ان يريك الحياة بأجزائها وألوانها، وهو يصور عواطف الحب والبغضاء والانتقام والحسد والغيرة والندم والخوف والجشع والطموح وعدم المبالاة، ويمثل لك حالة الملك الهام والقائد الرهيب والعابد المتنسك والمارق الفاجر والبطل الأبي والمتسول الوضع والجبان النكس والعفيفة الطاهرة والداعرة الفاجرة الى سائر تلك الصور العديدة من الاحياء التي تفتن الطبيعة في اخراجها، أما شوبنهاور فهو يشاهد في الحياة أمثال هذه الصور المعينة ولكن ينفذ من خلالها الى الفكرة العامة المستقررة خلفها ويبني عليها آراءه في الاخلاق ويقيم مذهبه الفلسفي، ويتناول بالتحليل هذه المظاهر ويجردها من أنوارها ويردها في النهاية الى مصدر واحد هو الرغبة في الحياة التي تبدو في صور متعددة

فشكسبير وظيفته ان يمثل ويصور، أما شوبنهاور فطريقته ان يشرح ويفسر وقد تظفر في روايات شكسبير بالحكم العميقة والنظرات النافذة وضروب الفلسفة العالية ولكنها ليست هناك لذاتها وإنما هي جزء من البناء الفني وقطعة من الصورة اقتضتها ضرورة التصوير، وقد نقرأ لشوبنهاور الروائع الادبية والخيالات الشعرية ولكنها ليست واردة في كتاباته لغرض فني وإنما هي هناك مدرجة للتجريد وسلم يرتقي به للفكرة العامة، وموجز القول ان الشاعر هو احساس الانسانية والفيلسوف هو عقلها ولا انسانية بغير احساس او عقل

« وعقل » الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق الا صورة اللحم والدم

ابو العلاء المعري



حديثك عن بحر إذا هاج أربعا
ولكنه البحر الذي لا تهره
وخلجانه در تنصده الضحى
ويقصده الصادي فيلبيه كالندي
سلام على شيخ المعرفة أنه
سلافة شعر في اباريق حكمة
رمته يد الاقدار باليتم والعمى
وغادره الجدرى صبيها مشوها
فما فيه ما يرضي العيون وانما
ترى وجهه كالقفر حر ان مجدبا
فيا لك قفرا لا نرى غير شوكه
ويا لك دنيا بين حين وآخر

تعمدت الاقدار إرهاق احمد
وحاكت له ثوبا قشيبا من الأذى
وأدبت الدنيا بنها فهاها
وما عرفت نفسا اعز ولا نهى
رأت في صباها شيبه فنعجبت
خلود لو أن الشمس تحظى بمنله
فقد يطفى الموت الكواكب تاركا
فأسمعها آيا من الهزء معربا
فذاك لها ثوبا من السخط أقشبا
فتي هاله ان لا يكون المؤدبا
أصح ولا عودا أشد وأصلبا
وشب كدُن شابت فزادت تعجبا
لما جاء في التنجيم عن موتها نبا
على رغمه فوق السماكين كوكبا

ويعجوا جميع القول إلا حقيقة
ليعرب هذا المجديا ولد يعرب
وللشام هذا الارث يا آل جاسق
ولو شاءت الدنيا الى الحق عودة
وحجّ ضريح الشيخ طلاب علمه
كما حجّ طلاب التبرك يثربا
تجوب فجاج الارض شرقاً ومغربا
فأي كريم لا يمجّد يعربا
ألا فليته لبنان وتشمخ الربى
لسارت الى ارض المعرة موكبا

ألا ايها الاعمى البصير الذي رأى
وأبصر بالعقل الخفيات كاشفاً
ولم ير في الاديان إلا حباثلاً
حنانيك إن الالف مرت ولم نزل
توخيت إصلاح ابن آدم غيرة
وحاولت إطفاء الشرور ولم يكن
ومن رام تقويم الطباع التي التوت
فإن الذي فارقت متعصبا
وما خفت في اللاذقية ضجة
فما الناس إلا أثنان ضار مدحج
وإننا لنخشى ان نصاحب ضعفاً
وما عز من يسطو على حق جاره
وما ذل حق في عراق ، لباطل
وليس يفيد الحق في الحرب ربة
وفيم أقتال الناس والموت قصدهم
فلو أنفقوا بعض الذي ينفقونه
قد اختلفوا روحاً وعقلاً وفطرة
لهم مجلس للسلم تمتد فوقه
بفطنته قلب الورى المتقلبا
وراء التي والبر مكرأ ومأربا
يصيد بها الداعي بها التكبسا
نداري من الانسان صلاً وعقربا
وقد كان إصلاح السراحين أقربا
على الشيخ إطفاء البراكين أصعبا
قضى يائساً منها كما عاش متعبا
لقد زاده مر الليالي تعصبا
وما زال ذيتك الصحيح محجبا
ومستضعف لم يسط ناباً ومخلبا
ولما لتأني ان نصاحب ثعلبا
ولو مد بين الارض والشمس لولبا
وكم رب حق قد أذل وخيبا
اذا قل في الكف المهند أو نبا
سبيلغه من هف منهم ومن حبا
على الشر من جهد على الخير ما كبا
كما اختلفوا داراً وديناً ومذهباً
سحائب تقع تجعل النور غيباً

إذا اجتمعوا فيه لترتيب خطبة
وإن أنصفوا شعباً ضعيفاً بقولهم
ولو وصلت أبحاثهم في اجتماعهم
نوقعت الاعزالُ شرّاً مراتباً
رأى نـصفهم بالفعل ظالماً مشعباً
إلى الشيخ وهو الجهم في الضحك أغرباً

فيا من رأى في الدين قيلاً لعقله
فلم ير في الدّماع من حلقاته
فأعلن للناوين لا متبعباً
« أفيقوا أفيقوا يا غواة فأنما
فما عملوا إلاّ بوحى قلوبهم
وآثر أن يحيا ببقية عمره
على أنهم لا مهرب من مجيئهم
عطاشاً إلى ما يسكر النفس حوله
صبا بهم شعراً وعلماً وأنه
يقول لهم عودوا إلى العقل كلما
من أشتار ما كدت له النحلة أعتدى
ومن سرح البرغوث من أسر كفيه
تعاليم احسان وعطف ورأفة
ولكنها ما دام للشر عزّة
وما دام ناب الليث يوليه حرمة

فأعمل فيه مبرداً للنقد مغضباً
وفي قفله الآ حديداً مذهباً
ولا طامعاً ما كان عنهم مغيباً
ديانتكم مكرراً وأحلامكم هباً
فأعرض عنهم مشفقاً متعجباً
سجيناً إذا جاءوا بوأسونه أبى
كما جاء ظانّ ميراً ليشراباً
جياعاً إلى ما يشبع العقل سغباً
خزانة اشعار وعلم لمن صبا
دعيت إلى تصديق ما العقل كذباً
ومن قتل الشاة البريئة أذنباً
أعد له في دولة الفضل منصبا
وليدة فكر نوره قط ما خبا
فتابعها يقضي شقياً معذباً
فأهلاً وسهلاً بالنيوب ومرحباً

سلامٌ أمام العاقلين على حجبي
ألف وراء الألف غضي وذكره
من الشمس يحكي قرصها المنلها
يظل لامثال الخليفة مضرباً

الياس فرحات

برازيل

الهيكل العظمي

يدل على سلالة صاحبه
وجنسه وقامته وعمره

من البواعث على اغتباط كاتب هذه السطور ان أتيح له في رحلات مختلفة الى بلدان أوربا واميركا زيارة دور للآثار القديمة فيها خلاصة ما عثر عليه العلماء والمنقبون من بقايا الحيوانات البائدة في العصور المتغلغلة في القدم . من هذه البقايا عظام او كسر عظام ، أخذها العلماء وبنوا على أساسها هياكل عظمية تامة . منها ما هو خاص بحيوانات مختلفة النوع ومتفاوتة الحجم ومنها ما هو لأناس أو لسلاسلات من الناس قاموا وبادوا في بقاع متباعدة من سطح الارض . وقد تكون العظمة عظمة انفخذ او عظمة العضد او قطعة من عظام الجمجمة او فكاً ، ولكن العلماء المختصين يستطيعون على ما يظهر ان يتبينوا من دراسة هذه العظام اوصافاً دقيقة وحقائق متنوعة عن صاحبها ، فيبنوا على هذه الاوصاف والحقائق صورة كاملة لصاحب العظمة سواءاً حيواناً كان أم انساناً وقد يستطيعون اذا فازوا ببضع عظام ان يعيدوا بناء الهيكل العظمي كاملاً . وكثيراً ما سأل نفسه محيراً كيف يفعلون ذلك ؟

والعلم بآثار الاحياء البائدة جليل الشأن من نواح متعددة . فهو ذو صلة بفهم التطور العضوي في الاحياء ونشوتها . وهو ذو صلة كذلك بدراسة الاحوال الجوية والارضية التي كانت تسود المنطقة التي عاشت فيها تلك الاحياء وما طرأ عليها من تبدل . ولكنه بحث يتصل بالماضي السحيق ، اذا وجد فيه ذهن العاصي متعة وذهن العالم فائدة كبيرة الشأن في استكمال العلوم المتصلة به ، فانه من الصعب ان تستشف له فائدة عملية تتصل بحياتنا اليوم

إلا ان قراء المقتطف اصبحوا يعلمون مما يطالعون في فصوله ، ان البحث العلمي لا يمكن حصره في حدود النظر مهما يكن الموضوع نظرياً ، ولا ان تقسم المباحث العلمية تقسيماً حاسماً

بين النظري والعملي . وهذا يقيننا ويقين كل من تتبع تاريخ العلوم وتقدمها
ولذلك ما زال هذا الكاتب يترقب ان تسفر المباحث العلمية الحديثة عن تطبيق عملي لما يعرفه علماء
الآثار البائدة عن عظام الهيكل الحيواني وما يتبينونه فيها من الصفات وما يستخلصونه من دراستها
من الحقائق . وقد تمّ له ما كان يتوقع عندما قرأ في إحدى المجلات العلمية الاميركية ، عن
تطبيق هذا العلم على البحث الجنائي مما يسهل على رجال البوليس والتحري استكشاف بعض
الجرائم والجنايات الغامضة

فقد حدث في احد الايام ان جماعة من الاطفال كانت تلعب في حفرة قريبة من حدود
قرية كبيرة بأمركا فعثر الاولاد في أثناء لعبهم على مجموعة من العظام ظهر لاولي الامر بعد بحثها أنها
عظام بشرية . فعهد الى عالم أنثروبولوجي — وهو وصف هذا الضرب من العلم — بدراستها
فعمل وبعبء استوفى دراسته وضع أوصافاً دقيقة للانسان الذي كانت هذه العظام عظامه .
قال ان صاحب هذه العظام امرأة خلاسية اي سليله سلالتين مختلفتين وقد كانت في هذه الحالة
زنجية الام بيضاء الاب ، في الثالثة والثلاثين من عمرها طولها خمس اقدام وست بوصات ونصف
بوصة ووزنها ١٢٠ رطلاً . فلما اتصلت هذه الحقائق بدائرة الامن العام تمكن رجالها من
التعرف على سيدة ضاعت ولم يعثر لها على اثر . وكانت أوصاف هذه السيدة محفوظة في دائرة
الامن العام ولدى مقابلتها بالاوصاف التي استخرجها العالم الانثروبولوجي من دراسة العظام فقط
ظهرت مطابقة عجيبة . عمرها $33\frac{1}{2}$ — مقابل ٣٣ في اوصاف العالم . طولها ٥ اقدام و ٧ بوصات
— مقابل ٥ اقدام و $6\frac{1}{4}$ بوصة في أوصاف العالم . وزنها ١٢٥ رطلاً مقابل ١٢٠ رطلاً في
أوصاف العالم . لون بشرتها بين الزنجي والايض في الاثنين

وليس هذا الوصف الدقيق بقلته او من قبيل الحزر والاحتمال . وذلك لان الهيكل العظمي
في الانسان — على قول استاذ التشريح والانثروبولوجيا الطبيعية في جامعة وسترن ريزرف
الاميركية — يبين التاريخ الطبيعي لصاحبه بلا خطأ ويبقى قادراً على تبيانهِ بعد انقضاء قرون
وصاحبه دفن في أطباق الثرى

السلالة تستبين منه والجنس والعمر والقامة . وقد يمكن ان يستخلص من بعض عظامه
بعض الامراض الخطيرة التي أصيب بها في اثناء الحياة لما تتركه من اثر في العظام

وقد بلغ من تقدم هذه الطريقة انها أصبحت معواناً لا بد منه للباحث الجنائي وللباحث الأثري والمؤرخ بل انها تطبق أحياناً على الأحياء فنفحص عظامهم بواسطة الأشعة السينية لاستخلاص ما يمكن ان يكون ذا فائدة في معرفة شؤون لها صلة بالنحو والصحة

والهيكل العظمي يتيح اسراره للعلماء والباحثين عن طريق القياس المقابل . فالأوصاف الخاصة بالسلسلة مثلاً تمكن معرفتها من النسبة التي بين عظام الجمجمة وعناصرها . فجمجمة الزنجي مستطيلة مسطحة . ومحجرا العينين بعيد احدهما عن الآخر . ومستوى عظام الوجه منحرف انحرافاً شديداً . ثم ان الحوض ضيق وعظام الذراعين طويلة بالقياس الى طول عظام الفخذين هذه النسبة المختلفة متباينة عما تراه مما يقابلها في هيكل رجل من الجنس الأبيض

وليس في وسع الأنثروبولوجي ان يميز فقط هيكل رجل من سلالة معينة عن هيكل رجل من سلالة أخرى بل يستطيع كذلك ان يميز هيكل رجل خلاسي أي خليط من سلالتين ودرجة ذلك ثم ان الجنس أو الشق أي هل صاحب الهيكل ذكر أو أنثى يمكن استخلاصه من دراسة الهيكل العظمي وفي ٩٨ في المائة من الحوادث يمكن الاعتماد في ذلك على دراسة عظام الحوض وهي العظام التي تحمل في المرأة الرحم أي بيت الولد . فاذا درس الحوض وأضيفت اليه دراسة الجمجمة أمكن الجزم في هل صاحب الهيكل ذكر أو أنثى . ومن الحقائق التي أثبتتها البحوث والتجارب التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الصدد ان سعة الجمجمة تقل في الانثى نحو ٢٠ سنتيمتر مكعب عنها في الذكر . وهناك عظمة معينة هي أقل بروزاً في جمجمة الانثى منها في جمجمة الذكر . أما عظمة الحوض في المرأة فأوسع بحكم الطبع منها في الرجل . وهيكلها بوجه عام أدق وأرشق . حالة ان هيكل الرجل أضخم وأقوى

فلنفرض الآن ان سلالة صاحب الهيكل قد تعينت . وان جنسه قد عرف . فلننظر الآن في الأسلوب الذي يعتمد عليه الباحث في تعيين قامته . ان ذلك يعتمد على معادلات رياضية استخراجها الباحثون من دراستهم المسببة للصلة بين القامة وطول العظام في الذراعين والفخذين . وعظمة الفخذ خاصة من أهم ما يعتمد عليه في هذه الناحية . فقد أثبت الاحصائيون ان طول الرجل يبلغ نحو ضعف طول هذه العظمة زائد ٨١٣ ملمتراً و ٦ في المائة من المتر . قلنا « نحو ضعفين » والواقع ان النسبة الدقيقة هي واحد و ٨٨ في المائة . أما النسبة في المرأة فهي ١ و ٩٤ من طول

عظمة الفخذ زائد ٤ ٧٢٨ من المتر . ثم هناك نسب أخرى معروفة للعلاقة بين طول القامة وطول عظمة الذراع العليا المعروفة باسم عظمة العضد والتناجج المعروفة تثبت ان الاعتماد على هذه المقاييس واستخلاص طول القامة استناداً اليها لا يحتمل خطأ أكثر من واحد في المائة ومن أطرف ما يروى من الحوادث التي كان الحكم فيها للبحث في العظام ان هندياً أميركياً كان له ولد يملك قطعة من الارض . وغادر الولد البيت ولم يرجع . ثم ظهر ان في هذه الارض بترولاً . فطالب الوالد بحقه . فتعذر الحكم له لانه لم يثبت ان ابنه ليس على قيد الحياة . ثم دلم من سجلات البوليس في ولاية مجاورة ان شاباً يشبه في أوصافه العامة ابن هذا الهندي قتل وهو منقطع جواداً ودفن . فأمرت المحكمة بأن تنبش الجثة ويهد بفحص عظامها الى أحد الباحثين المختصين . وبعد دراسة دامت ثلاثة أيام ثبت ان الجثة جثة ابن ذلك الرجل فقال حقه في الارث عن طريق البحث الانثروبولوجي

أما عمر صاحب الهيكل العظمي فيمكن استخلاصه بدقة عظيمة من دراسة نسيجه العظمي اذ في العظام مراكز تعرف باسم مراكز التعظم أي التحوّل الى عظام . وقد درست هذه المراكز درساً دقيقاً وعرفت حالتها في كل سنة من وقت الولادة الى السنة الحادية والعشرين من العمر . فبدراسة هذه المراكز في عظام هيكل ما ، يمكن تعيين العمر اذا كان تحت الحادية والعشرين تعييناً دقيقاً لا يحتمل من الخطأ أكثر من شهرين او ثلاثة أشهر . أما اذا كان فوق الحادية والعشرين فعلى الباحث الاستعانة بتحوّلات عظمية أخرى ولا سيما في ملتقى عظام الجمجمة نفسها . فاطراف هذه العظام مسنّنة وتكون غير متداخلة او ملتحمة في بدء العمر ثم تزيد نداخلاً والتحاماً بتقدّم العمر ، فدراسة حالتها في جمجمة ما ومدى تداخلها والتحامها من العوامل التي تقرر بدراسة مراكز التعظم لتعيين العمر . ثم ان حالة المادة العظمية نفسها في العظام تتحول بالتقدم في السن ودرجات تحوّلها معروفة . فدراسة هذه المادة عامل ثابت من العوامل التي تساعد على تعيين السن

هذه الخواص لا تتغير بعد الموت وتبقى على ما هي مئات بل ألوفاً من السنين . وقد عيّن عمر الملك توت عنخ امون من دراسة عظامه فاذا هو ١٨ سنة وعيّن عمر حميه الذي كان مدفوناً على قرب فاذا هو ثلاثون سنة . ثم ان دراسة عظامهما يثبت ان صلة القرابة بين الرجلين كانت

قريبة جداً علاوة على المصاهرة . وكانت هذه الحقائق مما ساعد الباحث الاثري والمؤرخ في علمهما
أما الوزن فلا يمكن تحديده إلا بوجه عام ، لان السمعة لا علاقة لها بطول الهيكل وعرضه
فقد تدل مقاييس هيكل من الهياكل على أن صاحبه من وزن معتدل . ولكن من المحتمل
ان صاحبه في الواقع كان نهماً قليل الرياضة فكان شديد السمعة ووزنه فوق المعدل كثيراً
بقي أن نروي حادثة او حادثتين طبقت فيهما هذه القواعد علاوة على ما تقدم
عثر في أحد الايام على بقايا سيارة محترقة وعثر في هذه البقايا على هيكل عظمي لرجل .
وعند البحث ظهر ان اللوحة التي تحمل رقم السيارة مفقودة . فاتجه الفكر الى حدوث جناية .
وكان من المعلوم ان رجلاً في تلك المنطقة قد ضاع أثره . وانه كان قبل ذلك قد تلقى رسائل
تنطوي على تهديد . الا ان الهيكل الذي وجد كان ينقصه أحد الفخذين . أي انه كان
هيكل رجل بترت فخذه . ثم علم ان في تلك المنطقة كان يوجد رجل مبتور احدى الساقين
وله ساق من خشب وانه كان يهدد بالانتحار . فهل الحادثة حادثة قتل او حادثة
انتحار ؟ فلما فحصت عظام الهيكل ظهر ان الاوصاف التي بنيت على الدراسة تنطبق على كلا
الرجلين . واذاً فالحل المرتقب متصل بتلك الفخذ الضائعة . فكيف السبيل الى معرفة ذلك
فقال العالم في نفسه ، اذا كان هذا الهيكل هيكل الرجل المبتور الساق ، واذا كانت ساقه قد بترت
قبل سنوات كما هي الحال في احد الرجلين فيجب ان تكون عظمة الحوض التي كانت متصلة بتلك الساق
قد ضمرت وتغيرت نسجها عن العظمة التي تقابلها في الجهة الاخرى . ففحص عظمة الحوض فحصادقاً
فظهر انها كذلك وثبت ان الهيكل هيكل الرجل المبتور الساق . فتعلبت نظرية الانتحار على نظرية القتل
وعثر من بضع سنوات على هيكلين طفلين في تلة تابعة للهندو الأحمر في ولاية مسوري الاميركية
ففحصا فدل الفحص على انهما طفلان أبيضان واستدل بالاشياء التي كانت تحيط بهما على انهما دفنا
دفناً تاماً الشعائر قبل مائة سنة تقريباً فلما اذادفنا هناك في بلاد تابعة للهندو الأحمر وهم خصوم البيض في
ذلك العهد . فدرس العالم نسج عظامهما فتبين انهما كان ضحية سوء التغذية . فبنى على ذلك
نظرية لا بأس بها وهي ان أسرة من مقاديم البيض كانت آخذة في النزوح الى غرب اميركا من
مائة سنة فوصلت منطقة يقل فيها الطعام والماء وتعرض فيها أحوال العيش فمات الطفل فدفن حيث
لا يحتمل ان يتجه اليه نظر الهندو فينبشونه

الحركات العربية

المنظمة وأثرها الادبي

لـلـيـسـى المـقـرـسى

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

ذكرنا انه في الثلث الاخير من القرن الماضي ظهر في سوريا والعراق صيحات أدبية تُهيب بأبناء العربية في السلطنة العثمانية ان يهبوا من رقاهم ويسعوا لاعلاء شأنهم . وقد كان لتلك الصيحات أثر يذكر في تنبيه الشعور وقض غبار الحمول الذي تراكم عليه قروناً عديدة . على ان الامم العربية لم تكن قد وصلت في حياتها الاجتماعية والسياسية الى درجة التعاون المنظم . فلم تتجاوز تلك الصيحات حد اثاره الشعور ، بل لم يكن لها اثر يبين الا في حلقات خاصة من اهل الثقافة . وظل الامر كذلك حتى أعلن دستور ١٩٠٨ فغمر البلاد العربية بموجة من الاخلاص والحماسة للوطنية العثمانية . لكن تلك الموجة لم تلبث كما بسطنا في غير هذا المقام ان زاجعت وضعف أثرها في النفوس

وقد دلت العرب التجارب على ان القانون النظري شيء وتنفيذه شيء آخر ولعلمهم ذكروا بومئذ خط كاخانة الذي اصدره السلطان عبد المجيد سنة ١٨٣٩ ثم الفرمانات والعهود الصادرة بعد ذلك كفرمان ١٨٥٦ ، وفرمان ١٨٧٤ ، والمادة التاسعة من معاهدة باريس ، ودستور مدحت سنة ١٨٧٦ . وفي كلها كانت تركيا تعترف قانونياً بالتساوي بين جميع الاجناس والاديان في السلطنة . على ان ذلك التساوي لم يتم فعلياً

فلما ذهب النشوة الدستورية الجديدة فتح العرب عيونهم فاذا هم والأتراك وجهاً لوجه ، واذا بينهم اختلاف مريب يشير الشكوك بنيات الاتحاديين — وهم حماة الدستور ومنفذو احكامه . فسلكتهم التشاؤم ورواوا ان العهد الجديد لا يختلف عما سبقه وانه لا بد لهم من العمل . وكانوا في مطلع القرن العشرين وقد خطوا خطوات واسعة في سبيل الرقي ، وتباً لهم من اسباب النهضة

ما لم يتبهاً من قبل ، فأخذ السياسيون منهم ينظمون الجمعيات والدعابات توصلاً الى نيل حقوقهم وصدداً للتيار التركي من الطغيان عليهم

وغير نكير ان موقف الاتحاديين من الدستور لم يكن سهلاً . فهم الذين أعلنوه ، وهم الذين كان عليهم أن يحموه ويطبّقوه . فلم يكن غريباً ان يمحسروا معظم السلطة في ايديهم وان يكون جلّ تعويلهم على العنصر التركي

وبذلك فتحوها باباً لتذمر غير الآراك . وسرعان ما أحدث هذا التذمر تعكيراً في صفوف الدستوريين من ملكيين وعسكريين ، فبددت بين العناصر المختلفة ، كما رأينا ، بوادر سوء الظن . ولم يكن بين الشيبة المتحمسة من يتلافى الامر بالتي هي أحسن ، فكان ما كان من تلك المشادة العنصرية التي فرقت قلوب العرب عن الترك وحوّلت أنظارهم الى العصبية القومية

وطبعاً لم يكن عقلاء الطرفين راضين عن هذه الحالة التي أقلّ ما يقال فيها انها توهن قوى الدستوريين ومخرج مركزهم . فقام مفكروهم يدعون الى التساهل وإزالة سوء التفاهم . ومنهم الدكتور رضا توفيق ^(١) . فقد صرّح سنة ١٩١٠ محرّر جريدة (بروجره دي سلايك) بقوله — ^(٢) « أنا على اتفاق تام مع الجمعية على ان البلاد في حاجة الى حكومة قوية ، ولكنني أخالفها في استخدام القوة . واذا كان وجودي في المجلس قد قضى عليّ بأن أحمل على طلعت بك الممثل الاكبر للجمعية في الوزارة وصديقي ورفيقي منذ الساعة الاولى في جمعية الاتحاد والترقي فذلك لاعتقادي بأن الواجب عليّ ان أفعل ما فعلت . ولو سكت كغيري لكان ذلك خيانة لا يغفرها الوطن لي . ان الدستور لا يكون الا كلمة لاعمى لها اذا لم نحترم الحرية السياسية والحقوق الاساسية وحرية القول والكتابة والخطابة ، واذا لم تعامل العناصر كلّها معاملة واحدة بمقتضى أحكام الدستور »

ففي كلام هذا التركي الحرّ ما يشير الى سياسة الاتحاديين التي حملت العرب يومئذ على التبرّم وسوء الظن

وكما كان بين مفكري الآراك متساهلون يدعون الى الوئام كذلك كان بين مفكري العرب فقد ذكرت جريدة الاهرام ان جمهوراً من العثمانيين في مصر اجتمعوا سنة ١٩١٠ لوداع سليمان البستاني نائب بيروت . فجرى في ذلك الاجتماع من الكلام ما يشفّ عما كان بين العنصرين التركي والعربي من توتر في العلاقات . وها نحن ننقل بعضه بتصرف عن مجلة النبراس البيروتية — ^(٣) قال رفيق بك العظم « ان العرب مهضومة حقوقهم ولغتهم ممتهنة مضطهدة » .

(١) هو عالم تركي كبير وكان من صميم الاتحاديين (٢) ثورة العرب (المقطف ١٩١٦) ص ٥١

(٣) مج ٢ ص ٣٣٣

وهو بعزو هذا لا الى الامة التركية فهي صديقة العرب ولكن الى بعض ذوي المناصب في الاسنانة . ثم يقول متحمساً . « فالواجب ان يفهموا اننا لا نصبر على هذا الضيم لانه يهمننا ان نجا الدولة . ان الترك بلا العرب تزول دولتهم ، والعرب بلا الترك يؤكلون ويهضمون ، فحياة الدولة تهتمنا وتهمهم على حد سواء »

ومن تكلموا في ذلك الاجتماع الدكتور يعقوب صروف فقال — « ان معتقدي كان كعقد أخينا رفيق بك حتى قابلت اليوم العلامة البستاني ففهمت منه الحقائق ، وأنا واثق انه لم ينقل الي غير الحق . فاذا كان العرب قد حرموا الوظائف فلا أنهم لم يسيروا في سلك التوظيف . وان كان قد بدر من بعض كتّاب الاتراك ما آلم العرب فذلك ليس رأي القابضين على أزمة الامور » بل ان رأيهم عكس ذلك تماماً . . . الى ان يقول . . . « فالواجب ان نعاونهم بالصيحة ونحو سوء التفاهم ونساعدهم على ادماج جميع العناصر والطوائف حتى تصح الجامعة العثمانية » وأخذ السيد رشيد رضا يثبت ان هناك سوء تفاهم بين العرب والترك لا يجوز انكاره ، على انه كان يحاول ان يحصره في فئة معينة . ومما قاله « لا نكران ان بعض ذوي الاغراض في الاسنانة هم سبب هذا الشر »

أما البستاني فكان ينزع منزع السياسي العثماني الصميم . وقد شرع يبين ان هذه المشادة مبنية على الاوهام ، وان الدولة مفتوحة للعرب كما هي للترك . وفي كلامه — « أقول لكم عن ثقة وعن يقين ان قولهم ان بين رجال الحكومة من الاتراك قوماً يكرهون العرب او يضطهدونهم وثم باطل اختلقه بعض أصحاب الاغراض والمفاسد . فالاتراك عموماً ورجال الحكومة منهم خصوصاً يحبون العرب ويحلونهم ويعتمدون عليهم في تأييد الدولة . ولا يضطهدون اللغة العربية بل هم على عكس ذلك يؤيدونها »

فيؤخذ مما ورد في هذا الاجتماع الذي كان يضم نخبة من مفكري العرب ان العرب كانوا يهونون الاتراك بهضم حقوقهم والاستبداد بالامر دونهم واضطهاد لغتهم . وقد تناول جرجي زيدان ذلك في مجلة الهلال فنشر مقالاً موضوعه العرب والترك حاول فيه الاعتذار عن الاتحاديين وحمل العرب على التؤدة وحسن الظن . ومما جاء فيه ^(١) — « لا ننكر استخدام جمعية الترقى نفوذها في الانتخابات حتى جعلت الاكثية من حزبها ، وانها تلجأت في اسناد الوظائف الكبرى الى العرب . ولكننا لا نحمل ذلك على رغبتها في الاستئثار بالسيادة دون العرب او غيرهم ، ولكن فعلت ذلك على ما نظن رغبة في سلامة الدولة ، وصيانة للدستور الذي نالته بعد شق

الانفس من ان تعبت به الايدي اذا تولاه غير اهله» ولشدة رغبة زيدان في المسالمة وعطفه على القائمين بأمر الدستور اخذ يلوم بعض مواطنيه على وقوفهم موقف العداء من اخوانهم الاتراك فيقول — « لما اعلن الدستور وجاهر الاتراك انهم يتنازلون عن جنسيتهم وامتيازاتهم رغبة في الوفاق ما كان من العرب الا السعي في تأييد الجامعة العربية . فألفوا جمعية النأخي العربي بالاستانة وأنشأوا الصحف للدفاع عن العرب والتنديد بالأتراك والتفاخر بمجد العرب ودول العرب وعلوم العرب»

وفي كلام زيدان شيء من الحقيقة لا الحقيقة كلها ، فان الذي يراجع تاريخ هذه الحركة يرى كما ينشأ مراراً ان العرب لم يكونوا عند اعلان الدستور اقل غيرة من الاتراك على الجامعة وان تبعه الشقاق الذي نجم بعدئذ واقعة على الطرفين ولا سيما على الاتراك . فزيدان نفسه يصرح باستقذارهم بالمناصب ولكنه يأخذه بحسن الظن وروح التفاؤل ولا ينتظر من كل واحد ان تكون له تلك الروح فيغضي عما كان يراه من استبداد جنسي

وقد عقد رشيد رضا في مجلة المنار مقالاً ضافياً^(١) تناول فيه ما كان من سوء تفاهم بين العنصرين ففصل اسبابه وشرح كلياته وجزئياته ثم قال متحفظاً « لا اقول ان كل ما روي من ذلك صحيح المتن والسند . ولا اقول ان ما صح منها كان بسوء النية وتعمد هضم حقوق العرب . ولكنني لا استطيع ان انكر قول من يقول انها في مجموعها تفيد التواتر المعنوي الدال على انه يوجد في رجال الدولة ورجال الصحافة التركية أناس يسيئون الظن بالعرب ولا يعطونهم حقوقهم ولا يعرفون قيمة اتحادهم بالترك واتحاد الترك بهم »

وسواء كان الاتراك الملمومين او كان العرب فالذي يهمننا هنا ان ذلك النفور العنصري يومئذ حقيقة لا مرأ فيها وانه قد شغل الافكار والاقلام زمناً غير يسير ، وقد أصاب رشيد رضا اذ قال في المقال السابق الذكر « هذا ما كانت عليه البلاد في العام الماضي (١٩٠٩) . وكانت قد نجمت قرون الخلاف ولكن لم يشعر بها الجمهور فلما كثرت وكبرت تنكّر الناس في سورية ومصر وخاضت في المسألة الجرائد العربية حتى في اميركا ، وتبارت فيها قرائح الشعراء ، وتجاوبت فيها الاصوات حتى عمت البلاد والجهات . فاهتزت بذلك النعرة العربية اهتزازاً شديداً ومن دلائل هذا الاهتزاز انه في الجلسة التي عقدتها اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي سنة ١٩١٠ قام عضو عربي منها هو عمر منصور باشا بمبعوث طرابلس الغرب والتي خطاباً بالغا منتهى الجراءة ، وفيه يحمل على الاتراك ويعزو اليهم سبب الخلاف الناشب بينهم وبين العرب فيقول متألماً^(٢) — « لماذا لا تمتدّون على حقوق الارمن والروم والبلغار العثمانيين . اتعرفون

(١) العرب والترك مجلة المنار مج ١٢ ص ٩١٣—٩٣٢ (٢) جريدة البرق (بيروت) سنة ٣ عدد ١٢٢

لماذا؟ لان عند الارمن قنابل ، وللروم اليونان ، وللبلغار بلغاريا . اما نحن فلا يشدّ ازرنّا احد ولكن ثقوا انّ لنا الله ورسوله . اذا قال لكم مبعوث عربي ان ابناء العرب يمتنون منكم فلا ثقوا بهذا القول ولا تصدقوه . اقول لكم هذا على مسمع منكم جميعاً »
ولم يكن اندفاع هذا النائب الجريء في عاصمة الأتراك ومركز قوتهم الا لما كان يراه او يسمعه من اقوال غلاتهم خطأ من كرامة العربية وابنائها . ويكفي ان نذكر من ذلك على سبيل المثال كتاب « قوم جديد » لكتاب تركي اسمه عبيد الله . فقد ذهب في الغلو كلّ مذهب حتى طلب من الأتراك ان ينزعوا اسماء كبار العرب من الصحابة والتابعين عن قباب المساجد ويضعوا محلها اسماء عظام الترك (١)

ومن اقوال غلاتهم قول احدهم (٢) — « ما هي العثمانية ؟ ولماذا لا نقول التركية . إن الحقيقة تغلب الحيال ، ومن المحال العقلي ان تظل هذه الشعوب المتباينة مرتبطة بعضها ببعض وراء ستار وهي . ونحت اسم بال خلق . يجب علينا ما دام في استطاعتنا الحياة ان نعلم الى الجيش والاسطول والعلوم والآداب والشرائع والقوانين وكل شيء فنصبغها بالصبغة التركية المحضة » وقد طلب احمد جودت محرر جريدة إقدام ان تنقح اللغة التركية من الكلمات العربية . وعلى وتره ووتر اضراجه من الغلاة كان يضرب جماعة من أولي الامر ومثيري شعور الجمهور . وقد تغلبت اصواتهم على أصوات المعتدلين ، وهذا ما دفع العرب الى مقابلتهم بالمثل والكيل لهم بنفس المكيال

والظاهر ان العرب أحسوا بهذا الشكر منذ أوائل العهد الدستوري فعمدوا الى توحيد دفاعهم بتأليف الجمعيات السياسية وهاك أهمّها (٣) —

المنتدى العربي سنة ١٩٠٩ — أسس في الاستانة على ان يكون مثابة للشباب العرب في تلك العاصمة

جمعية الفتاة (الاستانة) — وهي للعرب بمنزلة الاتحاد والترقي للترك
الجمعية القحطانية ١٩٠٩ (مصر) — جمعية سرّية غايتها بث المبادئ الصحيحة بين ابناء الامة العربية وتوحيد صفوفها

الجامعة العربية ١٩١٠ (مصر) غايتها السعي لاتحاد حلفي بين أمراء الجزيرة العربية ثم التعاون على عمران البلاد والدفاع عنها وإنشاء صلة بين الجمعيات العربية في سورية والعراق وغيرها
حزب اللامر كزية ١٩١٢ (مصر) غايته تبليان محسنات الادارة اللامر كزية في السلطنة العثمانية

(١) القضية العربية (الاعظمي) ١ — ١٠١ (٢) القضية العربية ١ — ٩٥ (٣) تلخيصاً عن كتاب الثورة العربية لأمين سعيد ١ ص ٧ — ٤٩

الجمعية الاصلاحية ١٩١٢ (بيروت) وهي أشبه بفرع من حزب اللامركزية وينحصر عملها في تنفيذ الاصلاح اللامركزي في ولاية بيروت
جمعية العهد ١٩١٣ (الاستانة) وهي تضم نخبة من ضباط العرب في الجيش وغايتها السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب، على ان تظل متحدة مع حكومة الاستانة اتحاد المجر مع النمسا (قبل الحرب)

على ان أول جمعية عربية نشأت في ذلك العهد هي جمعية الاخاء العربي. تأسست في الاستانة سنة ١٩٠٨. ومن غاياتها جمع كلمة الملل العثمانية المختلفة والسعي لاعلاء شأن الامة العربية وصيانة حقوق ابناء العرب وتأييد الحرية والعدل والمساواة بين عناصر الامة العثمانية وإزالة الضغائن وسوء التفاهم من بينهم «الخ الخ

وكان التجانس مفقوداً بين اعضائها فلم تعش طويلاً
ولا ننسى في هذا المقام المؤتمر العربي العام الذي عُقد في باريس (١٩١٣) وضم وفوداً من اكثر الاقطار والمهاجر العربية. وكانت غايته مصارحة الدولة العثمانية بتطبيق نظام اللامركزية في بلاد العرب مع المحافظة على الرابطة العثمانية

فالجو العربي الادبي كان في ذلك العهد مشبعاً بالاماني والحركات القومية وملأماً كل الملائمة لاتشعار الدعايات ضد حكومة الاستانة. وقد كانت تلك الدعايات تنبعث عن مصدرين مختلفي الغرض هما — (١) الجمعيات العربية (٢) الايادي الاستعمارية. فالاولى لم تكن غايتها على ما يستدل من نظمها. وتصريحات رجالها الا خدمة القضية العربية باعتبارها مسألة من مسائل السلطنة العثمانية الداخلية. وذلك ما يعنيه رشيد رضا بقوله عن النهضة العربية وتوجيهها الى الاصلاح الديني والاجتماعي والمدني^(١) — «وهي جذيرة بذلك بدليل اتفاقها في سورية والعراق والجزيرة على بناء هذا الاصلاح على اساس اللامركزية الادارية اذ بذلك تحفظ حقوق الدولة العثمانية ويتمكن الارتباط بها، وبه يعطى كل قطر حقه بحسب استعداده ومذاهب اهله» بل ذلك ما كان يعنيه اولو الامر في كل جمعية سياسية

اما الثانية (الايادي الاستعمارية) فلها غرض آخر — كانت ترمي الى تفكيك عرى الدولة العثمانية وفصل الاقطار العربية لاغراض استعمارية. ولا نشك انها سعت في تنشيط الجمعيات وحمايتها اذ رأت فيها او في بعضها ما قد يوصلها الى هدفها المنشود

ولا نستطيع ان نتثبت هنا المدى الذي بلغتْ علاقات اوربا بالجمعيات العربية ، بل لا ندرى هل حصل قبل الحرب الكبرى تفاهم بين الاستعمار ودعاة القومية . فان هؤلاء كانوا متمسكين بصلاتهم العثمانية يتجنبون الوقوع في أحاييل الاستعمار . على اننا ندرى ان اوربا كانت تمدّ بدأ حرية المنعس الى طلاب الاصلاح ، وان النفسية العربية كانت في العهد الدستوري (ما بين ١٩٠٩ — ١٩١٤) ظاهرة الاضطراب بدليل ما نراه من نقائنها الشعرية المعبرة عن خوالجها والمطالبة بتحقيق أمانها . ومن أمثلة ذلك قصيدة للشيوخ سليمان التاجي الفاروقي (فلسطين) تزيد على السبعين بيتاً يخاطب فيها السلطان ويلتمس منه النظر في حقوق العرب . وهاك بعضاً منها — :

العربُ لا شقيتُ في عهدك العربُ سيوف ملكك والاقلام والكتبُ
همُ الحبالُ فما حملتهم حملوا لكن اذا سيمتهم ضم النفوس أبوا
ومنها مشيراً الى خيبة آمال العرب

كنا نعلمُ بالدستور أنفسنا بفارغ الصبر ذاك اليوم نرتقبُ
حتى اذا جاء لم يحدث لنا حدثاً ولا استجيب لنا في مطلبٍ طلبُ
وله قصيدة أخرى قيلت استغزازاً لنواب العرب . وقد نشرت في جريدة المفيد « بلسان الامة العربية تخاطب أبناءها » وبوقوع بدوي فلسطين . ومطلعها

يُسمن نواصيكم عقدتُ الامانيا ورجيتُ ان أعلو لكم من علانيا
ومنها : بني انهضوا واحيوا حياةً عزيزةً حياةً تعيش المجد للعرب ثانيا
وبعد ان يحدثنا عن أجداد العرب يلتفت ثانية الى النواب فيقول : —

ألا نهضةً شرقيةً عربيةً تزلزل أقواماً وتوهي رواسيا
وتقضي على كل امتيازٍ واثرةً ويصبح كل الناس فيها سواسيا
ألا رجلاً ذا مرةٍ فيلمكم ويرأب صدعاً فيكم بات واهيا
يقوم فلا يرتدُّ او يبلغ المني ويقضي ولكن يبعث السيف قاضيا

وللفاروقي كثير من مثل هذه النفثات القومية . على انها مبعثرة في الجرائد اليومية السورية والمصرية . ولم نقف له على مجموعة خاصة (١)

وأشد من أقواله وأعنف نفثات عبد الحميد الرافعي (طرابلس) وقد كان قبل الدستور

(١) ما نشرناه للفاروقي أعلاه هو من بعض ما تكرم علينا به صديقنا الاستاذ ابراهيم طوقان الاديبي الفلسطيني المعروف

من مريدي أبي الهدى الصيادي شيخ السلطان عبد الحميد . فلما حدث الانقلاب وحدثت على اثره تلك المشادة العنصرية ثار ثائره على الاتحاديين ، فنظم عدّة قصائد نارية مظهرآ فيها فسادهم ومهيبآ بالعرب الى التهوض والتقدم ومنها قصيدة مطلعها (١)

ما تصالح الدنيا ولا ناسها	ما لم يلِ الاقوامَ أجناسها	
دارك امير العرب جرثومة	للعرب قد ادركها ياسها	ومنها
تجاوز الترك على حقها	والترك قوم ضاع إحساسها	
هبوا بني العرب إلام الكرى	وقد ذهبا الأمال دهاسها	ومنها
طلبتم الإصلاح من عصية	نؤتر بالافساد اقواسها	
فكم تقيمون على ذلّة	وروضة الصبر ذوى آسها	
أستم نسل القروم الألى	تنعل الهامات افراسها	
فجردوا العزم الذي طالما	شق صدوراً طال وسواسها	

ويجري في ذلك ثم يقول مشيراً الى الدولة العثمانية وعواطف المسلمين قبلًا نحوها: —

كنّا زى طاعتها عصر ما تلى الاحكام اقداسها

اما اليوم فقد تغيرت الحال عنده وها هي تقف من العرب موقف العداء ومن الدين ولغة القرآن موقف الرياء —

تحسب ان العرب اعداؤها	وهم مدى الايام حراسها
عون على السلم وان حاربت	فهم مواضيها واتراسها
زعم حب الدين لكن كما	يروج السلعة دلاسها
لو تألف القرآن ما حاربت	لسانه حتى التوى فاسها

وهكذا ينحى باللذع الاليم على اولي السلطة من الاتحاديين فينتهم بالكفر والتخت والسفالة والظلم ، ويطلب من العرب الاتحاد والتضامن دفعاً لعادية هؤلاء القوم المارقين الذين لشدة ظلمهم دفعوا البلاد الى هوة الخراب

من عظم ما جارت بانحائنا	أنحى على الامة إفلاسها
ما همسها في دور حكماها	الآن بأن تملأ اكياسها
فلتتحد فعلاً عسى هممة	تهتاج بالتوحيد اقباسها
وتنعش الانفس من امة	تلهت بالذل أنفاسها

وقس على هذه القصيدة كثيراً من اقواله

وقد أشرنا سابقاً الى ما أثار الحفاظ من اقوال جريدتي طنين واقدام وما حاوله بعض كُتّاب الاتراك الاغرار من الوقعة بالعرب والخط من لغتهم . وكيف حرّك ذلك الشعر العربي فزخرت لججه وتلاطمت امواجه حتى كنت تراه في العراق كما تراه في سوريا والمهاجر نائراً بالنخوة القومية مزبداً بالغيرة الجنسية . ومن هذا الشعر القومي النائر قصيدة ليوسف حيدر البعلبكي يذكر فيها أجداد العرب ثم يقول مشيراً الى جريدة اقدم التركية (١)

فقل لجهولٍ راح يثلم عرضهم ولم يدر ان الويل من جهلهم طيراً
خلافكم كانت بقايا فخارهم ونلتهم هدى الايمان من فضلهم طيراً
فلا حرب ذي قارٍ صلّتها سيوفكم ولا صنتم عن فارس عرضكم قهراً
فدع عنك يا هذا مباراة معشر اذا ذكروا فالكون يذكو بهم بشراً

ومن هنا يأخذ بوصف العرب وشرف نفوسهم ونخوتهم الجاهلية ويختم ذلك بقوله : —
مناقب في صدر النوارخ أثبتت متى نشرت فاحت بذكرهم نشرها
لقد أقسموا أن لا يقرأوا على أذى وقد خاب يوماً من على الذل قد قرأ
ويصل هذا الوصف بذكر الاتراك وسوء سياستهم فيقول : —

يريدون منا ان تموت نفوسنا ونرحب في أفعال طيشهم صدرا
يريدون منا ان تطيش حلومنا وان نخفض الاصوات في مجلس الشورى
ثم يلتفت الى قومه مستفزاً حماسهم : —

اليكم بني الاعراب أرفع قصتي لا بلع فيها من لدن قومنا عذرا
لعلي أرى من عزمكم ما يسرني ومن جدكم ما تعظمون به قدرا
عليكم سلام الله ما دام عرضكم مصوناً لديكم لا يُباع ولا يشرى

وبجاريه في هذه العصية والدفاع عن الامة العربية عبد الحميد الرافعي فيقول في قصيدة نظمت رداً على تنديد الاتحاديين باللغة العربية (٢) ومطلعها : —

شئتُ بذكر مفاخر العربان سمعي وأنعش خاطري وجناني
فحديث آباء الفتى يُنشئ به عزمًا لفتح الروح في الجنان
ولرب آثارٍ لهم تذكّارها يهب الضمائر قوة الايمان
تنفاخر الاحياء في اخبارهم والشمس لا تحتاج للبرهان
أهل الشجاعة والبراعة والوفا والصدق والايتار والاحسان
جملوا الممالك تحت ظلّ سيوفهم متظللين ذواثب المرائف

(١) راجع القصيدة في القضية العربية للاعظمي ١-١٠٦ (٢) ذكرى يوبيل الرافعي ص ١٨٠

وعلى هذا النمط يستمرّ في مدح العرب وذكر مفاخرهم ، ثم يتناول لغتهم ويبيّن فضلها ورفيع شأنها كقوله : —

لغة بفضل جمالها وجلالها شهدت شواهد محكم الفرقان
لغة اذا أدركت سحر بيانها أدركت معنى السحر في الاجفان

وبعد ان يصفها في عدة ابيات يلتفت الى مناوئها فيقول : —

قل للآلى جهلوا مكانها وقد كادوا لها في السر والاعلان
عاديتمو ما تجهلون ولم يعب قدر الورود كراهة الجعلان
والله يأبى ان تهان فبشروا من رام ذلتها بكل هوان
اما ابناؤها الذين انصرفوا عنها الى اللغات الاجنبية فيعاتبهم بقوله : —

كل اللغات لديك بالغة الهدى خدّم وأنت مليكة الابوان
ظلموك أهلك بالجفاء فأصبحوا والكل يمشي مشية السرطان
لم يحفظوا لك ذمة وتعلّقوا بهوى السوى ورموك بالهجران
لكنهم غرّوا بغيرك حقبة من دهرهم والدهر ذو ألوان
حتى اذا انكشف الغطاء وأيقظت مُقل الرجال حوادث الازمان
نهضوا وكلّ يستعيز برّبّه مما انتشى ويسب بنت الحان

ومثل ما تقدّم قصيدة لامين ناصر الدين (لبنان) نظمها سنة ١٩٢٠ وفيها يقول ^(١) : —

أنسيت قدر العرب يا إقدام ولهم على هام النجوم مقام
أجهلت ما نالوه من شرف به بسمو الزمان وتفخر الايام
لولا هم لم تجر فوق مهارق يوماً بذكر مفاخر أعلام

وبعد ان يعدّد مناقبهم ومفاخرهم التاريخية يقول : —

ان أسرف الحساد تنديداً بنا فلطالما ذمّ الكرام لثام
نحن الآلى بنست النبوة بيننا ذاك البناء فأزهر الاسلام
نحن الآلى بلسانهم قد أنزلت آي الكتاب وذلك الالهام

ثم يلتفت الى الجريدة التركية مؤنباً ومعاتباً : —

أرسلت يا إقدام سهم وقية لكن أعيد اليك وهو سهام
أكذا يقوم بخدمة الاوطان ذو قلم ويطلب الرقي همام

أَيْظَنَ أَنَّا نَرْتَقِي الْآ إِذَا ضَمَّ الْعُنَاصِرُ أَلْفَةً وَوِثَامُ

وبظهر هذا التفاخر الجنسي في قصيدة « ألواح الحقائق » لمحمد حبيب العبيدي الموصلية سنة ١٩١٣ وفيها يقول: (١)

يا بني الضاد إن للضاد حقاً ناطحت دون حقه الآباء
ان رضينا غير الكرامة ورداً غصّ منّا بشاريه الماء
ليت شعري ما ينقم القوم منّا أم على أبصارٍ هناك غشاء
يشهد الله ان أول بيتٍ للعلى فينا شاده البناء
خيرة الله نحن في الخلق ممّا ولدت من أنساها حواء
نحن شيء وغيرنا بعض شيء نحن نورٌ وغيرنا الظلماء
انما ينكر الحقيقة غرّاً أو لئيمٌ أو حاسدٌ مستاء
نحن في الحى مهبط الوحي قدماً والينا المصير والانتها

ولو أردنا ان نذكر كل ما قيل في هذا الباب لضاقت به الصفحات الكثيرة . فقد كانت الاقطار العربية جميعاً تلهج به ، بل قد ردّد صده الناطقون بالضاد في كل صقع من اصقاع المعمور . فمن الهند يبعث عبد الحق الاعظمي البغدادي سنة ١٩١٣ رسالة الى المنار يقول فيها (٢) « ان لديه علاجاً لاصلاح حال المسلمين واصلاح البشر اجمعين . وهو وصفة مؤلفة من جزئين اولهما تعميم اللغة العربية في العالم الاسلامي كله وجعلها لغة التكم والتعلم والتعامل دون سواها . واما الجزء الثاني فهو تعزيز العنصر العربي » الذي اعزّ الله به الاسلام ورفع مقامه فوق كل مقام . . قال — « فاذا غلب الاجانب العرب على امرهم وانشبوا برائهم في احشاء بلادهم فلا عاصم للامة بعد ذلك من امر الله ولا ملجأ ولا منجاة لها من نوائب الدهر وغوائله » . الى ان يقول .. « نعم ان العنصر العربي جار عليه الظالمون ونهك قواه العادون وعزّق وحدته المارقون . لكنّه مع كل ذلك لا يزال أصلح العناصر الاسلامية للقيام بامر الاسلام واعادة مجد الانام »

وهو يدعو المسلمين الى تهيئة اسباب الوثوب للعرب لينهضوا ويتحدوا ويقودوا المسلمين اجمعين كما قادهم أسلافهم الاولون . « فان البذل لمساعدة العرب على احياء مجدهم هو عين البذل لاعادة مجد الاسلام الذي ما تأسس بناؤه من قبل الا بأيدي العرب ونفوس العرب وأرواح العرب وقلوب العرب »

(١) راجعها في الادب العربي في العراق (لبطي) ١ — ١٥٢ وقد مر ذكرها في فصل سابق

(٢) المنار ١٦ ص ٧٥٣

ومن المهاجر الاميركية المسيحية تسمع ما لا يقل عن ذلك حماسة في الدفاع عن العرب
وأجادهم. يقول رشيد أيوب (الولايات المتحدة) من قصيدة يعارض فيها القصيدة النامقية التركية^(١)

فنحن بنو الاعراب كفا ولم نزل بما خصصنا المولى نفوق الاجابنا
وبعد ان يذكر فضل النبي والصحابة وقواد الفتوح الاولى يقول مفاخرأ
السنا الألى سادوا العباد ودوخوا البلاد وأبدوا في الحروب عجائبا
وقصر عن ادراكهم كل لاحق غداة امتطوا ظهر العلى والمناكبا
فكم دولة سدننا وشدننا بهمة احد من البيض الرقاق مضاربنا
وتعاضم حميته القومية حتى تبلغ به الى قوله —

كذلك بنينا للعلوم معاهداً وشدننا لاهل الارض فيها مكاننا
فما روت الايام من عهد آدم الى اليوم عن شعب يفوق الاعرابنا
فيا وطني لا زلت اول بقعة من الارض أبدت للبرايا عجائبا
طويت من الآثار ما لو نشرته لضاقت به الدنيا حجبى ومواها
واذ انتقلنا الى أميركا الجنوبية نرى النخوة العصبية في مهاجرها أبرز وأشد اتقاداً . ولا نبعد
عن الحقيقة ان النحمس الجندي هو صفة أكثر أدبائها . ولولا ضيق المقام لأثبتنا أمثلة عديدة
من قناتهم ، على أننا نجتزئ بما ذج لبعضهم — فن ذلك قول « أبي الفضل الوليد »^(٢)

ولما رأيت الناس يبنون مجدهم بكيت على آثارنا العربية
نما زهرهم في روضهم متجدداً وقد يبست أزهارنا بعد نضرة
لئن كان في الحرية الخلوة الردى فيا حبذا موتى لتحرير أمتي
بني أم هل من نهضة عربية لصيحاتها يهتز ركن البرية
وقوله من قصيدة مذكراً العرب بماضي أجادهم^(٣)

سلام على العرب الخالدين سلام العلى وسلام الكرم
واني لاقرأ تاريخهم وقد كتبوه بحبر ودم
فبين السطور ضياء الهدى وبين الجفون دموع الندم
بني أم هل من نهوض لنا وهل من هيام بتلك الشيم
وهل من رجوع الى عزنا فبين عظام العظام عظم
لقد فقد العرب أخلاقهم فسادت زماناً جموع العجم

(١) ديوانه الابوييات (١٩١٦) ٣٧ (٢) ديوانه اغاريدي في عواصف (الطبعة الرابعة) ١٥

(٣) ديوانه الانفاس الملتبهة (الطبعة الثانية) ١٠٢ ولهذا الشاعر دواوين أخرى وكلها تتهب بالغيرة والمصيبة

فقل يا أخِي العربيّ اذا مشيتَ معي قدماً لقدّم
أحبّ بلادي واصبوا الى رمال الغفاز وثلج القمم
وللشاعر القروي قصائد رائعة في هذا الباب ولا سيما في « أعاصيره » وسنعود اليها بعد .
وكذلك سنذكر من آثار زملائه الجنوبيين ما يرسم لنا رسماً جليلاً روح الأُدب القومي في
تلك الاصقاع

ومن الانصاف ان نقول ان الشعر العربي القومي لم يكن كله في ذلك العهد دفاعاً عن
محارم العرب وردّاً لسهام أعدائهم في الدولة . بل منه ما نشأ عن طبيعة الحال فكانت غايته
اصلاحية لا سياسية — الاعتبار بالماضي والحاضر ، وتوجيه النظر الى أسباب الرقيّ الصحيح
كقصيدة أنشئت سنة ١٩٠٩ في إحدى حفلات بيروت ومطلعها ^(١) —

كفوا البكاء على الطلول الحمد ليس القضاء على البلاد بمعتدي
وهي ترمي الى إيقاظ العرب للجري في سبيل التقدم الاجتماعي والقومي فتحضهم أولاً
على توحيد الكلمة تحت راية اللغة : —

أبني العراق ومصر إنّا امةٌ قعدت بها الايام أسوأ مقعدٍ
إن فرق الإيمان بين جموعنا فلساتنا العربي خير موحدٍ
قربت به الاقطار وهي بعيدة وتوحدت من بعدفت في باليد

ومن هنا تجري القصيدة في وصف هذا التقارب الادبي ثم تتطرق الى النظر في الدين
وأنه اختبار شخصي لا علاقة له بالجامعة القومية المنشودة

دعني وشأني والذي أنا عابد وكما يشا إيمان قلبك فاعبد
إني أخوك وان يكن إيماننا في البعد ما بين الثرى والفرقد

ومنها في خطاب الطائفة الكبرى في البلاد

قد كنتم اهل البلاد واتنا كنا كذلك في الزمان الأبعد
كنتم وكنا والبلاد بلادكم وبلادنا فعلام لم تتوحد
وإلام يقتلنا التعصب عن عمى وبيته فينا الجهل تيه السيد

واذا كان لا بدّ لرقى الشرق العربي من اتحاد لغوي لا ديني فإنما يتوصل الى ذلك بترقية
الشعور القومي وتربية النشء على محبة بلادهم وتكريم رابطتهم الوطنية

ربّوا البنين على احترام بلادهم فهم المرجى للحوادث في الغد
قولوا لهم إن البلاد جميلة شهدت لها الاعداء أم لم تشهد
حاتم نصر في عيون نفوسنا والام نسعى كالسوأم الشرّد
ونحقّر الشرق العزيز لانه شرق و

اذا فعلنا فيه والّا فباطل دستورنا وباطلة مساعينا نحو العلى

ان تفعلوا فلقد يتم صلاحنا أو لا فما دستورنا بالمسعد
المجد للفعال في هذا الوردى والارض ملك الفارس المستأسد

ومثلها قصيدة للرصافي نظمها في الاستانة سنة ١٩١٠ وموضوعها « الى الامة العربية ». سداها
ولحمها اسف على مجد العرب الغابر وحض لهم على نفى الحمول والجري في سنن الحضارة
والتقدم . والشاعر فيها وان يكن كما قال « الى اليأس احياناً أكاد أميل » ، لا يبالغ ان
يختتمها متحمساً^(١) : —

ألستم من القوم الاثلى كان علمهم له كل جهل في الانام قتل
له همه ليس الظباة تفلها وان كان منها في الظباة فلول
ألا نهضة علمية عربية فتعش ارواح لنا وعقول
وبشجع رعديد ويعتز صاغر وينشط للسعي الخبيث كسول

ولو دققنا النظر في روح الشعر العربي في العهد الدستوري لوجدنا انه مع شدة تحمسه
للعصبة العربية ، ومفاخرته بأجداد العرب الاقدمين كان لا يزال عطفاً على الجامعة العثمانية ،
نفوراً من صلف المستعمرين الاوربيين واطماعهم . يدل ذلك على ذلك انه كان في اول الامر ينصر
الخطة اللامركزية التي كان ينشدها الاصلاحيون اعتقاداً منه انها ترمي الى تعزيز العرب ضمن
السلطنة العثمانية . فلما اشيع بواسطة الدعايات التركية ان للحركة الاصلاحية ولا سيما المؤتمر
العربي في باريس علاقة بالاستعمار ، وانها لذلك صدع للجامعة العثمانية^(٢) ، رأينا الشعر يقف
موقف المرتاب . بل رأينا بعض المتحمسين يتراجعون على الاعقاب — كمعروف الرصافي فانه

(١) ديوانه (١٩٣١) ٣٧١ (٢) راجع وصف هذه الدعايات في المنار ١٦ ص ٦٣٤ ، ٦٣٥

نظم بضع قصائد في ذلك . ومنها قصيدة موضوعها « ما هكذا » يحمل فيها على الاصلاحين
يقول : — (١)

أصبحت أوسعهم لوماً وتزيباً لما امتطوا غارب الافراط مركوباً
راموا الصلاح وقد جاءوا بلائحة خرقاء ترك شمل الشعب مشعوباً
لو كان في غير باريز تألبهم ما كنت أحسبهم قوماً مناكيباً
فاجتماعهم في باريس كان عنده مدعاة الى الاستعارة او توطئة له . وهو لذلك يتطير
منه فيقول : —

هل يأمن القوم ان يحتل ساحتهم جيش يدك من الشام الاهاضياً
يا أيها القوم لا يغركم نفر ضجوا بباريز افساداً وتشغيلاً
فسوف يقرع كل سنة ندماً ويسبل الدمع في الحدين مسكوباً
ولم يسكت الاصلاحيون عن حملات الرصافي فردوا عليه ردّاً عنيفاً وأجابهم بالمثل .
بل بلغ به الحال ان نظم فيهم قصيدته « ليلة نابغة » فبلاؤها بما يجب ان ينزعه الشعر عنه
من هجو وتشنيع (٢)

وقد اتهم الرصافي يومئذ بمشايعة الانزاك تزلفاً . او انه اخذ بالدعائيات التركية فكان في
حكمه متسرعاً . والذي يلوح لنا ان هذا الشاعر العربي لم يكن الوحيد في حذره من الحركة
الاصلاحية وغيرته على الجامعة العثمانية . فقد ظهر في انحاء مختلفة من البلاد العربية ما يشير الى
حذر الخلقين وخشيتهم من امتداد ايدي الاستعمار وتصديع جامعة الوطنية العثمانية
ومن ذلك هذه القصيدة التي أنشدت في بيروت ١٩١٣ وموضوعها « حديث خطير »
دهاك بعض ابياتها (٣)

حلكت السياسة حولنا متكاثف تقذى العيون به فليس بصير
في المشرق الادنى لظى متطائر وسعير نار بالوبال نذير
علقت بأطراف الشام شرارة منه فجاشت أقفس وصدور
وبعد وصف الحالة السياسية عموماً وحال البلاد السورية خصوصاً يقول الشاعر للاصلاحين
أحسبتم الاصلاح أمراً هيناً يكفيكم منه لحاً وقشور

فصراخكم عبثاً اذن وضجيجكم ووعود اوربا لكم تغرير
ما مثل عاصمة العواصم ملجأً كلاً وخير الابحر البوسفور
وكانه يعتذر عن هذه الحركة ويحاول تفسير أسبابها فيقول —

عرش الخلافة ما البلاد بثورة مهما علا فوق الطروس صرير
ما زال يجمع اهلها تحت الملال بظلك التوحيد والتكبير
وانما السبب الحقيقي في طلب الاصلاح ان الدستور لم يطبق كما يجب وان الحكم
لا يحكمون طبقاً للارادة السنية . فكانت النتيجة تشويش الاحكام وفقد الامن واضطراب
الاحوال الاجتماعية والاقتصادية : —

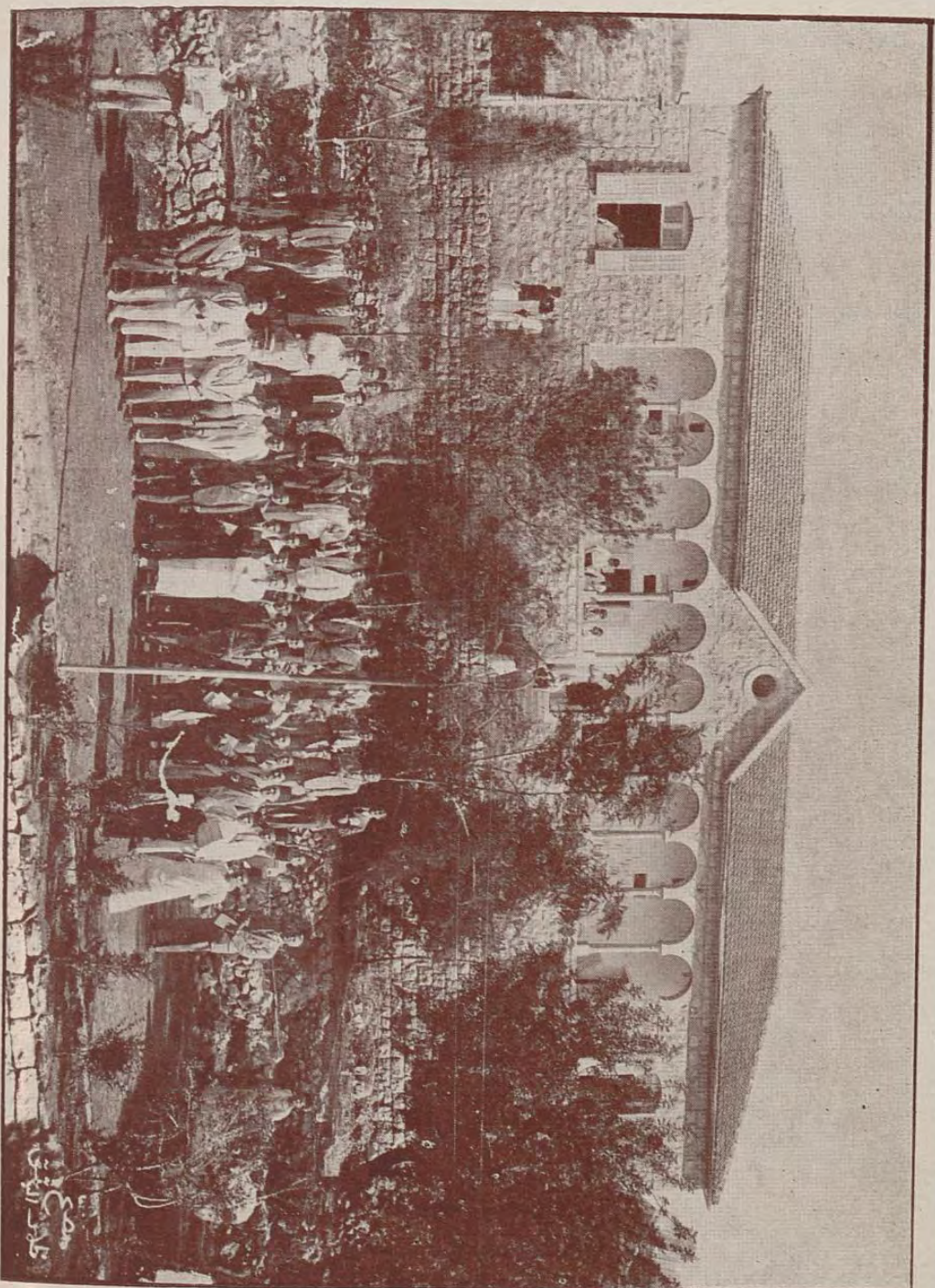
إن يشتكوا ألماً فليس لنقمة في النفس حرّ كما هوى وغرور
او يرفعوا صوتاً فسلّ حكاهم هل يحكمون كما قضى الدستور

ومثل ذلك قصيدة لشبلي الملائط انشدها سنة ١٩١٣ بمصر في حفلة تكريم خليل مطران .
وفيها يذكر حرب البلقان وما طرأ على الدولة العثمانية من طوارئ . ثم يشير الى ما كان قد
أشيع عن شماتة بعض العناصر العثمانية باضطراب الدولة وضعفها فيقول دفعاً لتلك الشوائع وتبياناً
لموقفهم من العرش العثماني : —

أخطا الأئلي نسبوا لبعض عناصرٍ منها شعور شماتةٍ وتحامي
فلنجن نعلم ان عرش محمدٍ خير لنا من سائر الحكم
بل نحن نفهم انه برّ بنا من كل محتكم من الآنام

والشاهد في هذه الايات وما تقدمها ان الشعر كان لا يزال يرى في العرش العثماني مؤثلاً
للشركيين وان الاصلاح لا يعني الانفصال عنه والالتجاء الى أمم الغرب . على ان ذلك لم يقف
دون انتشار الدعوة للقومية العربية والمطالبة بحقوقها في السلطنة . وقد أعلنت الحرب الكبرى
سنة ١٩١٤ وتلك هي العواطف السائدة في البلدان العربية . وقد علمنا في فصل سابق كيف
زُجّت تركيا في أوارها وكيف عم الاقطار السورية والعراقية الارهاب العسكري فضمت فيها
كل لسان حر وخبّت كل نزع قومية

وفد من المؤتمر الطبي المصري الملتئم في بيروت يزور المصح



مصح
بيروت

مصيح صهر الباشق

عمل انساني وقومي جليل

[اتبع لرئيس تحرير هذه المجلة ان يزور مصيح صهر الباشق في لبنان
خلال الصيف الماضي فأعجب بالعمل من حيث هو منشأة صحية من الطراز
الاول ومن حيث هو نتيجة للتضامن القومي في سبيل الانسانية فطلب الى
المشرفين عليه ان يتجفوا المقتطف بوصف نشاطه وتقدمه وطرق المعالجة فيه]

نبئت فكرة مصيح صهر الباشق في السنوات الاخيرة قبل الحرب العالمية وظهرت الى حين
الوجود بان أوقف المرحوم الدكتور بشاره منسى قطعة ارض من املاكه الخاصة في صهر الباشق
وبنى عليها بعض المحسنين غرفاً ولكن قبل ان يتم البناء ويغدو معداً لقبول المرضى انشبت
الحرب العالمية فوقف العمل شأنها في كثير من هذا النوع من الاعمال
وبعد الحرب العالمية تألفت في بيروت جمعية مقاومة السل وكانت في اول امرها مستقلة عن لجنة
مصيح صهر الباشق كل الاستقلال الى ان كانت سنة ١٩٢٣ فانفق الفريقان واحداً غيراً وعملاً
وتألفت جمعية جديدة تحت اسم جمعية الملجأ الصحي التدرني ومقاومة السل في سوريا ولبنان .
والقصد ادارة مصيح صهر الباشق والسعي الى توسيع نطاقه لتعظم الخدمة التي يسديها الى الانسانية
والجمعية هذه وطنية ظاهراً وباطناً تعمل بثقة مثثة النواحي ثقة الجمعية بصحة المشروع
وقائده وتناجيه الحسنة، وثقتها بغيره ابناء البلاد واندفاعهم لمساعدتها، وفي الاخير ثقة ابناء البلاد
بالفائمين بالعمل والمشرفين على ادارته

﴿ موقع المصح ﴾ صهر الباشق راية من روابي جبل لبنان تعلو عن سطح البحر ما يزيد
عن ستمائة متر تقرب من بلدة برمانا وتطل على منظر خلّاب تتفاوت فيه المبهجات الفاتنة بين
بحر الروم الواسع الارزاء وما يظهر على اقسام لبنان من آكام رمادية اللون وغيرها مكسوة
بالاخضر الدائم وغيرها متشعبة بالالوان المتعددة وكل منها بلون خاص بها تبدو لمن في المصح جذابة
خلابة عند غروب الشمس . وبالاجمال انها مناظر فاتنة تختلف باختلاف الفصول والايام ولكنها

في كل حال تبعث في النفس بهجة وأملًا وتنثر على العقل ازهار النصور والخيال فينسى ساكن هذه البقعة ما هو فيه ويطلق العنان للتأمل في جمال الطبيعة وقدرة الله فيها . وموقع المصنع من جهة الهواء غاية في الملاءمة فلا هو بارد قارس في الشتاء ولا هو حار مرهق في الصيف . بل الاعتدال فيه على أمته في الفصلين . والمصنع قرية صغيرة قائمة بذاتها أبنيتها تزيد على العشرة في كل منها جميع أسباب الراحة وهي مختلفة الهندسة والحجم ولكنها كلها موقعة بحيث تصل أشعة الشمس الى كل ناحية من نواحيها والى كل زاوية في غرفها . وعين الشمس قد لا تغضب عن واحدة منها كل النهار

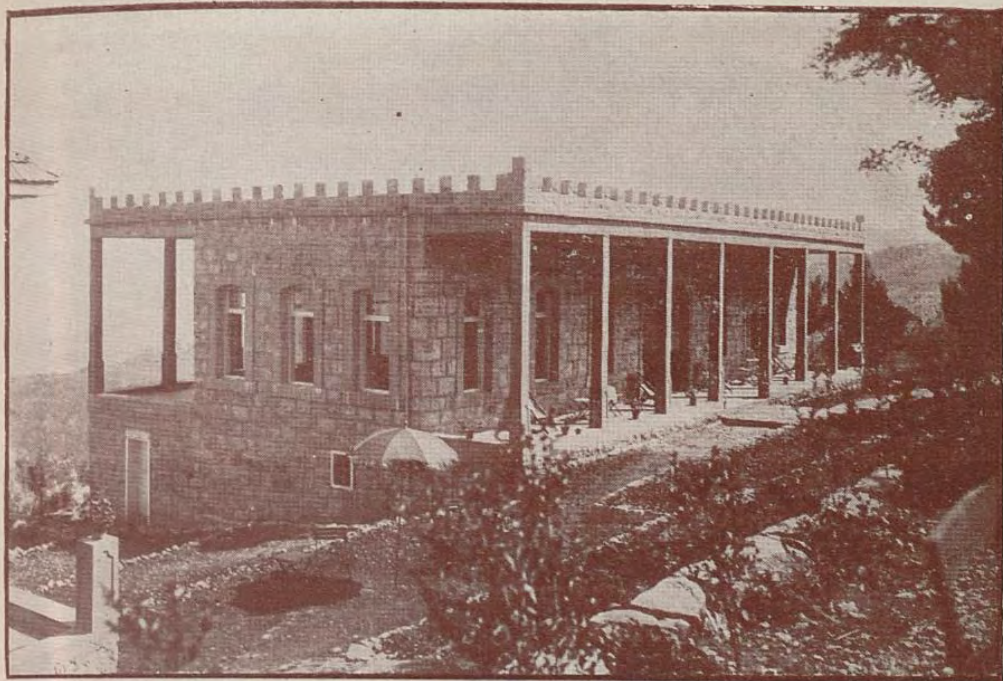
ومن ينظر الى المصنع يخاله لأول وهلة قرية من قرى الاصطياف الحديثة الجميلة ويحيط بالمصنع حراج من الاشجار الشائعة في آكام لبنان وهي تزيد الموقع جمالاً ولا تمنع أشعة الشمس عن الغرف

﴿ ادارة المصنع ﴾ يقوم بادارة المصنع لجنة من سيدات بيروت ورجالها يمثلون الطوائف المتعددة في البلاد وطبقات خاصة من عائلات بيروت العلمية والادبية والتجارية على رأسها السري حبيب بك طراد وينوب عنه الوجيه عبد الله بك بهم فهذا التشكيل في الادارة حبب العمل الى أهل البلاد وضمن للمصنع عطف طبقات البلاد بأجمعها وجعل لكل منها حصه فيه ﴿ مال المصنع ﴾ لكل نوع من النفقة مورد خاص من المال فالقسم الكبير من الابنية أشياء

بوقف خاص من الحسينين يحد الزائر على عتبة كل بناء منها اسم من أفتق على تشييده
أما نفقة التطبيب ومعالجة المرضى وما يقتضيه الامر من إعاشة وتمريض وإدارة وخدمة فتقوم به الجمعية بما تمنحه من أموال الحسينين واشتركت الاعضاء ورسوم المرضى وقد خصصت جمعية اغاثة سوريا في بوسطن من أعمال الولايات المتحدة القسم الوافر من جهودها اذا كنا لا نقول كله لمساعدة هذا العمل

وقام منذ مدة بعض اخواتنا المهاجرين في أميركا الجنوبية ونظموا جمعية تعمل كجمعية اغاثة سوريا في بوسطن والجمعية هذه توقفت عن العمل من عهد قريب بعد ان جاهدت سنوات عديدة ﴿ مرضى المصنع ﴾ يأتون من بلدان الشرق الأدنى جميعها وهم من طوائف عديدة وبدرجات اقتصادية مختلفة فمنهم من يدفع الرسم الكامل للدرجة الاولى ومنهم من يحل ضيفاً على المصنع وبين الدرجتين سلسلة من الدرجات المعروفة في جميع المستشفيات . وقد خصصت الحكومة اللبنانية باباً في ميزانيتها لتطبيب خمسة عشر مريضاً في المصنع

﴿ التطبيب والتربص في المصنع ﴾ والامران يتمان على أحدث الطرق وأشدّها اتقاناً . يتولى أمر الطبابة لجنة من الاطباء على رأسها الدكتور نعمة نخو الاختصاصي المعروف . وفي المصنع طبيب



بناية وقف السيدة ايزابل بشرى في مصحح ظهر الباشق



بقيم هو الدكتور احمد سلامة . ثم في المصحح عيادة خاصة لطب الاسنان يتولاها احد اطباء بيروت المشهورين

وقد اعترفت الجامعة الاميركية بمقام المصحح العلمي ولذلك جعلته من عداد المستشفيات التي تفرض على طلبتها التمرن فيها قبل نيلهم الشهادة الرسمية . ويتولى التمريض ممرضتان قانونيتان باورهما عدد من الممرضات اللواتي كسبن بالخبرة والمرانة مقدرة في العمل كافية لمزاوته واقفانه **﴿ مكتبة المصحح ﴾** وفي المصحح مكتبة جمعت كتبها من رجال الادب المحسنين وهي موضوع نسالة للمرضى وقد نظم المرضى أمرها بحيث يتسنى لكل مريض الانتفاع بها وفي الوقت نفسه المحافظة على الكتب . غير ان المكتبة صغيرة بعدد كتبها فالمجال واسع لارباب الادب الذين يشعرون بالمسؤولية نحو اخوانهم في البشرية لاهداء مؤلفاتهم اليها . والكتب العربية أكثر الكتب طلباً وشيوعاً في المصحح ولا سيما ما كان منها يبحث في تاريخ بلدان الشرق الادنى . وعدد كبير من المرضى على درجة كافية من العلم فيلذ لهم مطالعة الكتب الاجتماعية والجرائد السياسية الى ما هنالك من نتائج الحركة الادبية في البلدان العربية

كان معدل عدد المرضى في سنة ١٩٢٤ ما يقارب العشرات الثلاث الاولى أما اليوم فيزيد عددهم عن العشرات الثلاث الاولى بعد المائة ومعدل الشفاء يقرب من العشرين في المائة والتحسن الاجمالي ما يعادل ٥٣ في المائة والوفيات لا تزيد عن ١٠ في المائة وهذا بحسب احصاء يتناول الاربعة عشرة سنة الاخيرة

وقد دخل المصحح هذه السنة ولد في الخامس الاولى من حياته مقوس الظهر معوج الفخذين لسل قوي في عظامه فاستعان الطبيب بالمعالجة المصححية وبأشعة الشمس وها هو ذا اليوم وقد استقام ظهره وكادت فخذاه ان تستقيما

(١) طرق المعالجة

يسهل جداً شفاء حوادث التدرن الرثوي اذا اتبع المريض الامور البسيطة التالية : —
في الدرجة الاولى على المريض ألا يتعب رقبته بامتاعه عن الكلام بصوت عالٍ والضحك والمشي بسرعة وتسلق الحبال وصعود السلالم وكل ما من شأنه ان يزيد عمل الرئتين . والاكثر من الطعام لا يقل عن هذه ضرراً ولو كان الاعتقاد السائد عكس ما ذكرناه اعلاه . والحاجة الى استعمال الادوية واستخدام العقاقير قليلة جداً ولا يلجأ اليها الا في حالات خاصة
اما الطرق المتبعة في المصححات ومنها مصحح ظهر الباشق فهي المعروفة بالمعالجة المصححية

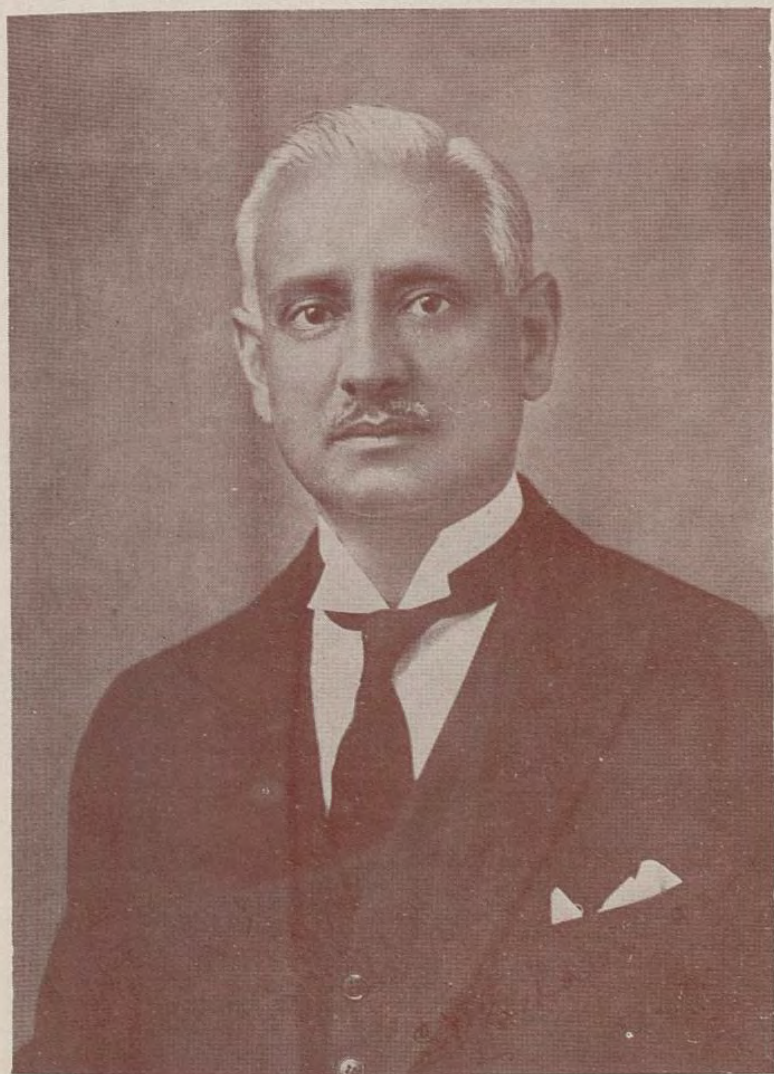
Sanatorial Treatment وهي مبنية على ما جاء أعلاه من الوسائط المتبعة لراحة المريض راحة تامة وما أبسط هذه المعالجة وأسهلها

ولتكون هذه المعالجة فعالة يشترط بأن تكون حالة المريض في بدء المرض بحيث يكون انتشار الكهوف والتجاويف في الرئة الواحدة أو الرئتين قليلاً ولكن من الأمور المقررة ان المرضى لا يلجأون الى المصححات الا بعد ان يتجاوز المرض الدرجة الاولى حيث المعالجة الصحية المار ذكرها لا تكفي لشفاء العليل ويجب ان يضاف اليها بعض المعالجات الجراحية وهي المعروفة عند الاخصائيين في العالم أجمع . أما الالتجاء الى الجراحة فلا يمكن القول به الا بعد مراقبة المريض ومتابعة سير المرض شهراً أو أقل وهذا للحكم في هل تمكن اراحة الرئة بالجراحة راحة تامة . والأمر الاول الذي نجريه هو المعروف بالابرة الهوائية Artificial Pneumothorax والعميلة هذه كناية عن ادخال مقادير معينة من الهواء الى التجويف البيلوري في أوقات معينة بقصد التخفيف على الرئة في عملها او توقيفه مؤقتاً . وهذه الطريقة متبعة في جميع المصححات وفي أحبان كثيرة تجري العميلة على الرئتين لراحتهما اما في وقت واحد واما لراحة كل منهما في وقت غير وقت راحة الاخرى . وكثيراً ما تساعد هذه الطريقة على شفاء المريض وقد صارت من العمليات السهلة البسيطة بفضل تقدم الفن في اجراء العميلة وفي صنع الآلات المختصة بها

وقد يحول دون اتمام هذه العميلة عوائق أهمها التصاقات بيلورية تمنع ادخال الهواء ودخوله ولهذا يضطر الطبيب الى الاعتماد على وسائط اخرى خارجية كوضع اكياس رمل على صدر العليل لتضغط هذه على اضلاعه فيصغر حجم الصدر وتقلل حركة الرئة

وهناك وسائط جراحية كاستئصال عصب الحجاب الحاجز او قطعه فقط او توقيفه مؤقتاً عن العمل بحقنه بالكحول . وقد يضطر الطبيب الى استئصال عصب الحجاب الحاجز في الرئتين معاً وهذا الامر قليل الانتشار ولا يلجأ اليه الا عند نقاد الحيل جميعها واخفاها

أما في الحالات التي يكون فيها المرض قد تقدم في درجته وتكون الكهوف والتجاويف قد صارت كبيرة جداً لا تكفي معها الوسائط التي تقدم ذكرها فتلجئ الى عمليات اكبر واكثر خطراً وهي قطع الاضلاع . وقد مهر الاخصائيون بهذه العمليات فصاروا يجرونها بلباقة ورشاقة على المريض بحسب حاجته . وهذه العميلة الآن منتشرة في عالم المصححات وهي معروفة عندنا وقد أجريناها في حالات صعبة وكانت نتائجها حسنة جداً . وكثيراً ما تساعد هذه العميلة على شفاء المريض الامر الذي قد يكون مستحيلاً بدونها



العالم الهندي الدكتور السر شاه محمد سليمان

متحدى أينشتاين

في الهند

الركنور السرماء محمد سلجانه

للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي

— ١ —

ليس اهل الشرق ممن لم يفيض عليهم القدر سجالات عرفه من عبقرية وذكاء وحصافة وبصيرة كما أفاض على الغرب . بل تجد كثيرين بينهم أوفر حظاً وأعلى مكانة فيها من أمثالهم في الغرب . غير أنه ينقصهم التربية الصالحة والظروف الموفقة . فكم عبقرى فيهم ملكت عليه التربية الغير الصالحة مذهبها ، وكم نابئة صالحة من الذكاء المتوقد بينهم قتلها الظروف قبل ان تنضج وتثمر وكم برعوم وضيء من الحذق الحاد أذبلته عواصف الحال قبل ان يتفتح ويفوح

على ان الشرق مع ذهاب التربية الصالحة وفقدان الظروف الموفقة ، ومع ما حل بساحته من مكروه الرق ، وتكاثر لديه من مريض العبودية ، فاصطلحت عليه أعاصير الحياة ونزلت به آلام البؤس ، فأصبحت الفوضى الفكرية والاقتصادية فيه ضاربة الاطناب محتلة الجوانب ، مع كل هذه الموائق الصارفة والعراقل الرادعة استطاع ان ينجب غير واحد من العبقرى والذكي والحصيف والبصير ، سبّاقى الغايات مدركى النهايات ، حازوا شأو السبق في حلقات العلم والادب ، وأحرزوا فوز النضال في شؤون الاجتماع والسياسة ، فبلغوا في قلوب الشعوب به مكانة لا يستباح ذمارها ، ونالوا في محافل العلم عزة لا يهضم جانبها

لسنا بصدد ان نستقصي لك مناقب هؤلاء نحر الشرق وذخره جميعاً ، ولا ان ندلك على موضعهم من حدة الذكاء واحداً واحداً ، ولا ان تنبهك على موقعهم من سعة العلم فرداً فرداً ، ولا ان نعلمك بمشهدهم من قوة البصيرة أحاداً أحاداً . فانه امر بعيد المناول منبع المطلب يعوزه المجلدات الضخمة ، اذ كل جزء من الشرق قد أنجب غير واحد من هؤلاء الرجال العظام ، والشرق واسع الارحاء مترامي الاطراف أتى بالطم والرم منهم من الزمن الغابر الى العصر الحاضر غير اننا سنتحدث اليك اليوم عن عبقرية برزت اخيراً في اعس اجزاء الشرق وأبأسها الذي رماه

الزمان بسهامه وصدمه بكلكاه، فتابته خطوب العبودية وتخزنته بوائق الرق، ففشيته غشم المستعبد واحفاه حيف المستعمر، قدس على ابنائه عقاره، وأرسل يدهم نياربه، فأفسد ذات بينهم وزرع البؤس فيهم فزادت احزانه، وكثرت اشجانه، وتتابعت همومه وتراكت غمومه، ألا وهو الهند لقد استطاعت الهند، بصرف النظر عن ماضيها الزاهر، ان تنجب في العصر الحاضر وفي مثل تلك الاحوال السيئة شخصيات بارزة عديدة في ميدان الاجتماع والسياسة، وفي جلبه العلم والادب. فلا نحسبك تحتاج الى ان نحادثك عن غاندي، وطاغور، واقبال، وبوز، ورامان، ونهرو، ومحمد علي، واجمل خان، والانصاري، وشبلي، وراي، وسروجيني نايدو وبمك شاه نواز اذا كنت من متبعي الحركات العلمية والادبية والاجتماعية والسياسية في الشرق، ومن يغشون أدبية العلم والادب، ومحافل الاجتماع والسياسة فيه ويلقون سمعهم وهم شهداء الى ما يطالب فيها نشره ويحجل ذكره. وعليه فقد تكون بلغت تلك الاسماء مسامعك غير مرة لانها مفخرة الهند ومجوم لامة في سماء الشرق ولكننا نظن ان ليس ابو الكلام احمد، وشاه محمد سليمان الى الآن سمع أذنك اما الاول فهو من كبار حملة العلم وأهم دعاة الوطنية في الهند وأرسخهم في العلوم القديمة الاسلامية والحديثة الاجتماعية وأرجحهم سداداً وأفضلهم ذكاءً، وأبرعهم كتابةً وأصقعهم خطابةً باللغة الاردية. لسانه أرق من ورقة وألين من سرقه^(١). اذا كتب وضع الهناء مواضع النقيب، واذا خطب فل الحزب وأصاب المفضل. ونحن سنحسمر عن مآثره في العلم والادب ومعاله في السعي لتحرير الوطن في فرصة أخرى اذا وفقنا الله تعالى لذلك

أما الثاني وهو الذي نحن بصددده فهو امام في علوم القوانين لا يدرك شأوه وحجة في علوم الرياضة لا يشق غباره. وما يهجم من مظاهر عبقرية دفعة، ويأتي من نشاطه ما يملأ العين غرابة هو انه مع كثرة واجباته ووفرة اشغاله، إذ يتقلد مناصب حكومية واجتماعية وعلمية عديدة كما ستعلم فيما بعد، استطاع ان يشتغل بأهم العلوم دقة وأكثرها صعوبة اشتغالا علمياً حقيقياً لا يقدح فيه اخلاصه ولا يطعن عليه صدقه. فأتيج به اتاجاً وأبدع فيه ابداعاً حيث أتى في عالم العلم بنظرية شهدت له بالذهن المتوقد والبصيرة النافذة، ودلت على منزلته من سعة الذرع وقوة الحجى، إذ أخفقت نظرية العلامة اينشتين في النسبة ونقضتها فاستوقفت انظار كبار العلماء الرياضيين والطبيين في العالم وملكت أفكارهم وتناولت خواطرهم ونالت اعجابهم. وقبل أن تتحدث اليك عن تلك النظرية يجدر بنا ان نرف اليك ترجمة حياة صاحبها بالايجاز لنحيط بمكانه من حدة الذكاء، وموضعه من بسطة العلم، ومبلغه من علو الثقافة خبراً

انحدر صديقنا المفضل الدكتور السر شاه محمد سليمان عن سلالة كريمة، لها المجد المؤئل

والشرف الموروث ، لان رئيسها الاعلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولذلك فيته في الهند شهر الاثر علماً ومعلوم المفاخر أدباً ، هجر احد رؤسائه بلاد العرب وتوطن دهلي — حاضرة الهند الاسلامية — في عهد السلطان علاء الدين الخلاجي ^(٢) . فلما أغار تيمورلنك على الهند ونهب دهلي في سنة ١٣٩٨ م انتقلت الاسرة من دهلي الى بلدة جونتور . ومن جونتور برزت شخصية احد أجداده القريين له في العلوم والمعارف وهو النابغة العلامة مؤلف محمود الجونتوري المتوفي سنة ١٠٦٢ هـ الذي كان حاد الذهن متضلماً من العلوم العقلية والرياضية والفلسفية ومن جهابذة اهل النظر فيها في عصره حيث أشير اليه بالبنان وشدت اليه الرحال وله في الفلسفة والحكمة والعلم والادب كتب نفيسة عديدة أهمها وأشهرها « الشمس البازغة » . وعلى هذا فتبوغ صديقنا الفاضل شاه محمد سليمان في الحقيقة مثال للتبوغ الورائي

ولد شاه محمد سليمان في سنة ١٨٨٦ ميلادية في جونتور وكان والده شاه محمد عثمان رحمه الله من المحامين الاذكياء المشهورين فيها وعالماً بارعاً وشاعراً فوطن على تربية اولاده وتعليمهم بنفسه وقام به اتم قيام . كان شاه محمد سليمان من نعومة اظفاره مرهف الذهن حاد الذكاء فاجتاز مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي في أقل مدة ونال شهادة Matriculation في سنة ١٩٠٢ من جامعة الله آباد ^(٣) فكان رابعاً في الجامعة على حسب ترتيب الجدارة بين الناجحين في الدرجة الاولى . ثم انتظم في الكلية للتعليم العالي ونجح في امتحان Intermediate في سنة ١٩٠٤ فكان ثانياً في الجامعة على حسب ترتيب الجدارة بين الناجحين في الدرجة الاولى . ثم نال شهادة B.A. في العلوم الرياضية في سنة ١٩٠٦ فكان اولاً في الجامعة قاطبة على حسب ترتيب الجدارة بين الناجحين في درجة الشرف . فاستحق به مدالية « اقبال » الذهبية من الجامعة ومساعدة من الحكومة للاستزادة في العلوم وتيسير المراء منها وولاء البحث فيها بجامعة كمبودج في سنة ١٩٠٧ سافر شاه محمد سليمان الى انجلترا ودخل جامعة كمبودج ونال منها في سنة ١٩٠٩ شهادة M. A. في العلوم الرياضية العليا بدرجة الشرف ، وفي سنة ١٩١٠ شهادة L.L.B. في علوم القوانين بدرجة الشرف من نفس الجامعة . وفي ١٩١٠ ايضاً حاز شهادة المحاماة Barrister at Law من جامعة لندن . وفي سنة ١٩١١ شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة دبلن . والله قد أضفى عليه ذكاءً حاداً بغوص أعمق الامور بسهولة ، وفكراً ثاقباً يخرق أسجف الستور بسرعة حيث أصبحت له أصعب العلوم كالرياضيات أطوع من بناءه فما شابهها مثل

(١) تولى الامر في الهند من سنة ١٢٩٥ الى سنة ١٣١٦ ميلادية (٢) لايتحقق أن اقامة الامتحانات لجميع الشهادات المختلفة في الهند من حق الجامعات ، ولا علاقة لها بالحكومة أو وزارة المعارف كما توجد في مصر

الالعب الرياضية طبعاً لم تمص له أمراً . وعليه فشاه محمد سليمان من أمهر لاعبي الشطرنج لذلك كانت جامعة كمبردج حين دراسته فيها قد أُنابته عنها للعبارة في لعب الشطرنج مع جامعة اكسفورد فَناب عنها أحسن مناب

رجع شاه محمد سليمان في سنة ١٩١١ الى الهند مزوداً بالعلوم والمعارف ومستعداً لخدمة الوطن فبدأ يمارس صناعة المحاماة أولاً في مقاطعة جونفور ثم لدى المحكمة العليا في الله آباد في سنة ١٩١٢ . وفي مدّة قليلة نال شهرة واسعة لبراعته في القانون ، وسمعة حسنة لاخلاصه في العمل ، فعين في سنة ١٩٢٠ قاضياً متدياً وهو شاب يناهز ٣٤ . وهذا أمر لم يسبق له نظير فان ذلك السن أقل من المعتاد لتقلد القاضي منصبه في الهند . ثم عين قاضياً مستديماً في سنة ١٩٣٢ . وبعده عين رئيساً متدياً للمحكمة العليا في الله آباد في سنة ١٩٣٠ ثم رئيساً مستديماً في سنة ١٩٣٢ وفي ١٩٣٧ انتخب قاضياً منازاً للمحكمة الاتحاد الهندية Federal Court of India التي أنشئت أخيراً في دهللي عاصمة الهند طبقاً للإصلاحات الجديدة وهي الآن أعلى الحاكم في الهند بأسرها ماعدا منصب القضاء العالي الدائم هذا وما له من الشأن من جهة اشغاله المتواصلة وواجباته المتتابعة التي تفرس صاحبه غفّة وتقتنصه نهزة وتختطفه نهبة استطاع شاه محمد سليمان ان ينهض في نفس الوقت بأعباء عدّة مناصب حكومية علمية اجتماعية هامة أخرى لا يشوبه خلل ولا يعتريه أود ولا يخالطه وهن ولا أمت . فقام بمهمة العضوية من قبل الحكومة في لجنة التحقيق في شعب بشاور في سنة ١٩٣٠ ، وفي محكمة الضرائب بلندن في ٣ — ١٩٣٢ كما قام بمهمة الرئاسة في اللجان الاقليمية العديدة أحسن قيام

أما مناصبه وأعماله العلمية فهو أحد مؤسسي المدرسة الاسلامية الثانوية في الله آباد وكان رئيساً لها . واشتغل سنين سكرتير القسم الداخلي الاسلامي بجامعة الله آباد ، وهو اليوم وكيل الرئيس فيه . وهو عضو هام في المجالس التنفيذية بالجامعة الاسلامية بعليقره وبالجامعة الله آباد وبمجمع العلماء الهندستاني في اقليم أودّه . اشتغل منصب المدير بالجامعة الاسلامية بعليقره متدياً في سنة ٣٠ — ١٩٢٩ . ومنحه الاتحاد الجامعي في تلك الجامعة منصب العضو الدائم لطول مدة حياته في سنة ١٩٣٠ . وفي سنة ١٩٣٤ منحه نفس الجامعة شهادة الدكتوراه الفخرية في الحقوق اعترافاً بفضلّه وتكريماً له . وفي أوائل السنة الجارية انتخبه المجلس التنفيذي في تلك الجامعة مديراً لها . وعلاوة على كونه اليوم مديراً للجامعة الاسلامية بعليقره هو أيضاً رئيس كلية كروسويت للبنات في الله آباد ، وراعي نقابة العلوم الرياضية في الله آباد ، ونائب الرئيس في جمعية العلوم الرياضية بكلكتته ورئيس مدرسة مصباح العلوم العربية في الله آباد . ومع ذلك لا يجد قرصة الا وينتهزها ولا نهزة الا ويغتنيها لالقاء المحاضرات العلمية لعامة الناس في المراكز

العلمية مثل جامعة الله آباد وجامعة لسهنؤ ، وجامعة عليقره ، وجامعة بنارس ومن مناصبه واعماله الاجتماعية العلمية انه يتقلد اليوم منصب الرئيس بمصححة الملك ادوار السابع التذكارية في بووالى . وقد رأس مؤتمر مسلمي الهند الاجتماعي في مدراس في سنة ١٩٢٧ ورأس مؤتمر مسلمي الهند التعليمي في اجمير في سنة ١٩٢٨ وكذلك رأس حفلة توزيع الشهادات بجامعة دِكا في سنة ١٩٢٩ ، وبالجامعة الاسلامية بعليقره في سنة ١٩٣٤ ، وبالجامعة العثمانية بجيدر آباد في سنة ١٩٣٧ . ورأس ايضاً حفلة اكااديمية العلوم في سنة ١٩٣٤ وحفلة نقابة العلوم الرياضية في سنة ١٩٣٦ وحفلة جمعية علوم الفلسفة بجامعة الله آباد في سنة ١٩٣٧ . والى في كل حفلة من تلك الحفلات خطبة علمية بليغة ناسب مقتضى الحال ، ودلت على رغب المجال ، فأبانت فصاحة لهجته وجزالة منطقته وبرهنت على طول باعه في العلوم ورسوخ قدمه في الفنون

على انه ليس مجرد تقلد المناصب العديدة مما يقاس به عظمة الرجل ، ولا بلوغ المراتب السنية مكيال لرفعة قدر الانسان وعلو كعبه . بل كفاءته التي تضطلع بأعباء المناصب ولا تنوء وهمته التي تقوم بالواجبات ولا تأود ، وحصافته التي تصل الحق في اعماق الامور ولا تكدر ، ودهاءه الذي يشق الطريق بين الخطوب ولا تزعج ، ولن تجدي هذه المزايا نفعا اذا لم تكن مصحوبة بالاخلاق السامية في الاعمال والمعاملات ، فان الاخلاق أساس كل فضيلة ورذيلة في العالم وبصدر كل فوز وخيبة في الحياة . فالاخلاق العالية هي التي تبني من تلك المزايا لعظمة الرجل مناراً لا ينهدم وترفع لها راية لا تلتكس ، فتوضح به للناس سبيلاً لا يخفى ، وتبين لهم منهجاً لا يبلى وعليه فشاه محمد سليمان ليس ممن بلغوا تلك المناصب العالية ، فصعروا خدودهم للناس عجباً ، وشبوا في الارض مرحاً ، وعكوا من دونهم بالعصا ، فخطوهم القضا ، بل هو طيب العشرة محمود اللابسة للغني والفقير ، والرفيع والوضيع ، والمشهور والمغمور ، والخطير والحقير ، لين العريكة دنت الطبع رحب الصدر كريم السجايا لا يخيب آمله ولا يُعْدم آثله ولا يحرم سائله . كما هو ذكي لودعي وبصير ألمعي ، أسبغهم جدارة بتلك المناصب غير مدافع وأفضلهم كفاءة لها غير معارض ، صادق العزيمة ماضي الصريمة ، داهية في تصريف الامور الصعبة الانقياد والشديدة الاتواء ، ذو ذوق علمي سليم دقيق النظر يستجلي غوامض العلوم ويستبطن دخائل الفنون ، واسع الاطلاع ، غزير المادة ، حصيف العقدة بحر في العلوم الرياضية لا يسر غوره ، سند في علوم القوانين قل ان يوجد مثيله . وقصارى الكلام انه ذو اوصاف وعبقريه يحق لصاحبها ان يكون مفخرة الارض التي نبت عنها كما هي ايضاً قينة بأن تفتخر به وتباهى

هذا ما عن لنا الآن من سيرة الدكتور السر شاه محمد سليمان صاحب النظرية النسبية الجديدة التي تحدّى بها العلامة آينشتين بإيجاز . وموعداً للحديث عن تلك النظرية المستقبل

مجالي الفكر

الحديث

في الفلسفة والعلم والسياسة

(١) — مرشد لفلسفة الاخلاق والسياسات

الاستاذ جود عميد قسم الفلسفة وعلم النفس بكلية بير كبك بجامعة لندن كاتب قدير ومفكر ممتاز وفي الرعيل الثاني من ممثلي الفلسفة الانجليزية في العصر الحديث ولعله أقدرهم جميعاً على ترويض الجروح وتذليل الصعب من المشكلات الفلسفية ، وللرجل نزعة كريمة ترمي الى اذاعة الفلسفة وتقريبها الى الافهام وجعل الاهتمام بها عامّاً شاملاً غير مقصور على فئة قليلة من أساتذة الجامعات وطلاب العلم ، وقد وفق الى حد كبير في ادراك غايته وتحقيق برنامجهِ واعانه على ذلك بلاغة أدائه وبراعة أسلوبه ومقدرته الفائقة على التبسيط والتيسير ، وهو لا يلتزم في كتاباته الجدل الصارم والوقار المترنم الذي يصطنعه بعض كتاب الفلسفة وإنما يسوغ على كتبه بطريف ملاحظاته مسحة ادبية تجعل قراءتها رحلة هائلة وممتعة مستحبة

وآخر كتاب أصدره هو « المرشد لفلسفة الاخلاق والسياسات » وأخص ما يسترعي النظر في هذا الكتاب الجديد هو نزاهة الاستاذ جود في عرضه للمبادئ والنظريات التي تناهز مذهبهِ الفلسفي الخاص وتنقض افكاره من اساسها ، ومعظم اصحاب النظريات عندما يتصدون لعرض الآراء والمبادئ والتعاليم المخالفة لمذهبهم يمسخونها — ولو عن غير قصد — ويظهرونها في صورة تبعث في كثير من الاحيان على النفور والخلاف . وقد تجلت مقدرة جود على الاعتدال وضبط النفس عند عرض الافكار التي لا يدين بها في هذا الكتاب كما ظهرت في كتابه السابق « مرشد الفلسفة » . ولجود اطلاع واسع دقيق على تاريخ الفلسفة وهو يتبعها الى مراحلها

(1) Guide to the Philosophy of Moral & Politics. By C.E.M. Joad. (Gollancz)

الآخيرة وصورها المستحدثة وبمسن العرض ويجيد التنسيق ويعرف كيف يخرج لك من المادة المتكثرة كلاً حياً متصل الحلقات جيد التسلسل

وكتابه الجديد مقسم الى أربعة اجزاء ، وقد كسر كل جزء على جملة فصول تتناول شتى نواحيه ، وقد تناول في الجزء الاول الفلسفة السياسية والاخلاقية عند اليونان واسماء السياسة والاخلاق لان اليونان في تفكيرهم الفلسفي ، كانوا ينظرون الى الاخلاق والسياسة من حيث هائىء واحد ، فمشكلة البحث عن طبيعة الحياة الصالحة للفرد ومشكلة معرفة طبيعة المبادئ التي تسيطر على اجتماع الافراد او يجب ان تسيطر على الافراد في المجتمعات كانتا عند اليونان وجهين لمسألة واحدة ، وكانوا يرون انك لا تستطيع ان توفق في علاج احدى هاتين المشكلتين دون ان تبحث الاخرى وتهدي الى موقف خاص حياها ، وليس في وسع انسان ان يقرر ما هو أحسن نظام للمجتمع دون ان يفكر في حياة الافراد وسبل اسعادهم ، وآراء أفلاطون في هذا الصدد تطابق آراء ارسطو

وتناول في الجزء الثاني الاخلاقيات منفصلة عن السياسيات وذلك لانه منذ عهد احياء العلوم قطعت الصلة بين التفكير السياسي والتفكير الاخلاقي وصار ما كان يراه اليونان وحدة لا تنقسم عروتها فرعين مختلفين من فروع التفكير ، وقد حرص التفكير اليوناني على استدامة العلاقة بين الاخلاق والسياسة وحاول الابقاء عليها ولكن بحىء المسيحية وجعلها أساس الحياة في الحياة الاخرى وذهابها الى ان مدينة الله هي منزل القدس وموئل الروح وتهوينها أمر المدينة السياسية مهد السبيل لهذا الانفصال ، ثم ظهرت البروتستنتية فأتمته ، وتوفرت الفلسفة الاخلاقية على بحث معنى الخير والشر ومقياس السلوك الحسن والخلق الفاضل وأصل الواجب الادبي وهل الحق والباطل من المبادئ الاساسية المستقلة بذاتها في الكون او هما مجرد أسماء يلقيها الانسان على الاشياء التي يقرها او التي لا يقرها بحسب أهوائه واتجاه مصالحه ، وهل الحق هو العمل الذي يرضي الحاسة الاخلاقية او هو الذي ينبعث من ارادة حرة او مجرد العمل الذي يسفر عن نتيجة محموددة وأثر طيب ؟ واذا كان هو الذي يسفر عن النتيجة المحموددة والاثر المبرور فما هو ذلك الاثر وما معناه ؟ وواضح انه من الصعب ان نجاب عن مسألة معنى الخير دون ان نببحث مسألة معيار العمل الصالح لانه اذا كان للخير معنى فان العمل الصالح اذن هو الذي يزيد هذا الخير وينميه وذلك بطبيعة الحال لا يستلزم الخوض في السياسة ومعالجة مسائلها ، ومن الممكن البحث في طبيعة الواجبات والالتزامات الاخلاقية وأصلها ومصدر سلطتها دون الاشارة الى المبادئ القائمة عليها الاجتماع الانساني الذي نسميه « المجتمع » وكثير من كتب الاخلاق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قد أشبعوا البحث في الفلسفة الاخلاقية دون ان يدعموا آراءهم

بتوضيح تأثير آرائهم الاخلاقية من الناحية السياسية او الاجتماعية والقارىء قين ان يلحج من ذلك ان المسيحية انما مهدت السبيل لفصل الاخلاق عن السياسة لانها جعلت حياة الانسان الحقيقية ليست في هذه الدنيا وانما في العالم الآخر ، فالحياة الدنيا زائلة فانية والحياة الأخرى هي الخالدة الباقية ، وحياة الانسان الدنيوية هي بمثابة اعداد وتجربة وقيمتها رهن بالعناية التي يتم بها هذا الاعداد والتهيو ، والصالح في هذه الدنيا انما هو صالح لانه مدرجة الى نيل السعادة في المعالم الآخر ، فليس الصالح للانسان هو الصالح للحكومة كما يعتقد فلاسفة اليونان وانما الصالح هو ما اعان على خلاص الروح واستنقاذاها وهو يتحقق في أهر صوره وأشرق مجاليه في ملكوت الله لا في مملكة قيصر وعالم الارض ، والحكومة لا تلعب دوراً هاماً في تقريب ذلك العالم السماوي وربط اسبابنا باسبابه ، وكانت الحكومة من الناحية العملية تستلزم من الفرد بعض العناية والالتفات والمجهود الذي يحرص الفرد على بذله في سبيل الله والدنو من ملكوته ، وولاء الفرد لله كان في العصور الوسطى شديد الصلة بولائه للكنيسة ومن ثم كانت هناك نظرية سياسية في العصور الوسطى تحاول التفريق بين مطالب الحكومة ومطالب الكنيسة ونشأت تبعاً لذلك فكرة السلطة الروحية والسلطة الزمنية وكان يمثل الاولى البابا ويمثل الثانية الملوك والحكام

واوقف المستر جود الجزء الثالث من كتابه للكلام عن السياسة وذلك لانه منذ انتهاء عصر احياء العلوم مع في آفاق التفكير كثير من الكتابات تناولوا بحث السياسة منفصلة عن الاخلاق وكان مدار بحثهم اصل المجتمع والحاجات الانسانية التي نشأ منها والاهتداء الى المبادئ المسيطرة عليه ، والبحث في ضوء تلك المبادئ عن احسن صورة للمجتمع الانساني وهل الاوفق للانسان الحكم الفردي (الاولوقراطية) او حكم الاقلية (الارستقراطية) او حكم الجميع (الديمقراطية) ؟ واذا كان الحكم الارستقراطي هو أحسن الانظمة فما هي المؤهلات التي يجب أن تتوفر في الفئة القليلة المختارة ؟ واذا كان حكم الاكثرية هو أحسن صور الحكم فما هي الاساليب التي يحسن اتباعها في انتخاب ممثلي تلك الاكثرية ؟ وما مدى السلطة التي يمنحها الناخب للنائب ؟ والنائب ان لم يزود بالسلطة السكافية فان الحكومة النيابية لا تستطيع المضي في اعمالها ، وليكن اذا منح سلطة أكثر مما ينبغي فما هو الضمان الذي يمنع من اساءة استعمال هذه السلطة ؟ وما هي حقوق الفرد في علاقته بالحكومة ؟ وما هي حدود سلطة الحكومة ؟ وهل للحكومة سلطة أكثر من السلطة المستمدة من الافراد الذين تتكون منهم ؟ لقد بحث هذه المسائل هوبز ولوك وروسو وهجل وماركس وسبنسر ولم ينظروا الى علاقتها بالاخلاق وفي الجزء الرابع يرينا المستر جود كيف عاد الفرعان الى الالتقاء في المذاهب السياسية السائدة

وهو يرى ان عودة الاتصال بين الاخلاق والسياسة من ملامح القرن العشرين البارزة وسماته الكثيرة الدلالة ، والحقيقة عنده ان السياسة متصلة بالاخلاق اتصالاً وثيقاً . والقرن العشرين على حق في الرجوع الى توحيدها ولكنه في الوقت نفسه يصارحنا بأن رجعة القرن العشرين الى فكرة ربط الاخلاق بالسياسة لم تخل من قلب للوضع الاصلي ولم تسلم من تشويه للفكرة القديمة وحقيقة ان الحياة الصالحة للانسان لا يمكن تحقيقها بمعزل عن المجتمع ولكن النظرة الحديثة تعتبر حياة الفرد الصالحة مجرد جزء من صلاح المجتمع وقد أدى ذلك الى مبالغات والتواءات في التفكير الحديث الذي يعتبر الفرد من ناحية كونه واسطة لخير المجتمع ، وفقد المستر جود هذا الاتجاه بتوضيح نظريته التي سبق له ان شرحها في مختلف مؤلفاته وهي ان الفرد غاية في نفسه وان وظيفة الحكومة هي ان تفسح له المجال وتعد من اجله الفرصة

وخلاصة القول ان كتاب المستر جود فضلاً عن قيمته الثينة لدارسي الفلسفة من احسن المراجع وأوثقها لفهم النظريات السياسية الحديثة التي تعمل وراء حوادث هذا العصر المضطرب الجائش ولا مفر لمن اراد ان يفهم العصر على الوجه المرضي ويدرك لب حوادثه وخفايا انقلاباته من الاطلاع عليه وانعام النظر واطالة الفكر فيما بين سطوره

٢ — العلم والمجتمع^(١)

في الاجتماع السنوي الذي عقده مجمع تقدم العلوم البريطاني في خريف سنة ١٩٣٦ ألقى رئيسه السر يوشيا ستامب خطبة جعل مدارها العلم والاجتماع . ومما قاله فيها ان العالم او المخترع كان الى الثالث الاول من القرن الماضي ، ينتظر بعد الفوز بكشف او مخترع تأييد أمير عظيم أو ثري كبير . ولكن رجال الحكومات واقطاب المال والاعمال غدوا وهم أشد ميلاً الآن الى تشجيع الباحثين على البحث واجازتهم بغير وسيلة واحدة على ما يكشفون او يستنبطون بغية استقلال مكتشفاتهم ومستنبطاتهم . فكانت النتيجة ان الفترة التي كانت تنقضي بين الكشف والاستنباط من ناحية ، ووصولها الى مرتبة التطبيق الصناعي الواسع النطاق ، أصبحت قصيرة الآن وهذا أبعث على احداث انقلابات فجائية في احوال المجتمع لضيق الوقت المتسع للتمثيل الاجتماعي والملاءمة الاقتصادية . ثم انتقل الخطيب الى بيان الهوة التي ما برحت قائمة بين العالم والاقتصادي والسياسي . فالعالم قلما يعني بنتائج كشفه واستنباطه مع ان ثمارها من أفعال العوامل

(1) Science for the Citizen, by Lancelot Hogben. Published by Allen and Unwin Ltd, London. 12/6

في أحداث التحول الاجتماعي ، وإذا عني بها ، فعنايته تُحصر في الغالب في تعديد الفوائد التي تغدقها مكتشفاته ومخترعانه على الناس ، ولا تتمدها الى تبين الهزات الاجتماعية والرجات الاقتصادية التي تحدثها . فكان المنطقة التي تحصل فيها الهزة والرجة ، وكيف يجب ان تنقيا ، كانت منطقة حراماً على الباحثين . فالعالم كان يحسبها خارجة عن نطاقه الخاص . والاقتصادي قلما اعترف بأن الواجب عليه يقضي بدراسة هذه الناحية من الموضوع . والحكومات كانت تقف بمعزل عما هو حادث الى ان تتفاهم العواقب . فترية العالم كانت لا تشتمل على تبصيره بعواقب عمله من الناحية الاجتماعية . وترية السياسي والاداري كان يعوزها تدريبهما على فهم تقدم العلم وما يقتضيه من ملاءمة الكيان السياسي والاجتماعي له . فلما وقع الاصطدام انكر كل من يهمة الامر ان الامر من شأنه

هذا بيان الاصل الذي تردُّ اليه مشكلة الحضارة الحديثة مشكلة الفاقة والقلق حذاء الثروة التي يغدقها العلم ، وشبح التفتيل والتدمير ازاء ما يبده العلم للسيطرة على قوى الطبيعة المتمردة . وقد اقترحت عدة مقترحات لعلاج الداء وردم الهوة بين العلم والاجتماع كاقترح السريوشياستاب ان تكون العلاقة بين العلم والاجتماع ، وتأثير العلم في المجتمع ، مجالاً لبحث علمي منظم . وقد قام الاستاذ جوليان هكسلي حفيد هكسلي الكبير يبحث رائد في هذا الموضوع ضمنه كتاباً نفيساً . الا ان الاستاذ لونسيلوت هوغبين مؤلف كتاب « العلم والمجتمع » رأى ان يتغلغل في ماهو أعرق من ذلك في دراسة هذا الموضوع ، فكتب ملخصاً للعلم غلب عليه في بحث تطوره القاريخي تأثير العلم الاجتماعي في مختلف العصور . فاذا قرأه القارىء افاد منه فائدتين الاولى حقائق العلم مبسطة تبسيطاً يرضي الخاصة ويلذ العامة ، والثانية نظرة اجتماعية شاملة لتأثير العلم في تطور الاجتماع البشري ان الشأن الاول في نظر الاستاذ هوغبين ، هو لذلك القلق الذي يساوره من ناحية جمهور كبير آخذ في الازدياد من الشبان والشابات الذين يعلمون انهم سيكونون الضحايا الاولى لقوى التدمير الناشئة عن سوء تطبيق العلم . فالعلم كان من افعال العوامل في نشوء هذا المجتمع المضطرب والعلم وحده هو الذي يملك وسيلة العلاج . فليعلم الشاب والشابة ان اقطاب العلوم اكتبهم التيارات الاجتماعية التي كانت سائدة في البصور المختلفة . بسط لها جهدك قواعد العلوم المختلفة . وفسر لها اسلوب البحث العلمي . ثم أجّل لها ان العلم ليس « الفظة المنظمة » بل « العمل المنظم » وعندئذ يدرك هؤلاء الشبان والشابات السبيل الى انقاذ انفسهم وانقاذ العالم يقول الاستاذ هوغبين ما ملخصه : أطلق العلم في القرن الماضي قوى جديدة لتنظيم الاجتماع تقصر عن ادراكها وفهمها التربية السياسية التي تعودناها . فمن سبعين سنة كان في مكنتنا ان نبحث مشكلة الفاقة وهل هي مما يساغ من الوجهة الاخلاقية او مما يجنب من الناحية المادية .

ولكن ذلك قد تغير. فالفاقة اليوم ليست شيئاً يتعذر اجتنابه من الناحية المادية. والحرب ليست زهرة اخلاقية. انها تهدد بناء الحضارة بالانهيار، اذ نحن لم نستأصل شأقتها بنفس السرعة والشدة اللتين استأصلنا بهما الجدري والملاريا والحمى الصفراء

ومن الواضح ان الهدف الذي يتوخاه الاستاذ هوغبين، وهو تعليم الناس وطبع العلماء بشعور التبعية الاجتماعية، عمل عظيم الشأن وعمر المسلك ولكنه من افراد العلماء الذين في وسعهم ان ينهضوا بهذا العمل. فقد نشأ ورسخ في دراسة علم الاحياء من الناحية الاجتماعية. وهو يعتقد ان معاهدنا العلمية لا تدرس العلم كما يجب ان يدرس. ثم انه علاوة على هذا وذاك بارع البراعة كلها في تبسيط العلوم واذا كان قد ادخل على فصوله بعض المعادلات الرياضية فلأنه يحترم ذهن القارئ. ولانه يسوقه الى المعادلة برفق وعناية فلا يشعر القارئ عند بلوغها انه امام شيء لم يدركه في رواية اخذة. ولذلك لا يخجلنا شك في ان كتابه هذا سترك الأثر المتوخى في جمهور القراء، بل وفي جمهور اساتيد العلوم وهو اهم. لانه متى ادرك اساتيد العلوم — على نحو ما بين السر يوشيا ستامب — انهم اعضاء في جماعة تتنازعها عوامل الانتقال والانقلاب، فلعلهم يتحولون الى تخرج الالف من الطلاب كل سنة ينطلقون في العالم حاملين رسالة العلم على انه « قوة اجتماعية ». ولا نستبعد بعد النجاح المرتقب لمثل هذا المؤاخذ ان يصبح نموذجاً لمؤلفات اخرى تنسج الى منواله

كان الغالب على الظن حتى الآن، من دراسة سير العلماء، ان الرغبة في اقتحام المجهول، واستطلاع الحفي، كان المحرك الاول لهم على البحث والكشف. ولكن الاستاذ هوغبين لا يرى كيف يمكن ان نفسر بهذا الرأي اختراع المضخة البخارية في الوقت الذي كانت انكلترا في أشد الحاجة الى جهاز من قبيلها لنزح المياه من مناجمها. ولا كيف قامت صناعة قطران الفحم الحجري ومركباته في المانيا، وهي البلاد التي تحتاج أشد الحاجة الى المواد الأولية مما حتم عليها ان تحمي من القليل الذي لديها أعظم ما تستطيعه من الفائدة. والرأي عنده ان الضرورة الاجتماعية هي التي تلمي على العالم الموضوع الذي يجب ان يتجه اليه ويفرق فيه وقته وجهده، وهذا لا يمنع ان يكون اندفاع العالم في هذا السبيل على غير وعي. منه لانه ان عصره متأثر بأحواله وتياراته والاستاذ هوغبين ليس أول من ذهب هذا المذهب ولكنه حتماً أول عالم وضع كتاباً على هذا الاساس، كتاباً هو في الوقت نفسه تاريخ للعلم ومدخل الى تفسير العلم تفسيراً اجتماعياً والعلم عنده يتقدم عند ما تبدو في عصر ما حاجة اجتماعية لا بد من الاستجابة لها، ولان ذلك العصر يكون قد جمع بين أسلوب وافٍ للبحث والاستكشاف والباعث عليهما قال: — ان قصة العلم، سواء أبا المحض وصفناه أم بالمطبق، ليست منفصلة عن حياة

الانسان . فما ندعوه علماً محضاً لا يعيش الاً في نظام اجتماعي يخلق للعالم مشكلات يجب حلها ويجهزه بوسائل وأجهزة لذلك الحل . فلولا الطباعة لما شعرنا بالحاجة الى المناظر (النظارات) ولولا المناظر لما كان لنا المجهر ولا المرقب . ولولاها لما أدركنا حقيقة سرعة الضوء المطابقة وبعد النجوم باختلاف الزاوية والحيوانات الدقيقة والاختار والاسباب الجرثومية للأمراض . ولولا الساعة ذات الرقاص والقذيفة لما كان علم الحيل (دينامكس) ولا نظرية الصوت . ولولا علم الحيل الناشئ من الرقاص والقذيفة لما كان كتاب المبادئ (برنسيبيا الذي وضعه نيوتن) . ولولا التعدين تحت أطباق الارض لما شعرنا بالحاجة الى دراسة ضغط الهواء والتهوية والانفجار

ويمكن ان يقال بوجه عام ان كتب العلم العامة تحتوي على فصول لا رابط بينها — فصل في الطبيعة وآخر في الفلك وثالث في الكيمياء ورابع في الاحياء وهكذا ، كأن كلاً منها علم نشأ على حدة نشوءاً مستقلاً . ولكن ذهن الاستاذ هوغبين ذهن فيلسوف يهوى التركيب . وهو يميل الى الاخذ بالصور الذهنية العامة التي توجه الموضوع . ولا سيما الصور والمبادئ الاجتماعية . فاقباله على كتابة مؤلف في العلم ، من الناحية الاجتماعية ، يسبغ على فصول كتابه وحدة واتساقاً فترى العلوم المختلفة فيه وهي سائرة في طريق الارتقاء جنباً الى جنب

والكتاب خمسة اقسام اولها القسم الذي عنوانه « غزو الوقت والقياس » وفيه يتناول الساعات والتقويم والفلك والهندسة والملاحة والميكانيكا من الناحيتين التاريخية والفنية . ويليه « غزو المواد » وهو يتناول نشأة الكيمياء الحديثة ورد اصولها الى حاجات المعدنين والنساجين . ثم القسم الثالث وعنوانه « غزو القوة » وهو بحث في نشأة الطاقة الميكانيكية والكهربائية ولكنه بحث مرتبط باحوال الاجتماع الرأسمالي والثورة الصناعية التي أحدثها الحرك البخاري . ثم القسم الخاص بغزو « الجوع والمرض » ولعله خير الفصول جميعاً لان الاستاذ هوغبين احيا في نشأته واحيا في اجتماعي في تزعمته وعمله . هنا فصول متتالية متباعدة تشتمل علوم الاحياء والطب والتطور المضوي من الوجهتين العلمية والفنية والاجتماعية . ثم اخيراً القسم الخاص بغزو « السلوك » وفيه يعالج الجهاز العصبي المركزي وعلم النفس ويشرح سلوكنا الانساني وبواعثه . ويختم الكتاب بفصل يحفل فيه المؤلف فلسفته الاجتماعية ونتائج بحوثه

وليس بعيد ان يكون اثر هذا الكتاب وما ينسج على منواله كثر « الانسكلوبيدي » التي قام ديدرو على وضعها في القرن الثامن عشر . فلقد ضمته الاستاذ هوغبين زبدة المعارف العلمية التي جمعها الناس وحققوها خلال قرون طويلة ثم هو فسرهما على ضوء الحاجات الاجتماعية القديمة والمعاصرة ثم قدمها لانباء العصر الحديث أداة للإصلاح الاجتماعي

٣ — المعاصرة الفكر (١)

للورد نلسن أمير البحر البريطاني وبطل معركة الطرف الاغر قول مأثور في تاريخ الاسطول البريطاني وهو «ان أسطولاً من السفن الحربية البريطانية خير المفاوضين في أوروبا». ومن هذا القول المأثور — الذي وضعه مؤلف هذا الكتاب على صفحة على حدة امام فصله الاول — استخرج المؤلف عنوان كتابه . وغرضه من فصوله ان يصف ما كان للاسطول البريطاني في البحر المتوسط من شأن في حوادث البلدان الواقعة على ضفاف هذا البحر من لدن عقدت الهدنة مع تركيا في أواخر الحرب الكبرى واحتل الحلفاء الاسبانية الى نشوب الحرب الاهلية الاسبانية وما لازمها من اعمال الرقابة على سواحل اسبانيا وحماية طرق المواصلات البحرية من جبل طارق الى قناة السويس

والمؤلف كان ضابطاً بحرياً في الاسطول من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٢ فلما خرج من الاسطول برتبة «لفتننت كوماندر» اتخذ الكتابة والتأليف صناعة له فكان المكاتب البحري لجريدة المورتنج بوست مدى اربع سنوات قبل اندماجها في الديلي تلغراف. وهو الآن المكاتب البحري لجريدة «الصندي تيمس» ومقالاته في الموضوعات البحرية تنشر في أهم المجلات العالمية تجلى لك معرفته بشؤون الاسطول في التفصيلات الممتعة التي يطالعك بها في كل صفحة من صفحاته : أسماء السفن الحربية المنوعة التي اشتركت في مختلف الحوادث وتنقلها من قاعدة بحرية الى أخرى واسماء القواد والضباط واحوال السفن نفسها والروح المعنوية التي تسود رجالها واستعماله المصطلحات البحرية الفنية في المواقف الخاصة. ومع انه لا يشير ولا ناشر الكتاب يشير الى انه كان ضابطاً في أسطول البحر المتوسط وشهد بنفسه معظم الحوادث التي يصفها فانك لا تكاد تسر قليلاً في مطالعة الكتاب حتى يلوح لك انه كان ضابطاً فيه وذلك لدقة الوصف حتى نحس كأنك كما يصف بمشهد

الفكرة الاساسية التي يقوم عليها الكتاب هي كما قلنا وصف اعمال الاسطول البريطاني في حوادث البلدان الواقعة على ضفاف البحر المتوسط من احتلال اسطنبول الى حريق ازمير الى حادثة كورفو الى ثورة فلسطين (١٩٣٦) الى حوادث النزاع الخطير الذي لازم المشكلة الحبشية

(1) The Grey Diplomats, by Lt-Comdr. Kenneth Edwards, Rich & Cowan London 15/-

الايطالية الى الحرب الاهلية في اسبانيا ومسائل عدم التدخل والرقابة وحماية المواصلات البحرية بعد مؤتمر نيون

وعند المؤلف ان حادثة جزيرة كورفو كانت حداً فاصلاً بين الزمن الذي كان فيه للاسطول البريطاني في البحر المتوسط من الهيبة والمقام ما جعله سيد مياهه ، والزمن الذي بدأت فيه ايطاليا تظهر كدولة بحرية قوية تنازع بريطانيا سيادة البحر المتوسط وتطمح الى ان تحلها فيه. ويذكر القراء ان سبب تلك الحادثة اغتيال لجنة الحدود الايطالية في جانينا باليونان (٢٨ اغسطس سنة ١٩٢٣) وان السنيور موسوليني بعث بيلاغ نهائي شديد الى حكومة اثينا وبمعظم الاسطول الايطالي الى مياه جزيرة كورفو فضرب الجزيرة بقنابله . وعندما سالت السلطات اليونانية في كورفو أنزل فصيلة من البحارة الى البر. فلما احتجت اليونان الى عصبة الامم تنكر موسوليني للعصبة ولم يقم لها وزناً وأصر على ان يححو عار الاغتيال بعمل حاسم فكان له ما أراد عندما نقلت جثث القتلى على احدى المدرعات الايطالية إذ حُمِلَت السفن الحربية اليونانية في مرفأ فاليريون بكورفو على رفع العلم الايطالي تحيةً وتكفيراً . وتلا ذلك انسحاب القوات الايطالية من الجزيرة

ويلوح مما جاء في كتاب « السياسة الغير » ان ضباط الاسطول البريطاني في البحر المتوسط أدركوا مغزى هذه الحادثة ولكن رجال السياسة البريطانية في لندن — البعيدين عن حوادث البحر المتوسط المنهمكين بالمشكلات المعقدة التي أورتهم ايّامها الحرب الكبرى — لم يدركوا ذلك المغزى او انهم أدركوه ولكنهم شغلوا عنه بما بدا لهم أخطر شأناً منه . وكذلك والت الحكومات البريطانية المتتالية نقص الاسطول البريطاني بالمعاهدات البحرية المختلفة وفرضت على رجال الاسطول ممارسة سياسة الاقتصاد والتوفير في كل باب من الابواب

هذه الخطة التي جرت عليها الحكومة البريطانية أضعفت الاسطول وحدت من كفاءة رجاله . وللكوماندركينيث أدوردز فصلان هما السابع والثامن من كتابه بسط فيهما هذه الناحية من الانحطاط في قوة بريطانيا البحرية وهو انحطاط استمر نحو اثنتي عشرة سنة من بعد تصفية حادثة كورفو في سنة ١٩٢٣ الى النزاع الحبشي الايطالي في سنة ١٩٣٥

جرباً على خطة الاقتصاد المفروضة على الاسطول أصبحت السفن تقضي في المرفأ وقتاً أطول مما تقضي في عرض البحر وأصبحت المناورات تجري والسفن تسير بسرعة ١٢ عقدة في الساعة بدلاً من ان تسير بسرعة ٢٠ او ٢٣ عقدة في الساعة وهي السرعة المتوقعة في أية معركة بحرية. وغني عن البيان ان الضابط الذي يقود سفينة حربية في معركة ما بسرعة ٢٠ او ٢٣ عقدة في الساعة لا يستطيع ان يتدرب على حسن ادارتها في مناورات تسير فيها بسرعة ١٢ عقدة فقط.

ومن هنا احتمال نشوء خطأ في تنفيذ الخطط البحرية واحتمال حدوث الاصطدام وهو ما وقع فعلاً في بعض المناورات . نعم ان رجال الاسطول حافظوا على مستوى النظافة العالي الذي جرت عليه تقاليدهم ولكنهم حافظوا عليه محافظة سلبية لا ايجابية أي أنهم امتنعوا عن كل ما يلطخ لانه فرض على كل سفينة — في هذه الفترة — ان تصنع بنفسها الدهان المستعمل لتنظيف النحاس والخشب وغيرها

ومن هذا القيل القيص في رجال الاسطول وفي الذخيرة والعتاد الحربي ومن أبلغ الامثلة على ذلك انه لما نشبت الازمة الحبشية واضطرت الاميرالية البريطانية ان تخرج من الاستيداع سفناً لتجهيزها واستعمالها كانت لا تجد ما يكفيها من البعارة المدربين في بعض الاحيان . أما الذخيرة فقد روى مؤلف هذا الكتاب ان الاسطول المرباط في مالطة في أغسطس ١٩٣٥ كان لا يملك من الذخيرة الا ما يكفي لمركبة واحدة — لو اضطر الى الحرب — وبعد ذلك تصبح وحداته سفناً جوفاء (صفحة ١٦٨) . وما يدلك على حقيقة هذه الحالة ان المؤلف جمل عنواني هذين الفصلين « تفقر » ثم « ثورة وفئة » !

الا ان حوادث الحبشة والتحدي الذي وجهه الى الامبراطورية البريطانية الذي كان منطوياً في تلك الحوادث ، أبقى في الشعب البريطاني غريزة الدفاع عن النفس فبذلت الحكومة البريطانية جهداً جباراً لمواجهة الحالة — اذا اقضى الامر — بأكبر قوة بحرية تستطيع ان تحشد في البحر المتوسط ولو جردت القواعد الاخرى من القوات اللازمة لها

هذه الفصول أمتع ما في كتاب كله تمتع لانها تتصل بحوادث كان لمصر فيها شأن كبير من حيث الاستعداد الحربي الذي تم في هذه البلاد لمواجهة الطوارئ ومن حيث اتخاذ مرفأ الاسكندرية مرفأً لا كبر جانب من الاسطول البريطاني بعد خروجه من مالطة ومن حيث ما قيل عن امكان الهجوم على مصر والسودان من لوبيا والاربره

ثم انها تحتوي على حادثة الطيارة الايطالية التي سقطت على مقربة من الماطة وهي في طريقها الى الاربره وما قيل عن « صندوق اسود » كان فيها ، يحتوي على أوراق ووثائق خطيرة الشأن . فقد روى المؤلف ان هذا الصندوق نقل الى دار المفوض السامي البريطاني (السفارة البريطانية الآن) فروى ان الاوراق التي فيه يجب ان تصل الى لندن حالاً وبطريقة مأمونة . ثم روت الصحف في اليوم التالي ان السكابتين بلاك أحد مشهوري الطيارين الانكليزي قام من لندن الى القاهرة بغية التفوق في سرعة الطيران الى جنوب افريقية . فلما وصل مطار الماطة قيل ان عطلاً أصاب طيارته فلا يمضي في رحلته . فماد الى لندن بدون توقف في اليوم التالي — وكان يحمل معه الصندوق الاسود ! ثم هناك تفصيلات الرواية التي رويت عن نية السنيور

موسوليني ان يضرب الاسطول البريطاني ضربة قاضية وهو محتشد في مالطة يوم ٣٠ اغسطس سنة ١٩٣٥ وكيف عرفت الحكومة البريطانية بذلك فلم تظهر انها عازفة ولكنها أصدرت الأمر بخروج الاسطول الى عرض البحر في ٢٩ أغسطس وما روي عن غضب السنيور موسوليني عند ما علم بذلك . هذه الحوادث والروايات وعشرات غيرها تجعل الكتاب أخذاً كالرواية ، بل من المتعذر ان تحتوي أية رواية يخلقها الخيال من معنى النضال والدرامة أكثر مما تنطوي عليه هذه الدراما الواقعية

بعد ذلك جاءت ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ فكان للاسطول فيها شأن ففصله المؤلف ثم نشبت الحرب الاهلية الاسبانية فتعين على الاسطول البريطاني القيام بأعمال الرقابة على سواحل أسبانيا تنفيذاً لحطة عدم التدخل بالاشتراك مع أساطيل إيطاليا وفرنسا والمانيا وحماية السفن التجارية البريطانية من سفن الفريقيين المتنازعين وطياراتهم ، ثم استفحل خطر الغواصات وعقد مؤتمر نيون فحمل الاسطول البريطاني في البحر المتوسط جانباً كبيراً من تبعة حماية المواصلات البحرية فيه وقد فصل المؤلف في هذه الفصول حادثة الاعتداء على الطراد الألماني «دويتشلند» وهو الاعتداء الذي أفضى الى ضرب ثغر المرية بأسبانيا ، ثم بسط ما قيل عن اعتداء قصد به اغراق الطراد الألماني «ليستش» وهو الذي أفضى الى انسحاب المانيا وإيطاليا من مشروع الرقابة على سواحل أسبانيا . ويلى هذا تفصيل حوادث مختلفة مما قرأناه في الصحف ولم نعرف ما كان يجري بشأنه في الوزارات والسفارات

واذا كان من المتعذر على كاتب هذه السطور ان يجمل في مقال ما فصله الكاتب في ٣٢١ صفحة فانه مقتنع بأن ما تقدم يكفي للدلالة على محتويات الكتاب واتجاهه العام وعند الكاتب ان برنامج الدفاع القومي الذي هبت بريطانيا الى تنفيذه بعد حوادث الحبشة على أثر الانتخاب العام الذي تم في نوفمبر سنة ١٩٣٥ قد أخذ بعيد الى الاسطول البريطاني سطوته الماضية وكفاءته التاريخية وهو لذلك يختم كتابه بفصل وازن فيه بين العوامل المختلفة في الموقف البحري في البحر المتوسط وخلص منه الى القول بأن موقف بريطانيا فيه قوي ويزداد قوة رويداً رويداً . فقد بني للاسطول البريطاني في سنة ١٩٣٧ من الطرادات أكثر مما بني له في أية سنة تلت انتهاء الحرب الكبرى وسيتم في سنة ١٩٣٨ صنع أكبر عدد من المدمرات صنع في سنة واحدة بعد سنة ١٩١٨ وستشهد سنة ١٩٤٠ انجاز المدرعات الضخمة

وعنده كذلك ان فتح إيطاليا للحبشة وكون بريطانيا لا تريد إلا تأمين مواصلاتها الامبراطورية في البحر المتوسط بجعلان مصالح بريطانيا متممة لمصالح إيطاليا وان موسوليني أدرك ذلك والامل معقود على التفاهم التام بين الدولتين

٤ — بريطانيا والحاكمون بأمرهم^(١)

يكاد الباحث في شؤون أوروبا الدولية يكون كالسائر في تيه لكترة ما يواجهه من المعاهدات والتحالفات والعهود وما يصطدم به من تيارات السياسة الظاهرة والخفية وما يطالع من حقائق تتعلق بالشعوب وتوزيعها والخطط الاقتصادية وتشابكها ووجوه الخلاف في القواعد السياسية والاجتماعية والفلسفية التي تقوم عليها نظم الحكم وتستند اليها مراعي الحكم فالباحث في حاجة الى دليل في هذا النيه . وكأن كتاب الفرنجة أدركوا هذه الحاجة فهب المؤلفون الى التأليف ودور النشر الى النشر فنفجنا الاستاذ كول بكتاين وسمهما باسم الدليل احدها لحالة أوروبا الاقتصادية والاخر لحالتها السياسية . وطلع الصحافي الاميركي جون غنتر على العالم بكتابه « داخل أوروبا » وهو الكتاب الذي نال شهرة عالمية واعيد طبعه مراراً كان مؤلفه في كل مرة يضيف اليه ما يجد في حلبة النضال الدولي . ومن قبيل هذه الكتب كتب اخرى تختلف أسلوباً واتجاهاً ولكنها تتماثل في الغرض الاساسي

ولعله يصعب على الباحث ان يجد مرشداً له في تيه السياسة الاوروبية بعد الحرب الكبرى خيراً من الاستاذ سيتون وطسون استاذ تاريخ أوروبا المتوسطة في جامعة لندن . فنذ ما نخرج في جامعة اكسفورد ودرس في برلين وباريس وفيها اكبر خاصة على التوفر على شؤون أوروبا المتوسطة وشرقها الجنوبي وله في ذلك مؤلفات نفيسة في تاريخ النمسا وهنغاريا والبلقان علاوة على اشتراكه في اصدار مجلة « أوروبا الجديدة » و« المجلة السلافونية » . ثم انه تعاون ماساريك وبنيش في السعي الى تحقيق استقلال تشيكوسلوفاكيا وتربطه باقطاب يوغوسلافيا ورومانيا اواصر صداقة متينة واذا كان الاستاذ كول قد جعل كتابيه عرضاً تاريخياً لشؤون أوروبا الاقتصادية والسياسية أصله في القرن التاسع عشر وفروعه في العشرين واخرجه متسماً بسمة عقيدته الاشتراكية ، واذا كان الصحافي غنتر قد أدار فصول كتابه من حول اقطاب أوروبا القابضين على أزمته المتصرفين بمقدراتها وخصائصهم النفسية ، فان الاستاذ سيتون وطسون جعل كتابه بحثاً تاريخياً معاصراً يتناول الفترة التي تلت معاهدات الصلح . بل ان معظم فصول الكتاب يدور على الظواهر السياسية التي طالعت الجمهور في العشر السنوات الاخيرة من مثل قيام النظام النازي في المانيا والفاشستي — ولاسيما حوادث الحبشة — في ايطاليا وتطور النظام السوفيتي في روسيا

والكتاب تغلب عليه وجهة نظر خاصة وهي بيان حالة هذه الدول الدكتاتورية الكبيرة وصلها بالسياسة البريطانية . فالمؤلف بطبعه ونشأته يمتد الدكتاتورية نظراً وتطبيقاً ولكنه يعترف

(1) Britain and The Dictators, by R. W. Seton-Watson, Cambridge University Press, 12/6

بما فيها مما يستهوي الجماهير ولا سيما في دول غلبت على امرها وقيدت بقيود ثقيلة كالمانيا اوظفرت ولكن حرمت مما وعدت به كإيطاليا او بلغ فيها مستوى الحياة الاجتماعية أدنى دركات الانحطاط كروسيا . فما تعثر عليه من الصراحة في بعض صفحائه مما يحمله أقرب الى الكاتب الصحفي منه الى الاستاذ المؤرخ ناشى عن اعتقاده بأن مصير جامعة الامم البريطانية ومعه مصير المنشآت الاجتماعية الحرة في العالم . علق الآن في ميزان القدر . ولكن ذلك لا يمنعه عن بحث تسوية الحرب الكبرى بحثاً وافياً لبيان ما ارتكبه الحكومة البريطانية وسائر الدول المنتصرة من الاخطاء . ولا عن التساؤل عما يمكن القيام به لاصلاح الحال واجتناب الكارثة

والاستاذ سيتون وطسون دقيق الاستقصاء لا تقوته شاردة ولا واردة من اقوال الزعماء ولا من كتابات الصحف المسؤولة في مختلف بلدان اوربا . الا ان علمه الواسع وحاطته النامة لا تضجرك فصورة الدراما واضحة في ذهنه والفلم سيال تعينه قريحة متوقدة وتسعفه طبيعة الحوادث الخطيرة نفسها

الجزء الاول من الكتاب في منزلة توطئة لفصوله الرئيسية فهو يعالج اولاً الخطط السياسية البريطانية قبل الحرب الكبرى وقواعدها ثم خطة بريطانيا في أثناء النضال العالمي . وبلي ذلك تحليل دقيق لتسوية الحرب الكبرى

وفي بحثه تسوية الحرب الكبرى يدفع عنها بعض ما وجه اليها من التهم ثم يأخذ عليها ما أخذ خمسة هي رفض الحلفاء ان يناقشوا الالمان في قواعد التسوية مما وسع معاهدة فرساي بسمة الاملاء . ثم انه يأخذ عليها ربط ميثاق العصبة بمعاهدات الصلح ، وتحميل المانيا وحدها تبعه الحرب ، والقول بان المانيا لا تصلح لادارة شؤون المستعمرات ، والشدة المتناهية في نصوص التسوية الاقتصادية

ومما يستوقف النظر ان المؤلف المؤرخ لا يأخذ على تلك التسوية الحدود الجغرافية الجديدة التي وضعت بمقتضاها لانه يحسب انها حققت مبادئ « الاتولوجيا » على قدر ما يمكن تحقيقها وعند الاستاذ سيتون وطسون ان بريطانيا لا تحمل تبعه هذه الاخضاء وحدها . ولكنها تحمل وحدها تبعه خطأ آخر هو في نظره خطأ كبير . ذلك انه لما أبت الولايات المتحدة الاميركية الانتظام في معاهدة الضمان الثلاثية لضمان سلامة فرنسا صرفت بريطانيا نظرها عنها كذلك فأنشأت في فرنسا شعوراً بالقلق على سلامتها مما حملها على السعي للفوز بحلفاء آخرين في اوربا وجعلها تبدو في مظهر الراغب في السيطرة على اوربا والاحداق بألمانيا . وهذا سلب بريطانيا جانباً كبيراً من النفوذ في مجامع فرنسا كانت تستطيع — لو قبلت معاهدة الضمان — ان تستعمله وتصرفه الى ما تراه خيراً

وليس في وسع الكاتب ان يلخص في فصل موجز أهم ما في الكتاب فكل صفحة من صفحاته تفصل شؤوناً تتصل بحياتنا اليومية من سياسية واقتصادية سواء في أوروبا كندا أم في مصر. إلا أن الكتاب يتناول في مجمله الدول الدكتاتورية الكبيرة في أوروبا وهي ألمانيا وإيطاليا وروسيا. ولكل منها فصل مسهب. وأطولها الفصل الخاص بألمانيا لأنه عرج فيه على تحليل المبادئ الايديولوجية التي يستند اليها النظام النازي وشيعته المتحكمة

تطالع هذه الفصول فتخرج منها بأن المؤلف ديمقراطي النزعة يكره الاستبداد والتحكم سواء أمن اليمين كان أم من اليسار. وهذا الرأي يلون بعض ما يكتب ولا سيما نهاية الفصول عند ما يريد الخلوص الى نتيجة عامة. أما العرض الذي تشتمل عليه أكثر صفحات هذه الفصول فتزده الى حد بعيد عن نزعة المؤلف الخاصة

الأن أنه مع كرهه للنظام الدكتاتوري في روسيا يرى ان روسيا لا تهدد السلام العالمي ويدافع عن عقد الميثاق الفرنسي السوفييتي في سنة ١٩٣٥ لأنه يرى أنه اذا عزلت روسيا عزلاً فعالاً عن أوروبا فسلح ألمانيا والريية التي تحيط بموقف إيطاليا يجعلان فرنسا في موقف شديد الخطر وهو يقول « ان العرض من الميثاق المحافظة على توازن القوى في أوروبا وهو ما يزعم هتلر أنه يبغيه... »

أما فصله عن إيطاليا فأشد لهجة من سائر الفصول وعنده على ما جاء في آخر الفصل أنه في الاتصال بموسوليني ومعاملته يجب ان نحيد عن التأثر بالاشعور وان ندرس مكيفلي وان نعلم ان موسوليني يحتمل السياسة البريطانية ويعتقد بأن النزعة الساعية قد أضعفت الشعب البريطاني وان الامبراطورية آخذة في الانحلال وأنه يأمل ان ينشئ ما يحل محلها في البحر المتوسط وإفريقية والشرق الاوسط وأنه معاد للنظام النيابية الحرة وفكرة الحرية الفردية والسياسة الشعبية ونظام السلامة الاجتماعية الممثل في جنيف

وفي الكتاب بحث واف في مشكلة الاقليات في أوروبا وما تشكو منه وعنده ان الاقليات الألمانية في تشيكوسلوفاكيا كانت أحسن حالاً من سائر الاقليات الاوربية المختلفة وقد ألحق بالكتاب فصلان احدهما خاص بأسبانيا وسياسة بريطانيا فيها والاخر بالنمسا وحادث ضمها الى الرايخ الثالث في شهر مارس الماضي

والخلاصة ان الكتاب جدير بأن يكون على مكتب كل متابع لشؤون أوروبا لما يزره من الحقائق المرتبة المنظمة في فصوله. انما يجب على من يطالع النتائج التي يخلص اليها المؤلف من عرضه للحوادث والحقائق ان يفعل ذلك وهو عالم بوجهة نظره الديمقراطية

موت سوسو

« سوسو » هرة أليف ظريف انطفأت
فيه شعلة الحياة المقدسة بين يدي وهذه
مرثيته ، أو مرثية الشعلة الخائبة فيه !

لقد همدت في الضلوع الحياة فما يرجف القلب أو يخفق
وقد غاب لألأوها في العيون فما ترمق الكون أو تبرق
وقد سكنت نائمة في حشاه فما عاد يقفز أو يمرق
فيا قربها لحظة في الزمان ويا بعد آثارها تنطق
وتنقل من عالم صاحب إلى عالم صمته مطبق

تقيم الحياة هنا مائماً وما إن تني جزءاً تفرق
وإن الحياة لمجنونة بأبنائها الكل لا تفرق
فجميعها في صفار الفساراش كموت الفتي حادث مرهق
هو الموت في كنفه واحد وبزهق من بعد من يزهق
قد اندحرت في صراع الردى فحق لها كل ما منحق !

وترجف في كل حي إذا أصاب سواء الردى المزهق
أشعتها في جميع النفوس يرققها مصدر يأتق
فإن مسه ما بغض الضياء تذبذب لألأوها المشرق (١)
فيا دمة رقرقت في العيون لأنت الحياة همت تدفق
يعز على النفس فقد الحياة فتجزع للموت إذ بطرق

سيد قطب

حلوان

(١) الحياة وحدة في جميع الاحياء كاستودع الطاقة بمد فروعه المتفرقة ومتى مسه ما يغض
من طاقته تذبذبت جميع الفروع . وكذلك يرجف الاحياء لموته

الاسرار الحاكمة

وبعض الاحداث السياسية الخطيرة الشأن
في العالم الاسلامي منذ قيام الاسلام حتى القرن السابع عشر الميلادي

للككتور زكي محمد حسن

امين دار الآثار العربية والمدرس بمعهد الآثار الاسلامية

يعنى الطلاب في مصر بدراسة التاريخ الاسلامي . ويبدل الاساتذة جهوداً مشكورة في هذا السبيل ، ولكنهم يلاحظون في الطلاب انصرافاً الى العناية بمراحل التاريخ الاسلامي مرحلة مرحلة ، غير عاملين على ربطها بعضها ببعض ليسهل عليهم الافادة مما يتلقونه ، والمقارنة بين الاقاليم الاسلامية المختلفة ، ومعرفة الروابط بينها ، والاحداث الخطيرة الشأن في تاريخها . وقد سمعت من بعض الاساتذة الاجانب ، ممن يشتغلون بتدريس الآثار الاسلامية شكوى من عجز الطلاب عن تصور حال العالم الاسلامي كله في اي عصر من العصور ، فدفعني ذلك كله الى كتابة البيانات الآتية ، جمعت فيها أخطر الاحداث السياسية شأناً في التاريخ الاسلامي ، واستعرضت فيها الاقاليم الاسلامية في القرون المختلفة لبيان الاسرار التي كانت تحكمها ، ثم ختمت الكلام على كل قرن بشارة وجيزة الى حالة الفنون فيه . وغاية ما أتمنى ان يكون في هذا البيان ما أرجوه من نفع للطلاب والقراء وان يبعثهم على النظر فيما بلغه الاسلام من مجد وما له من شأن خطير في العالم : —

القرن السابع الهجري

ا — بعث النبي عليه السلام

وكانت الهجرة في سنة ٦٢٢

وبدا حكم الخلفاء الراشدين في سنة ٦٣٢

ب — تم فتح الشام في سنة ٦٣٨ وظل يحكمها ولاية من قبل الخلفاء حتى صارت

مقر الحكم في عهد بني أمية ابتداء من سنة ٦٦١

- ج — وتم فتح ايران في سنة ٦٤٢ وبدأ يحكمها ولاية من قبل الخلفاء
 د — وتم فتح مصر في سنة ٦٤١ وبدأ يحكمها ولاية من قبل الخلفاء
 هـ — وفي النصف الثاني من القرن السابع بلغ جنود المسلمين حدود الهند
 بعد ان اجتأحوا افغانستان في سنة ٦٦١ ، وكذلك غزوا بلاد التركستان
 (ما وراء النهر) واستولوا على بخارى وسمرقند في سنة (٦٧٤ و ٦٧٦)
 ولكنهم لم يستعمروها استعماراً منظماً الا في أوائل القرن الثامن
 و — وتقدم العرب في شمال افريقيا بعد اخضاعهم مصر ولكن مقاومة البربر
 كانت شديدة فلم يتم اخضاع افريقيا وتؤسس القيروان الا في سنة ٦٧٠
 ثم سقطت بعدها قرطاجنة وبلغ العرب شواطئ المحيط الاطلسي
 ز — أما في شمال الدولة الاسلامية فقد غزا المسلمون ارمينيا واستولوا عليها
 في آخر القرن السابع او بداية القرن الثامن . كما انهم استولوا على قبرص
 في سنة ٩٤٩ وحاصروا القسطنطينية عدة مرات منذ سنة ٦٧٠
 ح — وأهم الآثار التي تنسب الى نهاية هذا القرن قبة الصخرة في بيت المقدس
 وقصر المشتى في بادية الشام

القرن الثامن

- ا — سقطت الدولة الاموية في سنة ٧٥٠ وقامت على أنقاضها الدولة العباسية
 ب — كانت الشام مقر الخلافة حتى قيام بني العباس الذين شيدوا بغداد في
 سنة ٧٦٢ بسبب اخلاص الشام لبني أمية وبعد دمشق عن وسط الدولة
 الاسلامية وقربها من حدود بيزنطة . وازدهرت بغداد في نهاية هذا
 القرن على يد هارون الرشيد
 ج — مصر كان يحكمها ولاية من قبل الخلفاء الامويين فالعباسيين
 د — فتح العرب الاندلس سنة ٧١١ وظل يحكمها ولاية من قبل بني أمية
 حتى سنة ٧٥٦ حين أسس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الدولة
 الاموية في الاندلس مستقلاً عن الخلافة العباسية . وحدث ان توغل
 المسلمون في جنوب فرنسا وأخضعوا قسماً منها حتى صدّهم شارل مارتل

- هـ — في واقعة بلاط الشهداء بين مدينتي تور وبواتية سنة ٧٣٢ تبدأ الدولة الادريسية في مراکش سنة ٧٨٨ على أثر ثورة قام بها العلويون في المدينة وأخضعها العباسيون ففرَّ ادريس بن عبد الله (من نسل علي بن أبي طالب) الى مصر فمراكش حيث أسس الدولة الادريسية وأما بقية شمالي افريقية فلم يبق خاضعاً منه إلا الأقليم الذي يعرف الآن باسم تونس . اذ ان أمرتين من الخوارج ظهرتا ايضاً في شمالي افريقية هما بنو رستم وبنو مدرار
- و — ومن أهم الآثار الفنية في هذا القرن الجامع الاموي بدمشق وقصر عمرا في بادية الشام ويمتاز هذا القصر الاخير بما على جدرانها من صور جميلة يظهر فيها تأثير الاساليب الفنية البيزنطية والساسانية

القرن التاسع

- ا — في بلاد العرب تحكم الدولة العباسية غير ان دخول العناصر الاجنبية من فرس وترك ثم اتساع أطراف القيصرية الاسلامية جعل الحلفاء العباسيين يفقدون سلطانهم الفعلي ولا سيما على الولايات النائية
- ب — بلاد الاندلس تحكمها الدولة الاموية من عاصمتها قرطبة
- ج — مراكش تحكمها الدولة الادريسية وكذلك يحكم بنو رستم جنوبي غربي تونس . وفي سنة ٨٠٠ يتخلى هارون الرشيد عن حكم افريقية (تونس) ويمنحها أسرة الاغالبة ، تحكمها تحت سيادته الاسمية
- د — يفتح المسلمون جزيرة صقلية
- هـ — مصر يحكمها ولاة من قبل الدولة العباسية حتى سنة ٨٦٨ حين يستقل بها أحمد بن طولون ويغزو الشام
- و — بدأ ظهور الاسرات المستقلة في بلاد العرب نفسها فقام بنو زياد في تهامة وجزء من بلاد اليمن سنة (٨١٩) وقامت ايضاً عدة أسر أصغر أخرى
- ز — في ايران قام بنو طاهر (٨٢٠ — ٨٧٢) وبنو الصفار (٨٦٧ — ٩٠٣) ثم بنو سامان (٨٧٤ — ٩٩٩)

هـ — وأهم ما امتاز به القرن التاسع من الوجهة الفنية تأسيس المعتمد مدينة سامرا التي ظلت عاصمة الدولة الاسلامية من سنة ٨٣٨ الى سنة ٨٨٣ كما ازدهرت فيه صناعة الخزف ذي البريق المعدني وصناعة تزيين الجدران بالزخارف الجصية ومن أهم آثاره جامع ابن طولون بالقاهرة وأطلال مدينة سامرا في العراق بما فيها من زخارف جصية وصور

القرن العاشر

ا — بلاد الاندلس تحكمها الدولة الاموية في قرطبة ويتخذ عبد الرحمن الثالث لنفسه لقب خليفة سنة ٩٢٩

ب — في مراکش تحكم الدولة الادريسية حتى سنة ٩٨٥

ج — في شمالي افريقية يسقط بنو الاغلب سنة (٩٠٩) وبنو رستم سنة (٩٠٨) وذلك بسبب قيام الدولة الفاطمية

د — في مصر تسقط الدولة الطولونية سنة ٩٠٥ ويحكم مصر ولاة من قبل الخلافة حتى تقوم الدولة الاخشيدية سنة ٩٣٥ وتسقط سنة ٩٦٩ حين يفتح الفاطميون مصر

اما الفاطميون فقد قاموا في شمالي افريقيا وهزموا الاغلبة سنة ٩٠٩ وبسطوا سلطانهم على مصر وشمالي افريقية الا مراکش — ثم استولوا على الشام . على ان نقلهم مقر الحكم الى القاهرة أفقدهم اجزاء امراطوريتهم في شمالي افريقية بسبب ضعف مراقبتهم لها فقامت على انقاضها دول صغيرة مستقلة او شبه مستقلة قضى عليها المرابطون في منتصف القرن الحادي عشر كما قضوا على الاسرات الصغيرة التي قامت على انقاض الدولة الادريسية بعد سقوطها سنة ٩٨٥

هـ — في ايران تسقط الدولة الصفارية في سنة ٩٠٣ وتظل الدولة السامانية تحكم حتى آخر القرن (٩٩٩) وتظهر دولة الابلخان وكذلك دولة بني بويه في العراق وجنوبي بلاد الفرس ويزول كل نفوذ فعلي للخلفاء العباسيين حين يستولي بنو بويه على الاملاك الباقية لهم ويفلحون في

احتلال بغداد سنة ٩٤٥ ويظل خلفاء العباسيين بعد ذلك لا مظهر لهم الا

بلاطهم الخاص حتى يقضي عليهم المغول سنة ١٢٥٨

و — ونشأت في أفغانستان الدولة الغزنوية المستقلة سنة ٩٦٢ . وكانت الدولة

الصفارية اول الدول الاسلامية التي استعمرت أفغانستان استعماراً منظماً

وخلفها في كابل حكام من قبل الدولة السامانية ثم افلح البتكين احد

قواد السامانيين في انشاء الدولة الغزنوية

ز — قامت في الموصل وحلب الدولة الحمدانية (٩٢٩ — ١٠٠٣)

ح — اما من الناحية الفنية فان أجل ما امتاز به القرن العاشر تشييد الفاطميين

مدينة القاهرة في مصر وازدهار الفنون الزخرفية ازدهاراً يتجلى في اكثر

منتجاتهم الفنية من خزف ومنسوجات ونحف معدنية وخشبية وزجاجية

مما يشهد بعظم الثروة التي جمعها المصريون في ذلك العصر والتي وصفها

الرحالة الايراني ناصر خسرو وصفاً مسهباً

القرن الحادى عشر

١ — في الاندلس تسقط الدولة الاموية سنة ١٠٣١ وتقوم الدويلات الصغيرة

المعروفة باسم ملوك الطوائف وأهمهم بنو عباد في اشبيلية (١٠٢٣ — ١٠٩١)

الذين يستغيثون بالمرابطين لمعاونتهم في حروبهم مع المسيحيين ويولي

المرابطون النداء مرتين ولكنهم في المرة الثانية (سنة ١٠٩٠) يضمنون

الاندلس الاسلامية الى املاكهم

ب — في شمالي افريقية كان التنافس بين الدويلات الصغيرة وكان نجاح بينا

والبندقية في استرجاع قورسقة وسردينية من العرب سبباً في ضعف النفوذ

الاسلامي حتى قامت دولة المرابطين بين البربر سنة ١٠٥٦ واعترفت

بسلطان اسمي ديني للخلافة العباسية

ج — في مصر والشام كان الحكيم للفاطميين . وقد افلح الصليبيون في الاستيلاء

على بيت المقدس سنة ١٠٩٩

- د — في بلاد ايران وتركستان تحكم دولة الابلخان كما يحكم بنو بويه (وهم من الشيعة) في العراق وجنوبي ايران حتى سنة ١٠٥٥
- هـ — وظهر السلاجقة في سنة ١٠٣٧ وقد استطاعوا توحيد العالم الاسلامي من حدود افغانستان الغربية الى البحر الابيض المتوسط واليهم يرجع الفضل في فشل الصليبيين
- و — اما في افغانستان فكانت تحكم الدولة الغزنوية التي مد سلطانها على اقليم البنجاب في الهند
- ز — وقد تقدمت في القرن الحادي عشر صناعات الخزف والنسيج والنحاس المنزل بالفضة ويرجع الفضل في ذلك الى السلاجقة والفاطمين

القرن الثاني عشر

- ا — في الاندلس ينتهي حكم المرابطين ويبدأ حكم الموحيدين سنة ١١٤٥
- ب — في شمالي افريقية تظهر دولة الموحيدين وتقضي على سلطان المرابطين سنة ١١٤٦
- ج — في مصر تسقط الدولة الفاطمية سنة ١١٧١ ويبدأ حكم الدولة الايوبية التي انشاها صلاح الدين حين كان في خدمة نور الدين محمود بن زنكي الذي كان قد أعلن نفسه سلطاناً على جزء كبير من سورية
- د — اما في الشام فقد كان الخلاف بين المسلمين والصليبيين على أشده واتيح اصلاح الدين في الجزء الاخير من هذا القرن ان يبسط سلطانه على قسم كبير من الشام وان يسترد بيت المقدس سنة ١١٨٧
- هـ — وكان النفوذ في غربي اسيا للسلاجقة ثم انقسمت دولتهم الى فروع عديدة فقامت على أنقاضها دويلات كوّنوها ضباط السلاجقة المسمون الانابكة ولكن دولة السلاجقة ظلت في الجزء الغربي حتى اول القرن الرابع عشر
- و — ظهر الانابكة فكان منهم اسرة زنكي في الجزيرة وسورية وكان منهم اتابكة الموصل

- ز — اما في افغانستان فقد سقطت الدولة الغزنوية سنة ١١٨٦
 ح — ويرجع الى هذا القرن بدء ازدهار صناعة التصوير في المخطوطات بالعراق
 وايران كما أُنِيع الفن المغربي الاسباني على يد الموحدين في الاندلس
 ونُبع الايرانيون في انتاج ضروب شتى من الخزف الفني الجميل

القرن الثالث عشر

- ١ — في الاندلس يضمحل نفوذ الموحدين حتى تسقط دولتهم ويطردون من شبه الجزيرة سنة ١٢٣٥ — وتسقط الدويلات الاسلامية الصغيرة واحدة بعد الاخرى اللهم الا دولة بني نصر في غرناطة الذين تقوم أسرهم في سنة ١٢٣٢ وتبقى حتى نهاية القرن الخامس عشر
 ب — في شمال افريقية تسقط دولة الموحدين وتقوم على أنقاضها دولة بني حفص في تونس (١٢٢٨ — ١٥٣٤) ودولة بني زيان في الجزائر (١٢٣٥ — ١٣٩٣) ودولة بني مرين في مراكش (١١٩٥ — ١٤٧٠)
 ج — في مصر وسورية سقطت الدولة الايوبية وقامت دولة المماليك البحرية سنة ١٢٥٠ بعد ان هزم الصليبيون في نفس السنة على أيدي السلطان الايوبي طوران شاه في واقعة المنصورة حيث أسر لويس التاسع ملك الصليبيين وسجن في دار ابن لقمان التي لا تزال قائمة في المنصورة الى الآن، ثم فدى نفسه وجنده بعشرة آلاف الففرنك . وقد نجح بيبرس البندقداري في صد التار عن مصر بعد ان هزمهم في واقعة عين الجالوت بفلسطين سنة ١٢٥٩
 د — أما البين فقد كان الايوبيون قد غزوها سنة ١١٧٣ وسارت لهم السيطرة عليها حتى سنة ١٢٢٩ حين خلفهم في حكمها أسرة الرسوليين (١٢٢٩ — ١٤٥٤)
 هـ — في آسيا الصغرى يحكم السلاجقة الروم
 و — وفي سورية والجزيرة تحكم أسرة الانابك عماد الدين زنكي حتى سنة

- ١٢٥٠ وفي ديار بكر تحكم الاسرة الارثقية (١١٠١ — ١٣١٢)
 ز — ويبدأ سلطان المغول في ايران من سنة ١٢٥٦ . وتسقط بغداد على يد هولاكو سنة ١٢٥٨
 ح — وفي الهند يبدأ نفوذ سلاطين دلهي سنة ١٢٠٦
 ط — ومن المميزات الفنية في هذا القرن نشأة الطراز المغربي الاندلسي الذي ينسب في بعض الاحيان الى قصر الحمراء والذي يمتاز بوفرة زخارفه كما يتجلى في هذا القصر . وأتقن المصريون صناعة الحفر الدقيق في الخشب وصناعة النحف المعدنية المنزلة بالفضة والذهب على النحو الذي ازدهر على يد السلاجقة في بلاد الجزيرة ولا سيما الموصل . وظهرت في نهاية هذا القرن صناعة الزجاج المموه بالمينا في سورية ومصر ومن أبداع منتجاتها مشكاوات المساجد التي تفخر دار الآثار العربية بمحاذاة عدد كبير منها

القرن الرابع عشر

- ا — في الاندلس كان بنو نصر يحكمون بغرناطة
 ب — كان شمالي افريقيا مقسما بين دولة بني حفص ودولة بني زيان ودولة بني مرين
 ج — كانت دولة المماليك البحرية تحكم مصر وسورية حتى سنة ١٣٩٠ وظهرت دولة المماليك البرجية او الشراكسة سنة ١٣٨٢
 د — سقطت الدولة الارثقية في ديار بكر سنة ١٣١٢
 ه — قامت في آسيا الصغرى سنة ١٣٩٩ وفي بداية القرن الرابع عشر دولة آل عثمان وعبر هؤلاء الاتراك الدردنيل سنة ١٣٥٨ وبدأوا فتح الاقاليم البيزنطية في اوربا حتى خضع لهم في القرن الرابع عشر جزء كبير من شبه جزيرة البلقان
 و — كان المغول يحكمون في ايران
 ز — بدأ حكم التيموريين في بلاد ما وراء النهر وامتد الى ايران وخضع لهم جزء من الهند في نهاية القرن

ح — ازدهرت العمارة والفنون الفرعية على يد الممالك في مصر كما أُنِيع فن تصوير الخطوط برعاية التيموريين في هراة وشيراز وتقدمت في إيران صناعة بلاطات القاشاني والفسيفساء من الخزف

القرن الخامس عشر

١ — كان بنو نصر يحكمون في غرناطة حتى سقطت في يد المسيحيين وانتهى سلطان المسلمين في إسبانيا سنة ١٤٩٢ وهي نفس السنة التي كشفت فيها أميركا
ب — كان بنو حفص يحكمون في تونس وبنو مرين في مراکش والجزائر
ج — كانت دولة الممالك البرجية تحكم في مصر وسورية
د — اتسعت فتوحات الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبلقان وأفلح العثمانيون في الاستيلاء على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ فزال أثر الدولة البيزنطية وأصبح البلقان كله من أملاك الترك

ه — حكم المغول في إيران ثم خلفتهم الدولة التيمورية
و — قامت في بعض أجزاء الهند أسرات إسلامية محلية
ز — ظل حكم التيموريين في بلاد ما وراء النهر بعد أن غزا تيمور الأقاليم المختلفة في الشرق الأدنى وأخضع سورية واستولى على دمشق سنة ١٤٠١
ح — بلغ فن التصوير أوج عظمته في نهاية هذا القرن على يد بهزاد في إيران كما تقدمت صناعة الخزف في مصر وإيران وأتقن المصريون صناعة الزجاج المموه بالمينا وانتقل إلى البندقية فنانون من المسلمين فنقل عنهم الفنانون البنادقة كثيراً من الأساليب الفنية في زخرفة التحف المعدنية والزجاجية وفي صناعة التجليد

القرن السادس عشر

١ — انتهى حكم الممالك في مصر وسورية سنة ١٥١٧ وأصبحت البلاد ولاية عثمانية
ب — أخضع العثمانيون الجزائر وتونس وطرابلس بعد أن كان السلطان في أغلب أنحاءها للقرصنة
ج — كان شمالي الجزيرة وما يجاوره من الولايات الواقعة في إيران وآسيا الصغرى خاضعاً لأسرات صغيرة من خلفاء السلاجقة

- د — اتسعت فتوحات الدولة العثمانية فهزم السلطان سليم الفرس وضم كردستان وديار بكر لدولته وكذلك استولى على سورية ومصر وبلاد العرب من الممالك ووصل سليمان القانوني الى فينا
- ه — قامت الاسرة الصفوية في ايران سنة ١٥٠٢
- و — سقطت الاسرة التيمورية في بلاد ما وراء النهر سنة ١٥٠٠
- ز — بدأت امبراطورية المغول في الهند سنة ١٥٢٦
- ح — ازدهرت الفنون عامة والتصوير خاصة على يد الصفويين في إيران (الشاه عباس الاكبر ١٥٨١ — ١٦٢١) وقد عمل في بلاطهم بهزاد في بداية القرن (حين نبغ في ايطاليا ليوناردو دافنشي وميشيل أنجلو ورفائيل) وبلغت صناعة السجاد أوج عظمتها كما أُنِع الطراز العثماني في الفن الاسلامي وذاع صيت العثمانيين بما كانوا ينتجونهُ من منسوجات حريرية وسجاد ومن خزف في أسنيك وكوتاهية وغيرها وبما شيده المهندسون من مساجد غاية في العظمة والجمال — كما ازدهر الطراز الهندي في الفن الاسلامي على يد قياصرة المغول في الهند وذاع صيت العمار الهندية وما كان ينتجه الفنانون الهنود من سجاد وصور واسلحة

القرن السابع عشر

- ا — كانت مصر وسورية وشمالى افريقية وآسيا الصغرى تابعة للدولة العثمانية
- ب — كانت الدولة الصفوية تحكم في ايران وجزء من العراق
- ج — امراء خيوة وبخارى يحكمون في تركستان العربية
- د — كان قياصرة المغول يحكمون في الهند وبلغ سلطانهم أوج عظمتهم على يد أورنجزيب (١٦٥٩ — ١٧٠٧)
- ه — بدأت الفنون الاسلامية في الضعف والتدهور متأثرة بالاساليب الغربية التي تسربت اليها في القسطنطينية وفي ايران والهند ومن أجل العمار الاسلامية في هذا القرن تاج محل بمدينة اجرا في الهند
- دار الآثار العربية
زكي محمد حسن

الميكانيكا

الكلاسيكية

للدكتور اسماعيل احمد آدم

١ - نوطه

ان تدقيق العلم يوصلنا الى أن صبغة التعليل التهائي لظواهر الكون كانت ميكانيكية منذ نشأة العلم الى اواخر القرن التاسع عشر ، يزيدنا يقيناً في هذا ، أننا لو أخذنا على عاتقنا أن ندرس كل ما أخرجته المعرفة البشرية — في هذه الفترة — من نظريات وفرضيات مصبوبة في قالب العلم — لا لفيناها في جوهرها القضي ذات صبغة ميكانيكية دفعت لتصور حادثات الكون في عالمي الزمان والمكان ذات نهج آلي خاضعة لنواميس وسنن مادية. ونحن لو أردنا أن نلمس بدء هذه النظرة في التاريخ، فسنضطر الى الرجوع بالزمان الى الوراء أربعة قرون فلنفي أنفسنا في أواسط القرن السادس عشر حين تمخض العقل الانساني عن أعظم انقلاب شمله في أساليب التفكير

لقد كان الانسان منذ عهد سقراط الحكيم (٤٦٩ — ٣٩٩ ق م) يرى غاية التفكير في ادراك الماهية ، وذلك بمعنى تكوين معاني تامة الحد . وكان معين التفكير طوال هذه العهود منحصراً في الاستقراء حيث يتدرج العقل من الجزئيات الى الماهية المشتركة بينها ، راداً كل جدل الى الحد والماهية . وهذا المنهج في التفكير دفع الانسان من مقولة الحكم حيث وقف بالفكر الانساني عندها بالفيناغوريين الى مقولة الكيف وكان نتيجة هذا المنهج في التفكير أن ظهرت فلسفة المعاني التي ابتدعها أفلاطون الالهـي (٤٢٧ — ٣٤٧ ق م) وأرسطو طالس المعلم الاول (٣٨٤ — ٣٢٢ ق م) والتي ملكت ناصية العقل البشري طوال القرون الوسطى وكانت سبباً لا نصرافه الى الغيبيات . وفي اوائل القرن السادس عشر أخذت جماعات قليلة من المفكرين الغربيين تشك في قدرة الأسلوب التجريدي وإمكان الوصول به الى نتائج تطبيقية وأخذوا يعملون على ادماج النتائج التي تسفر عنها التجارب والمشاهدات في نظام مادي تربطه مبادئ وفوانين عامة ، ذلك بعد ان شعروا بمقدار ما في أساليب القدماء من البعد عن الواقع المحسوس وكان مبعث تفكيرهم الايمان بتجانس عالم الطبيعة ووحدته

وقد ساق هذا الاعتقاد هؤلاء المفكرين الى تعميم النتيجة المستخلصة من ظاهرة على ما يماثلها

من ظاهرات وهذا الأسلوب تمخض عن اكتشاف قوانين عامة للطبيعة . ولقد نجحت هذه النظرة يوم أخرج جوهان كبلر (١٥٧١ — ١٦٣٠ م) للناس حركة السيارات ، ويوم كشف السراسحق نيوتن (١٦٤٢ — ١٧٢٧ م) قانون الجاذبية العامة . ولقد بلغ هذا النجاح غاية على يد بيير سيمون مركيز دي لا بلاس (١٧٤٩ — ١٨٢٧ م) عندما أخرج للناس كتابه « نظام العالم » وفيه أقام بناء الكون على أساس مادي . ولقد قومت اكتشاف غاليليو غاليلي (١٥٦٤ — ١٦٤٢ م) لسنة القصور الذاتي واكتشاف السراسحق نيوتن لقوانين الميكانيكا الثلاثة التي بنى عليها الخالد « المبادئ » هذه النظرة الميكانيكية للكون . وكان ذلك كله مقدمات لعمل فاصل بين دورتين في تاريخ الفكر الانساني ، وأصبح العالم كله لا يخرج في كنهه عن كونه مجرد أحداث تنظم من حدودها تفاعلات المادة والقوة

ولما كانت فكرة القوانين الطبيعية لم تخرج في أبسط صورها عن أنها تعميم للقيمة التقديرية الرياضية المستخلصة من ظاهرة من الظاهرات على غيرها ، ولما كانت أبسط اختباراتنا التي ترجع اليها الموجودات ترجع للحادثات ، كانت القيمة التقديرية الرياضية للقانون الطبيعي للحادثة عبارة عن تعيين سلوك الحادثة ونهج تصرفها ، وهذا يتطلب تعيين مكانها وزمانها ازاء المقادير الأخرى . ومن جانب آخر نحن نعرف ان النظر الكلاسيكي للزمان والمكان يقرر مطلقة كل منهما لكونهما راجعين لموضوع الحادثة بدون ان تعمل حساباً لعلاقة الحادثة بالمشاهد من حيث تراءى له ولا آتاه ومقاييسه الذي يعين بها زمان الحادثة ومكانها ، فكل تبدل يطرأ على الراصد او المشاهد ولا آتاه ومقاييسه الذي يعين بها زمان الحادثة ومكانها لا تغير من نتيجة الرصد لأنها راجعة للحادثة لاعلاقة لها بالمشاهد ولا آتاه ومقاييسه من حيث يرتبط به موضوع الحادثة

هذه هي قرارة النظر الكلاسيكي للحادثات فهي تلقي دائماً في روعنا ان عالم الطبيعة الزاخر بالحادثات والذي ينظم من حدودها فواصل الزمان والمكان ، اشياء ثابتة لا تتغير ولا تتحول ، فلو شهبنا ساحل نهر بالمكان وجريانه بالزمان والزورق الحامل للراكب والذي يدفعه تيار النهر بالحادثات ، لكان في وسعنا القول بأن الزمان اشبه بالتيار الدافق الذي يدفع الحادثات والمكان كالساحل ازاءه . ومن البدهي انه اذا لم يكن الزورق قائله جارٍ ، كذلك اذا لم تكن الحادثات فالزمان ماض في حركاته التعاقبية ، والاجسام الباقية على الشاطئ ساكنة في أماكنها . ومعرفة حركة الزورق في النهر يستلزم مبدئياً تحديد بعدها عن الساحل مع تحديد قوة جريان النهر وهذا معناه أنه لتعيين حادثة في الكون لا بد لذلك من معرفة فاصلتها المكانية وكذا الزمانية . هذه الصورة تجيزت في عقل السراسحق نيوتون وجميع علماء الفيزيكا النظرية حتى اواخر القرن التاسع عشر ، وهذه الفكرة تحوي مبدأً مطلقة الزمان والمكان ، وتجعل انتشار الحوادث في العالم مطلقاً وانتشار حادتين مطلقتين في الكون يذهب بنا عن طريق مفهوم الاقتران الى التطابق في الزمان

أعني التوقيت. فلو فرضنا ان حادثة ما طابقت في زمان حدوثها ، زمان حدوث حادثة ، أخرى فذلك يحدث مطلقاً في العالم ، ومدى المدة والمسافة الفاصلة بين حادثتين مطلق لأنه يرجع لموضوع الحادثتين وتقوم فكرة مطلقة الحوادث في عالمي الزمان والمكان بمفهوم انتشار الاجسام الصلبة في رحاب الخلاء ، فالاشكال والخطوط الهندسية ليست الا وحدات ثابتة ، وشكل جسم ما : هو مجموعة الاوضاع الفراغية التي تستقر فيها النقط التي تشكل ذلك الجسم ، وعليه يمكننا ان نقول ان أساس العلم الكلاسيكي قائم على الرجوع مباشرة للحادثات بدون النظر لحركة الاكوان التي تشملها ، وبذا تكون الهندسة الكلاسيكية مستمدة مفوماتها الاولى من تساوي الفواصل المكانية وعلى هذا الاساس يبدو لنا ان اشكال الهندسة مطلقة ، وان هذا الاطلاق يكون معنا موضوع الهندسة الكلاسيكية القائمة على مبدأ مطلقة المكان ، وبذا تتحقق النظرة الاقليدية التي تولد معنا قوانين العلاقات بين مبدأ السببية ومبدأ الزمان المطلق

٢ — المبادئ الكلاسيكية

في علمي الميكانيكا والسيناماتيكا

لا يخرج مفهوم الزمان الكلاسيكي عن كونه مجرد ملاحظة فلسفية . وهو لا يعدو اعتبار الزمان حالة شعورية مطلقة مبهمه غامضة ، فلنكي يتخلص مفهوم الزمان من ابهامها وغموضها يجب ان يأخذ صورة رياضية تقديرية ، ولما كان العلم الكلاسيكي ينساق تحت حقائق التجربة الى تصوير زمانين ، موضوعي وذاتي ، الاول في عالم الحادثات وهو نسبي ، والثاني في عالم النفس وهو مطلق ، وهذا الانشطار الحادث في مفهوم الزمان كان احدى نقط الضعف في النظرة الكلاسيكية ، غير انه كان يغلب على ذلك بواسطة علم الحركات — السيناماتيكا — القائم على مفهوم الزمان الموضوعي الذي هو صورة تقديرية للزمان الذاتي . ويقوم هذا العلم على أساس يستمد من ادماج مبدأ الزمان في الهندسة الكلاسيكية المستندة الى مفهوم انتشار الاجسام الصلبة ، اذ هو يدق النظر في الاجسام بالنسبة للزمان والمكان . فهو في منزلة حلقة الوصل بين الهندسة والفيزيكا ، فالنقطة المادية المتحركة حلقة وصل النقطة الهندسية بالذرة

ولما كان مفهوم كل من الزمان والمكان مستقلاً ومطلقاً في نظر علم الحركات ، فان تغير الاجسام لمواضعها في المكان يستفاد منه بتقدير الزمان . غير ان هذا لا يدل على ان الزمان يتبع المكان في اي حالة من الحالات ، لانه ان كانت قيمة الزمان القياسية تتبع تغير الاجسام لمواضعها خلال المكان ، فمفهوم الزمان مستقل لانه مطلق لا يتبع حركة القياس ، مثال ذلك حركة الرقاص فالتا نتخذها أساساً لقياس الزمان الا ان حركة الرقاص غير الزمان ! وهي ان كانت توحى بفكرة الزمن التقديرية الا انها تعجز عن مدنا بمفهوم الزمان المطلق واذن يمكننا

ان نقول ان فكرة الزمن التقديرية لا المطلقة هي موضوع علم الحركات ، الذي يستوجب قبل كل شيء تعيين حركة النقطة المادية ، وهذا يستلزم معرفة نسبة النقطة المادية أولاً في النظام الذي يحتويها وهذه الحالة شبيهة بحالة تعيين محاور الفصل والوصل أعني الكميات التي تحدد من وضع نقطة ما $c\ddot{o}ordinates$ في الهندسة التحليلية ، والنتائج التي تسفر عنها التجارب في تعاقب حركات النقطة تكون معنا معادلات الحركة

تنقوم حركة الاجسام ومعادلات الحركة بقوانين الميكانيكا الكلاسيكية التي نشأت بمجهود غاليليو ونيوتن وانصبت في مبدأ عام هو مبدأ النسبية الكلاسيكية ، وهذه القوانين ترد إلى خمسة مبادئ :
الأول : مبدأ غاليليو أو قانون القصور الذاتي (الاستمرار) وهو يقرر ان في الاجسام استعداداً للمحافظة على حالتها الطبيعية ، فاذا كانت ساكنة فانها تظل ساكنة ما لم يؤثر فيها مؤثر يخرجها للحركة . وان كانت متحركة فانها تظل متحركة حركة منتظمة مستقيمة ما لم يطرأ عليها طارئ . يغير من انتظام حركتها او اتجاهها . فاذا أثرت قوة في جسم اكتسب ذلك الجسم عجلة ، وقانون التعجيل يعرف بالمبدأ الثاني من مبادئ الميكانيكا

الثاني : مبدأ نيوتن الأول أو قانون التعجيل : وهو يقرر ان مقدار التعجيل الذي يكتسبه الجسم تحت تأثير قوة تحوز نفس الاستقامة مع محصلة القوى المؤثرة في ذلك الجسم ، وهي تساوي نتيجة خارج قسمة المحصلة على كتلة الجسم ، فكان العجلة التي يكتسبها الجسم تحت تأثير القوة تولد الكتلة . وكتلة جزيء من المادة تحسب بمقدار خطوط القوة التي فيها . وهذا المقدار ثابت لا يتغير . والقوة ليست إلا النسبة بين الكتلة وبين مقدار عجلتها أعني الشعاع المساوي للكتلة ومعادلتها : القوة تساوي الكتلة في العجلة . وهي تربك جميع النسب والعلاقات الممكنة بين الكتلة والعجلة والقوة في شكلها الشعاعي المستقل عن نسبتها للمحاور الوضعية . ولما كانت القوى التي تؤثر في نقطة مادية نتيجة لتأثير نقط مادية أخرى ، فهذا التأثير يتبع من جهة الوضع النسبي لهذه النقط . ومن جهة أخرى السرعة النسبية لها في النقط المادية . ومن هنا لنا ان نخلص بقانون الحركة النسبية الذي يقرر ان النظم المادية سيات كانت ثابتة بالنسبة لمحاورها الوضعية أم كانت متحركة حركة منتظمة مستقيمة ، فان القوانين التي تتبعها واحدة . ذلك لان مقدار تعجيل هذه النظم يتبع القيمة المطلقة لحركة هذه النظم ومعنى هذا في لغة رياضية ان القيمة التفاضلية بين هذه السرعة تتبع القيم التفاضلية بين المحاور الوضعية . ومعنى هذا ان هذا المبدأ يشمل ساحة مقدار التعجيل النسبي أو بتعبير أصح ساحة القيم التفاضلية بين مقادير التعجيل فانه من الممكن اشتماله على ساحة مبدأ رد الفعل

الثالث : مبدأ نيوتن الثاني أو قانون مساواة رد الفعل للفعل وبياننا أننا لو أتينا بجسم

ووضعه على حامل فهذا الوضع لا يمنع تأثير المؤثرات فيه ومنها الجاذبية ، إذ تجذبه الأرض بقوة تساوي زنته على الحامل ، فإذا لم يكن الحامل متيناً أنكسر بتأثير قوة الجذب . والجسم المحمول على الحامل يتولد فيه قوة من فوق الى تحت تساوي زنته وهذه القوة التي تتولد هي الفعل لقوة الجذب . فلو كان الجسم على يد انسان فلكي يمنعه من السقوط يجب أن يدفعه من تحت الى فوق ليتغلب على قوة جذب الأرض له وأعني القوة الدافعة من فوق الى تحت ، وللتغلب على هذه القوة يجب أن يدفعه على الأقل بقوة موازية لقوة الجذب . وهذا الدفع يتولد دائماً متى وضع الجسم على أي حامل فلو فرض أنه علق بحيط مشدود لحامل ، فالحيط يتوتر ويكون شدة توتره مساوياً لوزنته ، وفي هذه الحالة ينتج أن يدفع الحيط الجسم بقوة تساوي توتره أعني وزن الجسم . وهكذا يكون رد الفعل مساوياً لوزن الجسم أعني الفعل . هذه القاعدة عامة ففي حالة اذا لم تحدث القوى المؤثرة حركة في جسم تولد عن ذلك قوة مساوية له وتكون هذه القوة في اتجاه مضاد . وهذا ما يعرف برد الفعل

واشتمل مبدأ الحركة النسبية على ساحة رد الفعل تعود لصحة شموله لساحة القيم التفاضلية بين مقادير التعجيل . ولما كانت مقادير التعجيل تتبع مقدار القوى المؤثرة فإن هذا يسوقنا الى مبدأ الجاذبية العامة وفرضية القوى المركزية معاً وهي التي تقرر ان قوة الجاذبية بين جسمين تتناسب مع كتلتيهما حيث ان الاجسام تنجذب بعضها لبعض بقوة تساوي حاصل ضرب كتلتيهما مقسوماً على مربع المسافة بينهما ، وهو الشيء الذي يعرف بقانون الجاذبية او مبدأ نيوتن الثالث

ومن المهم ان نلاحظ ان المقدار الذي يحسب مسافة في قانون الجاذبية ليس تناسباً مع الكتلة التي هي النسبة بين القوة ومقدار التعجيل انما مع الكتلة الجاذبة وبعبارة أدق ليس مع مقدار قصور ذاتية الجسم انما مع مقدار قابلية الجذب لأنه يصح ان تكون الجاذبية متناسبة مع عكس مربع المسافة ولا تكون متناسبة مع بسط حاصل ضرب الكتلة . وهذه النظرة تسوقنا الى فرضية القوى المركزية التي تعتبر قوى الدفع والجذب بين الجزيئات المادية راجعة لاعتبار القوى تتوجه مع استقامة الخط المستقيم الواصل بين الجزيئات المادية وتتحول منحصرة في المسافة التي بينها . وهذه الفرضية ان لم يكن قانونها عين قانون الجاذبية النيوتونية فهي على كل حال مشابهة لها وتركب السرعة في هذه الساحة الخاضعة لقانون عام فرضية القوى المركزية تعود لمبدأ تركيب السرعة الذي يرى من وجهة نظره ان محصلة السرعة المركبة ترجع لطريقة التحصيل من قاعدة متوازي أضلاع القوى التي تجعل المحصلة مساوية لمجموع المركبتين لها اذا كانت الحركتين على استقامة واتجاه واحد ، فاذا اختلف الاتجاه دون الاستقامة كانت المحصلة مساوية الفرق بين المركبتين . وهذا المبدأ يعتبر المبدأ الخامس من قوانين الميكانيكا الكلاسيكية

وهذه القوانين الخمسة تصب في مبدأ عام هو : مبدأ النسبية الكلاسيكية [لها تمة]

الكيمياء الصناعية

الكيميائيون المصريون

وكيف ينتجون النضار من الفضلات

لعوضى هنرى

كان مطمح كيميائي العصور الوسطى ، تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب ، متذرعين الى بغيثهم تلك بما كانوا يسمونه « حجر الفلاسفة » وهو السرّ الدفين الذي لم يكونوا يوحون به لاحد ، اذ كان اولئك الجربون الاولون يركبون مواد ذات روائح كريهة ثم يطبخونها على درجات مختلفة من الحرارة عسى أن يظفروا بتحقيق تلك الاحلام العقيمة ، التي كانوا يظنونها تدرّ عليهم النضار . فكانت مساعيهم تذهب ادراج الرياح

اما الآن فانتا نشاهد العلماء مرتدين ميدانهم ^(١) الكتانية البيضاء في معامل التحاليل الكيميائية حيث يستعملون الدماء الجسيدة ^(٢) وريش الطيور وبذور نبات عباد الشمس والحينة الخالية من الملح والهلالم وقصاصات الشعر التي ينبتها الحلاقون من حوانيتهم ، وذلك لانتاج بلّورات تساوي ضعف وزنها ذهباً . وتعرف تلك البلّورات الدقيقة التي تضارع الجواهر باحاض الامينو Amino acids ^(٣) وهي غالية جداً بحيث يبلغ ثمن الرطل الواحد من بعض اصنافها الف ريال واذا تأملت تلك الاحاض بعينك المجردة تجلّت لك شبيهة باملاح الحمام العديمة اللون أو مثل مسحوق الطلق الابيض . واذا فحصتها بالمجهر ، استطعت رؤية بلّوراتها الرائعة

ومن الحال القليلة في الولايات المتحدة الاميركية التي يتاح لك ان تتابع منها احماض الامينو وتسم الكيمياء بجامعة كليفورنيا في لوس انجيليس . حيث يقوم الدكتور مكس دن Dr. Max Dunn احد سحرة الكيمياء في القرن العشرين ، بالاشراف على صنع هاتيك الاحاض لتباع للجوامع والمستشفيات والخبرات في آفاق المسكونة كافة . واحماض الامينو من المواد الكيميائية النادرة التي قلما توجد خالصة . ولم يكتشف العلماء منها الا ٢٢ صنفاً فسموها باسماء مختلفة وهي

(١) المبدع والمبدعة والمبداعة — ما يصان به الثوب وغيره (٢) الجسد الدم اليابس كالجسد والجسد (٣) وقد اشرنا الى هذه الاحاض وذلك في مقالنا على (البسلة الصينية ومنافها الغذائية) في مقتطف يونيو سنة ١٩٣٨

تؤلف البروتين الذي هو من اعظم عناصر الكائنات الحية . وتكون على شكل خيوط طويلة كأنها سموط الجواهر . وقد تسمع الطبيب النطاسي^١ ينصح للسيدات الشابات السمينات باجتئاب المواد الدهنية والكربوهيدراتية في غذائهن^٢ ، ويبيع لهن^٣ الافراط في الاغذية البروتينية ، فيصف لهن^٤ الهبر والسملك والبيض والخضراوات الغضة والفواكه

ولما كان البروتين يؤلف جانباً جوهرياً من غذائنا ، صار من الطبيعي أن يتحول ويشغل جزءاً خطيراً من اجسامنا . فاذا نظرت الى يدك كليتيهما . فكل ما تستطيع رؤيته فيها — هو البروتين ، ممثلاً في جلدها وظفارها وشعرها لان جل تركيبنا العضلي البشري ، من البروتين وبلغ من تعقد التركيب الكيميائي للبروتين ، ان عجز العلماء جميعاً عن تركيب صنف منه ، بيد انهم قد تمكنوا من تحليله فبين لهم انه مؤلف من احماض الامينو المختلفة

وكان أول مجهود بذله الدكتور ضن^٥ نفسه لشراء احماض الامينو من مخازن العقاقير الطبية التجارية عقيماً ، إذ لم يكن يباع فيها من اصنافه الاثني والعشرين الا بعضها وذلك للمباحث العلمية ، وكانت أسعاره باهظة ، وقد بلغت ثمن البلاتين تقريباً . ولذلك توفّر الدكتور ضن على صناعة أحماض الامينو ليتسنى له ادراك المعلومات الثمينة جداً الخاصة بمزاياها الطبيعية وتركيبها وقابليتها للذوبان فشرع في تأسيس المصانع المعروفة الآن باسم مصانع احماض الامينو

فكان مشروعه هذا من المشروعات الدالة على الجرأة ، غير الراجحة ، من مشروعات جامعة كليفورنيا التي افتتحت أعمالها التجارية من سنة ١٩٣٥ اذ جعلت تصنع هاتيك الاحماض واحداً فواحداً ودوّنت أسماءها في قوائم بعثت بها الى الجامعات والمستوصفات والمعامل الكيميائية في العالم قاطبة ، فجاءتها الطلبات تترى

وأصبح الآن ستة عشر نوعاً من احماض الامينو الاثني والعشرين ، معروضة للبيع مع ان مشروع البيع قائم على اساس اجتناب الربح . وبلغ من صعوبة انتاج بعض تلك الانواع ان الرطل منها يباع بأكثر من اف ريال ، بينما يتفاوت ثمن الرطل من بعضها الآخر ، بين خمسة ريالات و ٨٠٠ ريال . وبعض أنواع احماض الامينو يصنع مباشرة من العناصر الكيميائية وذلك بطرق التركيب الصناعي . وغيرها تؤخذ من بروتينات الحيوانات والنباتات

أما الطريقة التي تصنع بها تلك البروتينات فجديرة بالذكر . وذلك بحسب صنف حمض الأيمينو المطلوب ، اذ يؤخذ الدم الجسيد والحين الحالي من الملح وبذور عبّاد الشمس والحنطة والهامام وقصاصات الشعر ، فتوضع في وعاء كبير حيث تمزج بالحمض الكبير تلك الثقيل او بالحمض الهيدروكلوريك الثقيل أيضاً ثم تنلى أربع وعشرين ساعة او أكثر وتضاف اليها مواد كيميائية أخرى ثم تستخرج بالتبخير والتنطير وذلك مع مراعاة تصاري التوعية والضبط لاذ تستخرج

منها مواد غزيرة حتى تصير البقايا مثل مسحوق نقيس او بلورات دقيقة ، وهذه هي أحماض الأمينو فتحلل تحليلًا كيميائيًا متفناً ثم توضع في القوارير وتلصق عليها بطاقتها .
وقال الدكتور ضن انه قد استجذت لاستخلاص أحماض الأمينو طرق أخرى ، ولأول مرة في تاريخ الكيمياء استجذت تلك الأحماض ، بلورات شفافة رائعة كلونها الجواهر الفريدة والتبلور في عرف العلماء دليل على منتهى النقاوة . وهذا أمر جد خطير عند العالم الباحث .
وأحماض الأمينو نافعة جداً للناس بوسائل شتى بحيث اذا حرم منها امرؤ حرماناً تاماً ، وهي في منزلة بروتينات ، هلك . اذ لا بدّ للإنسان من الاعتماد على النباتات أو على الحيوانات الآكلة النباتات التي تتغذى بتلك الأحماض . والنباتات هي الكائنات الحية الوحيدة في الكون التي تستطيع امتصاص الاملاح الكيميائية من التربة . وبواسطة الطاقة الشمسية تتمكن النباتات من ضم تلك الاملاح الى الحامض الكبريتيك والماء لتوليد البروتينات .
ومتى أكلت لحماً او اسفاناخاً ، قامت السوائل الهاضمة التي في معدتك ، من فورها ، بالعمل في البروتينات اذ تجزئها الى أحماض الأمينو ، وتولى مجرى الدم توزيعها على أعضاء جسمك جميعها حيث تستعمل مواد أولية لاعادة تكوين النسيج التي بليت من الشغل والرياضة وتساعد أحماض الأمينو أيضاً على تنظيم وظائف الجسم ، فتؤثر في حجمه وسرعة نموه ومقدار الشحم الذي يدخره وكذلك في لون العينين والشعر . وقد تؤثر أيضاً في شخصية المرء وقدّر الحثيرون ان مسيجرايا من أحماض الأمينو المعروفة باسم تيروكسين ، المودعة في الغدة الدرقية يتوقف عليها احدى الحالات الثلاث وهي السعادة الطبيعية والحياة والمات والبلاهة .
ومن أحماض الأمينو ضرب يعرف باسم الحمض الجلوماتيك (١) glutamic acid يصنع ويباع كتوابل للطعام وهو ذو طعم مدهش يشبه طعم اللحوم الطبيعية .
ومنهُ صنف آخر يعرف باسم سيستين (٢) cystine ويتوافر في الشعر البشري . ويوقن بعض العلماء ان التجارب الدائرة في أحماض الأمينو ستحل معضلة الصلع .
ومن أحماض الأمينو أيضاً ما يسمى جليسين (٣) glycine وقد تبين نفعه في علاج الامراض العضلية وآخر يسمى هيستيدين Histidine يستعمل في علاج القرح المعدي المستعصية .
ويتوسل علماء جامعة كاليفورنيا بأحماض الأمينو الى حل معضلة السرطان .

(١) عرضت هذا الاسم على صديقنا الاستاذ نقولا حداد الصيدلي الكيميائي والكاتب العالمي المشهور المعروف لقراء المقطف مستوضحاً اياه عما يعلمه بشأنه فقرر ان هذه التسمية جديدة وقد تكون مركبة تركيباً يدل على خصائص ذلك الحامض ويظهر ان المكتشف الدكتور ضن قد بحث هذا الاسم من المادة البروتينية التي استخرج الحامض منها وقد اطلع الاستاذ حداد ايضا على النص الانكليزي الخاص بهذا المقال فأوضح لي بعض نقطه الغامضة (٢) السيستين — مادة توجد في البول — معجم شرف (٣) الجليسين — ويسمى ايضا سكر جلاتين — معجم شرف

الرسام

حسين بدوي

عرض وتحليل

لمحمد فهمي

أنيح لي ان اكون في « باريس » في شهر اغسطس من هذا العام (١٩٣٨) حين افتتح الفنان « حسين بدوي » معرض رسومه بالمكتبة المصري للسياحة بالشانزليزيه تحت رعاية معالي فخري باشا وزير مصر المفوض والمسئو ببيترى رئيس جماعة « فرنسا - مصر » فأمكنني ان اشاهد عن كثب تقدير رجال الفنون وكبار المتذوقين للفن من فرنسيين وأجانب لرسوم هذا الفنان وطابعه المتميز بقوة الشخصية وعمق الفكرة وما له من قدرة على توزيع اللون وتحليله الى درجات متعددة لكل درجة تعبيرها الخاص وكأنا مخاطب بروحك بلغة من الالوان معبراً عن فكرة منزعجة من اعماق نفسه لا تلبث ان تحسها تتغلغل في اطوار نفسك وإذا بك امام لوحاته تحس وترى وتسمع ! واذا بالذي امامك ليس بمعرض رسوم بل معرض حياة !

يرتكز فن بدوي على دعائم ثلاث : الفكرة . طريقة التعبير . اللون . كل منها تشعر كوجودها في قوة ووضوح كأنما تحاول اجتذا بك اليها خاصة ولكنها جميعاً تحقق « الكل » المتسق في انسجام تام **الفكرة** — الفكرة هي الاساس الذي نحكم به على مدى عمق الفنان واتساع رحاب روحه ومقدار ثروته من الاحساس الفني وقدرته على النفوذ الى أسرار الموضوع الذي يعرض له حتى يخلق منه عالماً حافلاً بجميع خصائص العالم الحي من ظواهر واسرار !

وان الفكرة لتثبت في اعماق نفس بدوي ثم تنمو وتنمو حتى تملأ رحاب نفسه كلها فتخرج للوجود وقد حفلت بكل ما في نفسه من خصائص : قوة شخصية وعمق وإبداع !

وهنا يحق لنا ان نقف قليلاً ثم نطوي السنين الفهقرى ربع قرن او يزيد لننخلص الى طفولة بدوي ونشأته حيث تأمل خصائص المحيط الذي في جوفه تبعث « الفكرة » اول ما تبعث في شكلها السديمي وهي في طريقها الى الكمال الانشائي (الخلق) ذلك هو عالم اللا شعور حيث استقرت في أعماقه الخصائص الوراثية وانطبعت في حناياه صور البيئة وشتيت الذكريات التي أثرت فيه بل حيث مصدر جميع الانفعالات والمشاعر الغامضة التي يعاينها الفنان « في

عقله الباطن « فيحاول الافصاح عنها بأسلوبه الخاص وطريقته في التعبير وبالجملة حيث المادة الخام التي يصوغ منها الفنان فنه !

فبدوي نشأ نشأة مصرية بحتة في ريف مصر وبين حقولها الخضراء الباسمة ربيعاً وشتاءً والصفرَاء الواجبة في الصيف ثم تغذى بتاريخ مصر منذ عهد الفراعين ولمس بروحه روح الفن الفرعوني ووعى جمال الفن الاسلامي ثم هو بحكم نشأته العائلية مؤمن عميق الايمان فيه طهارة المؤمن وصفاء قلبه وثقته ! ثم تمثل تقاليد هذا الشعب الموروثة وحياته الحافلة بالآلام والمسرات والاحلام هذه الخصائص متعلقة في اعماق نفس بدوي مضافاً اليها مزاجه الخاص وطابعه المتفرد بالغموض الذي كانا يشير الى مجاهل وفجوات في اعماق روحه لا ينفذ اليها النور تخرج بالانفعالات الغامضة والاشباح والاطياف ! فمن هذه جميعاً ممتزجة متفاعلة تكون طبيعة الفكرة عند بدوي الفنان ! وهي اما رمزية ولما مثنولوجية ولما تصويرية

ففي بعض لوحاته يطوح بك في تيه لا حدود له فيفقدك الى مجاهل التاريخ حيث الانسان في حالته البدائية وقد صورته في لوحة « رقص الكهف » وهو في حالة من النشوة الوحشية (Primitive) ينقر على نغمات دف ساذج مستقيم الاضلاع (اذ لم يكن قد توصل الانسان بعد الى الدف المستدير !) ورفيقته تشاركه نشوته وهما يرقصان امام باب كهفهما المظلم الرهيب وكأن الاثنين اشباح تبدو في ظلام القرون ! . وتارة يدخل بك الى هياكل الفراعنة كلوحته « السائل المقدس » و « حارسه المقبرة » فتستشعر تلك الروعة الرهيبة التي خلعتها الفراعين على معابدهم ومقابرهم وهي المنبعثة من اعماق روح مصر المفعمة بالقداسة وجلال الايمان . فترى في اللوحة الاولى « السائل المقدس » فتى المعبد في وقار وروعة وهو يصب لفتاة من الشعب الماء المقدس فتلقاه في اناسها بلهفة وخشوع تستشف خلالها لذة ذلك الايمان العجيب !

وأما « حارسه المقبرة » فتبدو في الظلام وقد أنكمها غناء الوقوف فارتكزت برأسها فوق يديها المجتمعين على قمة عصاها وأسندت ظهرها واحدى رجلها المنهكتين الى احد الاعمدة الضخمة المحتضنة المقبرة وسط ظلام مخيم . في هذا الجو الرهيب يملأ الاعتقاد نفسك ان هناك مقبرة حقاً وان بها ميتاً مدفوناً حقاً وان هذه حارسه منهكة حقاً

والطابع الرمزي الفريد بلغ القمة في لوحته « ليلتهما الاخيرة » و « الامومة » والاولى اقتناها فخري باشا . ولوحات بدوي تبين لنا ناحية الغموض في نفسه ونزوعه الى مجاهل التطور في حياة البشرية وارتياك حقب التاريخ وكأن بدوي لا يعبر عن عواطفه ومشاعره المشجيرة في محيط عقله الباطن فحسب بل عن مشاعر شعب بأسره بل الانسانية جميعاً ! وهنا يحق لنا ان نقول ان بدوي صاحب مذهب رمزي في الفن وهذا أمر طبيعي في هذه الفترة التي نجتازها من

سلسلة تطورنا الاجتماعي والثقافي وأنه بعد ان لاحت هذه الظاهرة الرمزية والميثولوجية في
 اتاجنا الادبي الرفيع من شعر ونثر « أنظر مفرق الطريق لبشر فارس وشهر زاد وأهل
 الكهف لتوفيق الحكيم وعلى هامش السيرة لطف حسين وشعر بعض شعراء المدرسة الحديثة » نعم
 كان من الطبيعي حينئذ ان يظهر صاحب هذه الطريقة في الفن ومن ير لوحات بدوي يحكم أنه صاحبها
 وبدوي حين يفكر في محاكاة الطبيعة سواء الحية او الصامتة يحاول دائماً ان يتحداها
 فينفخ فيها من روحه ما يهبها النبض والحياة فترى اللوحة وقد خرجت من بين يديه تحمل من
 خصائص بدوي ما يزاكم خصائص الاصل الذي تعبر عنه وكأن هناك تنافساً بين شخصيتين
 فويتين : بدوي والطبيعة . ولكن في النهاية لا يخضع الا لنفسه ! فترى طيف رمزته يلوح على
 درجات مختلفة من الوضوح والتستر حسب قابلية الموضوع الذي يعرض له . ومن هنا كانت
 طبيعة بدوي لا تفق « والپورتريه » أي تصوير الاشخاص وقد أخبرني أنه لا يميل اليه كثيراً
 وان كان أحياناً يلجأ اليه ليسكب عليه من روحه وقته وفي هذه الحالة يبلغ الغاية من الاجادة
 ومن ذلك لوحة « بنت الحيران » اقتناها سري باشا ولوحة فذة تسمى « عذيلة » أطلقت عليها
 سالونات القاهرة « الجيوكوندا المصرية » وهي لدى مدام سامي باشا

﴿ طريقة التعبير ﴾ — لعل طريقة التعبير في فن بدوي هي أنسب أسلوب للتعبير عن أفكاره .
 أو قل ان هذا الأسلوب ولید تلک الافکار، وبدوي في طريقته هذه لا يتأثر بأي مدرسة من مدارس
 الفنون أو أية شخصية من رجال الفن فكما ان فكرته وليدة طبعه وخصائص نفسه فكذلك أسلوبه ليس
 الا نتيجة طبيعية للجو النفسي الذي يحيا فيه بل هو النتيجة الحتمية لارهاصات روحه وهواجس
 فؤاده . على انك واجد بينه وبين رامبراندت شهاً غير قليل في ظلاله وعنفه ! فهو إما عابس كالطبيعة
 الغاضبة وإما كئيب كحزان الغروب . ويبدو أسلوب بدوي كأنه ثوب مغمض تبعاً لأدق المقاييس
 ملائمة للفكرة وبارزاً لما فيها من جمال وسحر ! كل شيء فيه جديد مبتكر وكل ذرة فيها حية
 نابضة ومجموعه الكلي يتميز بطابع الاستقلال والطرافة وكأنه يقول في كل ذرة من أجزائه
 « أنا شيء جديد » وهذه الظاهرة لاحظها ناقدو الفن الفرنسيين فأشاروا اليها في جرائدهم
 فاذا اراد ان يعبر لك عن « العودة » مثلاً كانت فتاة ريفية تعود حاملة على رأسها أناء كبيراً
 وهي في ثوبها ومشيتها وحزمت الضوء المتساقطة على اللوحة هنا وهناك باحكام عجيب وقد شمرت
 الفتاة عن ساقها تخوض في ارض تغطيها المياه فتكاد تلمس ما تعانیه وهي تنقل خطواتها في
 جهدها واعياء وتحس الهممة والشوق في اندفاع الفتاة والحركة التي تكاد تهز اللوحة هزاً... كل
 هذه التعبيرات تملك عليك نفسك فلا تتمالك الا ان تهف « حقاً انها العودة ! »
 ولبدوي طابع في تعبيره يتناسب ورمزيته فهو لا يبرز لك تفاصيل الاشخاص بدقائقها

واضحة جلية بل على قدر ما تعبر به عن المعاني والانفعالات في الجو الذي يخلعه على اللوحة كأنما ينقلك من عالم الحس الى عالم التخيلات والاسرار فتشارك الفنان في احساسه وشعوره بل كأنك تمش معه في عالمه

﴿ طريقته المبتكرة ﴾ — توصل بدوي الى ان يخط على لوحة « الاكواريل » الماء المنبت ظلالاً واضواءً هي غاية في الاتقان بأسلحة مديية الاسنة فترى الظلال والاضواء بموج امامك في اللوحة وكأنها ظلال من الطبيعة نفسها تبدو مهيبة رائعة !

هذه الطريقة تتطلب صبراً طويلاً واناة ومهارة لا يطبقها الا من وهب نفسه للفن ! ولاشك ان الكثيرين سيحتذون هذه الطريقة الجديدة والاستعانة بها مع « الفرشاة » على رسم الظلال والاضواء. على انني اشك في ان احداً يستطيع البلوغ بها مبلغ بدوي من القدرة والاعجاب. وذلك لانها لا تصلح الا لفنان له طابع بدوي ذلك الطابع القائم في اغلب لوحاته. فترى الاشخاص والمراثيات تنبعث امامك رهيبه لانها تنبعث من الظلام وتخطو في الظلام توضحها حزمات من الضوء يسقطها الفنان من كوة روحه البعيدة الاغوار فلا ينجلي الظلام تماماً. ولكن تستطيع ان تبين ما فيه من اشباح واشخاص. ففي مثل هذه اللوحات القائمة يمكن استعمال الاسلحة المديية اي طريقة بدوي في كشف الاضواء والاظلال على اللوحة بشرط ان يكون الفنان متمكناً من طريقته حاذقاً لها

﴿ اللون ﴾ هذه اسهل النواحي في فن بدوي على ان هذه السهولة نتيجة البساطة والاقصاار غالباً على لون واحد. ولكن المهارة والقدرة على تحليل اللون الى درجات عدة تجعلك حائراً امام تلك المجموعة العجيبة المتناسقة من الالوان، وما هي في الواقع الا لون واحد تناولته يد بدوي ومقدرته فكان ما تراه

هذه القدرة على تحليل اللون تضيف على لوحاته طابعاً من البساطة والتعقيد معاً ولكنها البساطة الغربية والتعقيد اللذيذ ثم هي تهيء له ان يحوم بأشباحه واشخاصه في عوالمها المجهولة او المعلومة في غير ما جلية ولاصخب من تطاحن الالوان وتضاربها. وبذلك يستطيع ان يخلق الجو الملائم كل الملاءمة للافعالات والمشاعر التي يريد التعبير عنها فننطق بها وجوه أشخاصه

وكان كل قسمة من قسمة الوجه تتحدث عما يشجر في حنايا الصدر وآفاق الفؤاد من أحاسيس وعواطف. وقد كنت أود ان أتناول مجموعة من لوحات هذا الفنان بالتحليل والشرح ولكنني حينما أردت ان أعرض لهذا وجدت ان المجال لا يتسع الآن. وأمل ان يتاح لي تحقيق هذه الرغبة او يتقدم بها غيري ممن تذوقوا فن بدوي ولمسوا روحه في انتاجه الفني وهذه خدمة غير قليلة للفن الجميل

مؤتمر المستشرقين

العشرون

اهم ما تلي فيه من المحاضرات

انعقد مؤتمر المستشرقين العشرون في مدينة بروكسيل عاصمة البلجيك من الخامس الى العاشر من شهر سبتمبر ١٩٣٨ . وكان المؤتمر على تسعة أقسام : مصريات وافريقيات — آشوريات — آسيا الوسطى — الهند — الشرق الاقصى — الشعوب واللغات السامية — العهد القديم ويهوديات — الاسلام — الشرق المسيحي . وقد زادت المحاضرات التي أقيمت على ثلاثمائة واليك أتمها فائدة : القسم الاول — « هومروس ومصر » للاستاذ جلبرت (من البلجيك) — « فكرة النقد المالي في مصر الفرعونية » للاستاذ ديميل (من فينا) — « ترتيب اللهجات السائرة في السودان الاوسط » للاستاذ لوقاس (من المانيا) — « المكتشفات الاخيرة لحفريات الجامعة المصرية في قرية هرمو بوليس » للدكتور سامي جبره (من مصر)

القسم الثاني — « النصوص الأكديّة في رأس شمرا » للاستاذ فيرولو (من فرنسا) — « حمورابي بحسب رسائل مطوية » للاستاذ جان (من باريس) — « التقويم الاشوري » للاستاذ ولي (من امريكا الشمالية)

القسم الثالث — « اللغة التركية في بغداد في القرن الحادي عشر للمسيح » للاستاذ عيني (من تركيا) — « في الشعر التركي — الغربي لعهد السلجوقيين » للاستاذ رُس (من إنجلترا) — « مواد تركية في اللغة الفارسية الحديثة » للاستاذ كوبرولو (من تركيا)

القسم الرابع — « أصل كلمة كالكته » للاستاذ شاترجي (من الهند) — « الرقص الهندي التقليدي نظرياً وعملياً » للاستاذ دقي (من إنجلترا)

القسم الخامس — « ملاحظات على رحلة ماركو بولو » للاستاذ بليوت (من فرنسا) — « المناقضات الفلسفية بين الذهنيّتين : اليابانية والصينية » للاستاذ ماك نير (من امريكا الشمالية) — « مصادر جديدة للعلاقات الثقافية الخاصة بالحكم المغولي في الصين » للاستاذ هينيش (من المانيا)

القسم السادس — « في تاريخ فلسطين وشرق الاردن في القرن الثاني قبل المسيح وأصل بني اسرائيل » للاستاذ دي فو (من أورشليم) — « راس شمرا وبنو اسرائيل » للاستاذ جاستر (من إنجلترا) — « في التعاقب التاريخي للشعر الجاهلي » للاستاذ جرونبوم (من فينا) — « الالفاظ العربية الجنوبية الجارية في اللهجة اليمنية لهذا الزمان » للاستاذ رُسي (من ايطاليا)

القسم السابع — « الجناس اللفظي في اللغة العربية » للاستاذ سيدن (من مالطة) — « الحديث والتدوين في أقدم تاريخ للاسرائيليين » للاستاذ نوت (من المانيا) — « معنى لفظة الضحايا في المزامير » — للاستاذ ريش (من إنجلترا)

القسم الثامن — « القيمة الاستقبالية لسورة أهل الكهف عند المسلمين » للاستاذ ماسينيون (من فرنسا) . (ذكر المحاضر كيف فسّرت فرق المسلمين سورة أهل الكهف على أهوائهم ومنازعاتهم ناظرة الى ما وقع في الاسلام بعد تدوين القرآن) — « مشروع تفسير قواعد اللغة العربية » و « كتاب الغايات والفصول لابي العلاء المعري » للاستاذ الدكتور طه حسين (من مصر) . (قال المحاضر في الشطر الثاني من محاضراته إن أبا العلاء لم يخرج على التقاليد الاسلامية ولم يرغب في معارضة القرآن وان بين كتاب الغايات والفصول والزمومات وجوه شبه) — « في نشر كتب علماء الجغرافيا من العرب » للاستاذ كراموس (من هولاندا) — « أصل القصص الاخلاقي والنقد الاجتماعي في الشرق العربي مختم القرن التاسع عشر » للاستاذ بيريس (من الجزائر) . (تكلم المحاضر على أحمد فارس الشدياق وأديب اسحق والمويلحي والمنفلوطي وقتحي زغلول وناظر بين « حديث عيسى بن هشام » و « لبالي سطيح ») — « مسألة المبنى في الشعر العربي الحديث » للاستاذ بروكلن صاحب « كتاب تاريخ الآداب العربية » (من المانيا) . (عرض المحاضر للقيود التي توثق النظم العربي على الطريقة التقليدية وأشار الى نشأة الموشح الذي خفف من ثقل تلك القيود ثم ذكر ان خليل مطران هو الذي فك من القيود وقد حذا حذو الفريد دي موسيه الشاعر الفرنسي الرومنتيكي . وقال ان خليل مطران مدرسة تجري على منهاجه في النظم فمثل بأحمد زكي ابي شادي المتأثر بالادب الانجليزي . ثم انتقل المحاضر الى الجيل الحديث من الشعراء فقال ان فيهم من يذهب في تجديد الصبغة الشعرية مذهبا أبدا من مذهب خليل مطران ومدرسته جرأة واستقلالاً ، وكان مثله هنا (شعر بشر فارس) — « بعض نظرات في مذهب السنة في الخلافة » للاستاذ جب (من إنجلترا) — « الناحية اللغوية من الشعوية » للاستاذ ايل (من بلجيكا) . (ذكر المحاضر ما وقع بين العرب والشعوية من مناظرات ومساجلات حول غنى اللغة العربية عن اللغات السامية واليونانية وغيرها او حاجتها اليها)

[البقية في آخر باب المكتبة]

حَذِيقَةُ الْمُقْتَطِفِ

صديقي ...

للكاتب الألماني الشهير آرثر شنيترز

Arthur Schnitzler

تلقاها : إيزاك شعوش

شهوة الموت

من ديوان (أفاعي الفردوس)

صديقي أ...

للكاتب الألماني الشهير ارثر شنيترز Arthur Schnitzler
نقلها ايزاك شמוש استاذ اللغة والآداب العربية في الجامعة العبرية بالقدس

صديقي أ... (واسمه الحقيقي مارتن براند) الطالب في معهد دراسة اللغات ،
كان شاعراً شاباً ، لم يشجعهُ النقدُ قط ، ولم يستطع ابدأ أن يفهمني بقيمة
الاقاصيص التي كان ينشرها في صحف الملحقات ، ومع ذلك ، فقد كان
كالكثيرين من اضرا به لا يعبأ بما اذا كنا نبحده أو لا نبحده على شيء من الاهلية
والفن ، وكان يعبر هذه الحياة مع رفيقة غير منظورة ، مع الهة الشعر ، ويقع منها
على ساعات متعة حقيقية

الأن أنه كانت تفتابه في بعض الاحيان ازمات سوداوية ، تسببها ليس
معاكسات الدهر العادية . ولا الهموم البغيضة التي يذوقها كل انسان ، ولكن ...
عند ما يكون صديقي أ... حزيناً ، فلأنه يكون منهمكاً في وضع قصة محزنة يميت
فيها من شدة الحب اميرة بعيدة ، او يقتل بسيف احد الخونة فارساً مقداماً . أو
يبتدع قصة تحول فيها جنية شريرة دون سعادة شخصين طيبين طاهرين

وعلى تقيض ذلك . كان أ... يطير فرحاً عند ما ينشد الربيع ، او ينشد ليلة
سكر يقوم فيها وجه مستعار بتقيل ثغر رسام شاب متخف في ثوب نوبي سري .

وهو يهمس في أذنه : « اني لك ولن يقوى احد على سلب منك ! »
وأأسفاه ! ان الامر لا يحتمل الجدل ، لقد كانت هذه الدلائل الاولى على
جنون صديقي أ... وكثيراً ما كنت اوبخه ، وكثيراً ما كنت اعظه بصورة رضية ،
اذ ان صداقته الوثيقة مع الاشباح كانت مشؤومة في رأيي . ألم يكن من الافضل
ان يتعرف على الحياة ، وان يختار له رفيقات سمرات او شقراوات أمتع وألذ
بما لا حد له من تلك المخلوقات الخيالية الشاردة التي يبتدعها تصوره ؟

وذات مرة ، اتبع نصيحتي ، واتخذ لنفسه خلية كانت مغنية طبعاً ...
بل اني لمبالغ بعض المبالغة ، اذ انها اذا كانت أصبحت خليلته ، فلأنها ارتمت في

احد الاماسي . عند الخروج من دار التمثيل ، بين ذراعيه ... انه لمبدأ حزين لمغامرة
كانت نهايتها حزينة ايضاً ، ولم ادرك حقيقة ذلك الا عندما كان كل شيء قد انتهى

كنت الى جانب أرغني ذات يوم بعد الفداء أهوم في كرسي الواسع
واذا بصديقة ... الشابة تقبل علي : وكنت أرهف السمع واحدى يدي علي
الارغن ، للحن متنافر يحضر شيئاً فشيئاً ، وأسائل زائرتي بالنظرات وقد عراني
ذهول غريب : لقد كانت وحدها ، ولم يسبق لها قط ان جاءت الي بدون ...
فأخذت احدق النظر في الباب لعل أشاهده يتبعها ، ففهمت سؤال الصامت
وأجابني بصوت تخنقه العبرات

— هو في البيت ... انه يشتغل

— وهل أنت قادمة من عنده ؟

ورجوتها ان تتخذ لها مقعداً علي الديوان ، وجلست علي كرسي بالقرب منها

— وما كاد يستقر بها الجلوس حتى أجهشت بالبكاء

— ماذا حدث يا صديقتي الصغيرة ؟

لم تجب ... انتظرت جوابها بصبر ، ثم استطردت :

— اذن ؟

قلت لها ذلك بهدوء عظيم فأخرجت منديلها وكفكت عبراتهما

— اضرب لحناً مفرحاً جداً ، لحن (قالس) ... حينئذ استطيع ان أفضي اليك

بكل شيء ، فاتجهت الى الارغن وضربت اول لحن خطر لي ، واذ ذاك أخذت تتمتع :

— انه عادة لا يحبني

فتوقفت عن العزف واتخذت هيئة الدهش ، مع ان دهشتي كانت مصطنعة ،

اذ اني كنت انتظر شيئاً من هذا النوع ، فقالت لي في حزن :

— استمر في العزف فاحتججت :

— ليس هنا موضع لحن (قالس)

وظفقت اعزف لحناً حزيناً لا بد بهذه المازحة الاربتاك الذي كان يسود بيننا ...

وكم أسف لاني عزفت ذلك اللحن ! لقد أصبحت اعلق على ذلك شأناً مبعثه الوسواس

فاسألت الفتاة :

— لا بدَّ أنه أصبح يحب امرأة أخرى، إذ سمعته يصرخ هذا الصباح مرات عديدة : « أنت لست مثلها . . . آه . . . أنت لست مثلها ! » وكنت أحاول بعد ذلك أن أعانقه ، فكان ينظر إليَّ كأنه عائد من بعيد ويقول لي « اذهبي . . . ابك ترعيجيني . . . كان عليك أن تسعري بذلك » فجمدت في مكاني . . . أما هو فقد استمرَّ يكتب ، ووجهه يشتعل ، وعيناه تلعان ، وبعد برهة التفت إليَّ وعندما تحقق أنني لم أتحرك ، صرخ : « ألا تزالين هنا ؟ » . . . حينئذٍ ذهبت . . . فسألتها :
— وماذا تظنين فهِزَّت أكتافها . . .

— أما أنا فسأحاول أن أقول لك ذلك وإن كان يتعذر إفهامك : ليس لك مزاحمة من لحم ودم ، انت من تتحدثين عنها لا وجود ولا حياة لها إلا في مخيلة صديقنا . . . فحدثت في وجهي بصمت ، فاسألت :
— أنا أعرف حق المعرفة . . . أن فيه مسأً جنونياً !

وقد بدا عليها شيء من الدهشة للهدوء الذي عبرت فيه عن تلك الحقيقة فصرخت :
— اذن . . . هو يفزعني !

— كلا ! لا ينبغي أن تفزعني ، لقد ظننت أنك تستطيعين أن تسعري حبه بقولك له ذات يوم : أ . . . العزيز ! أنا لا وجود لي ، ما أنا إلا بظلة هاربة من إحدى أقاصيص الجان . وهذه السعادة التي تدوقها بين ذراعي ان هي إلا حلم من الأحلام

— اذن هو نصف مجنون ؟

— بل هو نصف شاعر ، أي مجنون كامل ! ولكن هدئي روعك . . . لا تبكي . . . وشرعت أعزف لحن (القالس) الذي كانت قد طلبته مني ، فنهضت مهدوءة واتجهت نحو الباب ، ولما حاولت مرافقتها منعني بإشارة من يدها
— كلا ! اني سأعود

وفي اليوم التالي ذهبت لأرى صديقي . . . وكان النهار قد أضحى ، ومع ذلك فقد رأيت أربع شمعات حمر تتهترق على منضدته ، إذ أنه لم يكن يستطيع العمل إلا على ضوء الشمع الأحمر ، وكان ينظر بعين كامدة الى الورق الذي تنزلق عليه

يراعته بدون توقف . فأخذت أطفىء الشمعات الواحدة تلو الأخرى ، ولم يشعر بوجودي إلا عندما أطفأت الشمعة الرابعة ، فابتدرني :

— أعذا أنت ؟ فصرخت بلهجة حازمة :

— أ... دع كل هذا وقم حالا لتغذى ممأً والا سعت لسجنك في دار المجانين

فخدجني بعينيه الواسعتين ، العديمتي البريق

— لقد أنت صديقتك الي البارحة ، فماذا فعلت معها ؟ أخذ يتسم :

— لا تحدثني عن هذه المخلوقة البشرية المسكينة ، اني لا أريد ان أسمع شيئاً

عن الجنس اللطيف بعد الآن !

— طبعاً أنت لا تحب النساء الحقيقيات لانهن يقتفرن جريمة سائر المخلوقات

البشرية فياً كن ، ويشربن ، ويحببن ، ويعبرن الحياة بما فيها من تفاصيل وفصول
الا أنه قاطعني :

— امرأة واحدة كاثنة في نظري ، وان تقوى على انتزاعي منها ، اسمع ...

كانت ذات مرّة ...

وأنشأ بقص علي قصة فتاة رائقة الجمال كانت تحيا في جزيرة من جزائر المحيط الهادى ، وكان اسمها « تركيز » ، وكانت على نصيب عظيم من الجمال الى درجة ان انساناً او الهماً لم تقع أنظاره على مثلها وكان أ... يشعر بقصوره وعجزه عن ايراد الاوصاف اللازمة ليصف الجمال المنبعث منها ، وأخبرني وقد غارت عيناه أنه منذ اليوم الذي تسلطت فيه « تركيز » على قلبه وعقله ، لم يعد يشعر بأقل عاطفة نحو اي امرأة ، فسألتها

— وهل تحبها ؟

— بل أعبدها ! ... ولكن وأسفاً ! ... انها لن تلبث ان تموت ...

اذ ينبغي ان تموت !

فأخذت أهز رأسي ، اذ كنت قد ارتعت حقاً ، فاستطرد

— هنالك امير افريقي احب « تركيز » حباً جماً مشووماً ...

— وهل أصبحت تغار منه ؟

— وماذا أستطيع أن اعمل ما دامت تحبه ؟

— ولكن ... أيها الجنون ... اجعل الأمير الإفريقي فريسة لنهر ملكي ،
وانزل على ضفاف الجزيرة المقدسة ، شاعراً باسم أ ... حتى إذا رأته ...
— انه لا يستطيع !

وكانت تلوح على أ ... ملامح الاقتناع الشديد بهذه الحقيقة
— ولم لا ؟ ليس عليك إلا أن تريد ذلك ! ان جميع خيوط هذه القصة هي
بين يديك ! كل ذلك قد ابتدعه جنونك ! ان « تركيز » الأ من مبتدعات مخيلتك !
فارتسمت على ثغره ابتسامة صفراء ، وقال مهدوء :
— كلاً ! فنهضت أذرع غرفته طولاً وعرضاً لأهدى روعي
— اذهب ... انك ترعجني ! فوقفت ، وحدّجته بالنظرات
— سأعود في ساعة الغداء

وبينا انا أقفل الباب ابصرت أ ... بشعل الشموع من جديد ، مع ان
ضوء النهار كان قد غمر الدنيا ، وقد ابصرت الناس في الشوارع يسرون بخطوات
ثابتة ، فميجبت لهذا المقدار من الحيوية في بادي الامر ، ولا غرو ، فان من
يخرج من دار المجانين يمجب لكل شيء سليم
وعند الظهر الغيت باب دار صديقي أ ... مقفلاً بالمزلاج .

— عد هذا المساء ، قال لي
وعند المساء كان الباب مقفلاً ايضاً ، فصهرخت :
— ألم تمت « تركيز » بعد ؟

فسمعت أ ... يتنهد تنهدات عميقة : لا شك ان « تركيز » كانت تنازع
وعند الصباح عدت اليه ، لم يكن الباب مغلقاً ، ولكن أ ... كان جالساً الى
منضدته وهو على أشد ما يمكن من الشحوب ، فسألته :

— ماذا اصابك ؟ فتمتم :

— انها تحتضر ! فأجبت :

— يا لاحظظ

فأغرورقت عيناه بالدموع دون ان يفهم ، فقلت له وقد أحسست
بشيء من الضيق :

— هيا... أسرع

— لا أستطيع

— انك مضحك! أنت تحني على نفسك! كل هذا لا فائدة فيه...

— لا فائدة فيه؟... انت لا تستطيع ان تفهم

فتوجهت الى النافذة وفتحتها:

— أتخس بهذا الهواء البارد؟ أشعر برقة هذا الهواء الصباحي الذي يبعثر

الاوراق على منضدتك؟ أتبصر وقاحة الشمس التي تهزأ من رأسك المنعب، والتي

تذهب الغبار المتراكم على أرض غرفتك؟ أترى هذا العالم المتعدد الالوان الذي

يسبح في زرقة السماء؟

فأطل من النافذة، وأسرع فأغض عينيه، كأنما النور يؤذيها، ومع

ذلك فقد ترك نفسه بين يدي أقودها كما شاء، ولكنني عبثاً حاولت ان أخلق

محادثة لانه لم يكن يجري جواباً

— أتريد ان نستقل عربية؟

— نعم أريد

كانت هذه اول جملة فاه بها، فتأسيت بها، وأسرعت فأوقفت عربية

مكشوفة ذهبت بنا الى غابة فينا، فلما توسطنا الحقول ونحن نسلك ذلك الطريق

الذي تظله اشجار كبيرة، مورقة، لحث صديقي يدي حركة دَهِش وانذهال،

وشمرت انه يستعيد حواسه ويتبسم فسألته:

— هذا جميل، أليس كذلك؟

ولكن ابتسامته كانت قد غارت، وكأنما هي كانت تعبر عن لسان حاله:

« ألا تزال تظن ان هنالك شيئاً يقوى على انقاذي؟ »

وتناولنا طعام الغداء في أحد الفنادق، وكنت اشجعه على الأكل،

ولكنه لم يمد يده الى صحن من الصحن، وانما كان يتنهد ويقول لي:

— انت شهم، ولكنك لا تستطيع ان تفعل شيئاً في سبيلي؟

— بل أستطيع كل شيء، أستطيع ان أعيد كل شيء الى نظامه، اذا أردت

ان تكون عاقلاً. اني أفهمك جيداً، وأفهم ان روحك المريضة، هذه الروح

الشاعرة . كان لا بد لها ان تقع في حب « تركيز »

فقاطعي :

— وما دامت « تركيز » تخضر فينبغي ان اكون شقياً !

وأخذت شفاهه ترتجف ، وكانت الشمس قد شرعت تنحدر للغيب ، والفسق
يسط أجنته بهدوء على الحقول والغابات الندية ، فسمعه يقول :

— أسرع ! أسرع !

وانطلقت العربية تعدو نحو المدينة ، وكانت الاشباح المتحركة توهمنا ان المنازل
الاولية قريبة جداً ، وانا سنبلغ المدينة قبل ان يحن الليل ، وكان صديقي أ. . .
لا يفتأ يكرر :

اسرع ! اسرع !

فسمعه السائق ، وألهب الجياد ، وكان أ. . . ينتحب :

— أريد أن أعود ! أريد أن أعود !

— دع عنك كل شيء . . . ينبغي عليك ان تجتنب العمل هذا المساء . . .
فنظر اليّ دهشاً :

بل ينبغي عليّ ان اشتغل !

وكان تنفسه متهدجاً ، لاهناً ، بحيث لفت اليه انظار السائق الذي تفرس فيه
دهشاً ، ذاهلاً

وكنت ادعوه من حين لآخر . . . أ. . . ولسكنه لم يكن ليسمعي . . .

وبينا نحن نجتاز الشوارع المظلمة عرض الخيلتي مشهد لم استطع ان أخلص
منه . . . تخيلت « تركيز » ممددة في تابوت بلوري ، وأمامها شاعري ، يتأكله الحزن
وعيناه جامدتان ، يتمشى فيهما ألم عميق يقصر عنه الوصف

ولما وقفت العربية عند دار أ. . . قفز الى الارض ، وأخذ يصعد السلام بسرعة
عظيمة الى درجة انني عندما لحقت به كانت شموعه الحمر قد اوقدت ، فجلس الى
منضدته دون ان يشعر بوجودي ، وقررت ان امضي الليلة بالقرب منه لان حالته
كانت تقلقني قلقاً شديداً

كانت يراعه تجري تائمه على صفحات القرطاس ، وكانت النافذة مفتوحة

يضطرب ضوء الشموع من نباتات الهواء التي تهب منها . وكانت الاوراق المبعثرة تدور حول المنضدة ، وكان حياء يزداد تأثراً من دبيعة لاخرى حتى غدا شاحباً كوجوه الاموات

وقد ثبت لدي ذات لحظة ان « تركيز » تختصر ، اذ ابصرت يد أ... يتناها التباطؤ ، ونفسه يعروه الاختناق ، فلم يلبث ان ترك قلمه وتهالك على المنضدة ، وهو يجيش في البكاء بمرارة وحزن

فتأسيت بذلك ، وقلت لنفسى : « لقد انتهى الامر ! ان اثر الجمال قد تلاشى والصورة الخيالية الفظيعة التي عاش معها بضعة ايام قد اندثرت ! »

وخيل اليّ ان الجو قد تغير ، وان الارواح الشريرة تهرب من النافذة ، وان ضوء الشموع قد اخذ يلطف ، وان الهدوء قد عاد الى صديقي المسكين ، اذ كانت نوبة البكاء قد خفت بمض الشيء

فتمددت على الديوان . واستسلمت للرقاد ، وبظهر اني رقدت طويلاً ، اذ لم يكن قد بقي شيء من الشموع عندما استيقظت ، ابصرت أ... فاقد الحركة ، منكس الرأس ، فاقتربت منه ، ولححت في نظرائه ما يبعث على الاطمئنان ، فقلت له :

— هيا قم ارقد فأجابني بصوت عادي :

— عندى الى منزلك ، ولا تعد تقلق نفسك من اجلي فصرخت فرحاً

— آه أ... ! هل انتهى كل شيء ؟ فأكب علي يعانقني ويقول :

— نعم ، انتهى كل شيء ! — اذن اسمح لي ان اتمم ليلتي على ديوانك

— لك ما تريد

وكانت تبدو في صوته آثار الصداقة الصميمية ... لم تفارقني نظرائه وانا أتمدّد على الديوان ، واخذ يتبسم بلطف عندما اشرت عليه بأن يتمدد هو أيضاً بل اني أحسست بنظرائه ترتقي حتى بعد ان استغرقت في الرقاد

استيقظت مع الفجر : لم يكن صديقي أ... في الغرفة ، فنهضت واقتربت من المنضدة ، فلمحت على ضوء الفجر الضئيل ورقة مطوية أربع طيات ، وقبل ان أفضها ، أسرع الى سرير صديقي ، فألقيته منظرًا لم يمسه أحد ، فعزاني ارتجاف

مربع، وأحسست اني أصبحت فريسة اضطراب غريب ...
أول نظرة بدرت مني اتجهت نحو الشموع ، فاذا بها مرمية الى الارض مع
الشماعة ، الى جانب المدفأة ... بحثت بأظفاري عن الاوراق المخطوطة : كانت
الاوراق المبعثرة ما تزال على المنضدة ... حينئذ عزمت على ان أفص الورقة ،
فاذا بها هذه الكلمات : « ماتت » تركيز « فانهى كل شيء ! »

فاصطكت أسناني وصرخت : أين هو ؟ ... رباه ! ... أين هو ؟ ...
أسرعت الى مدخل الدار : لم يكن فيه أحد ! ... فتحت الباب : لم يكن ففص
السلم مضاء . فعدت الى الغرفة ، ولحت شمعة من جانب المدفأة ، فأشعلتها وأسرعت
الى صحن الدرج ، وانحنيت على الدرابزون ، فأبصرت ... شيئاً اسود . ممدداً
على الارض . فددت يدي التي تحمل الشمعة لا تبين بوضوح أكثر فسقطت قطرة
شمع على الجسم العديم الحراك ، فهرولت أنزل السلام مسرعاً والشمعة في يدي
حتى اذا أدركت أسفله أبصرت جثة هامدة ...

كان وقع اقدامي على السلام قد أيقظ الحيران ، فهرع الناس من كل جانب
يتساءل بعضهم : « ماذا جرى ؟ » ... ويرسل البعض الآخر صرخات مفزعة
وقد رأيت نفسي مضطراً الى اعطاء شرح لذلك فقلت :
— لقد كان مجنوناً ! ...

واذا أحد الحضور يأخذ الشمعة من يدي ، أوظنه كان يرتجف ! ...

لقد قرأت القصة الاخيرة التي كتبها صديقي ... انها قصة فاشلة تماماً ،
لا يكاد يتبين فيها أثر للفن قط !

ولا شك ان هذه آخرة مؤسفة للقصة ، ولكن حرصي على صحة الرواية
يضطرنني الى قول الحقيقة ... ومع ذلك ، فقد كان صديقي ... شاعراً عظيماً
اذ أي تخيلة قوية ينبغي ان يكون قد حباه الله بها ، ليستطيع ان يخلق امرأة يجلبها
الى حد الجنون ؟ حتى لا يعد يستطيع الحياة حين قضت الخيلة على هذه المرأة
الاثيرة ؟؟؟

آه ... ان لربات الشعر لاهواء غريبة !!!

شهوة الموت

«من ديوان (أفاعي الفردوس)
الذي أخرجه الياس أبي شبكة ،
وفي باب مكتبة المقتطف كلمة عنه»

ناقمٌ على السماءَ حاقِدٌ على البشرِ
ساخطٌ على القضاءَ نائرٌ على القَدَرِ
غير قطرةِ المساءِ لا أحبُّ في السَّحَرِ
صرتُ أمقت الصفاءَ صرتُ أعشق الكَدَرِ
غير - مشهد الدماءِ لا أحبُّ في الصَّوَرِ
ناقمٌ على السماءَ والبشرِ !

جَمَلِي لِي الجسدُ واسكبي لي الرحيقُ
لا تفكري بغدٍ قد يحبي ولا تقيقُ
ما لنا وللابدِ إن سرهُ عميقُ
الهوى إذا اتَّقدَ كان للبلى طريقُ
فلنمُتْ يداً بيدٍ ولنغيبَ البريقُ
بين شهوةِ الجسدِ والرحيقِ

سِيرُ الزَّمَانِ

توازن القوى البحرية

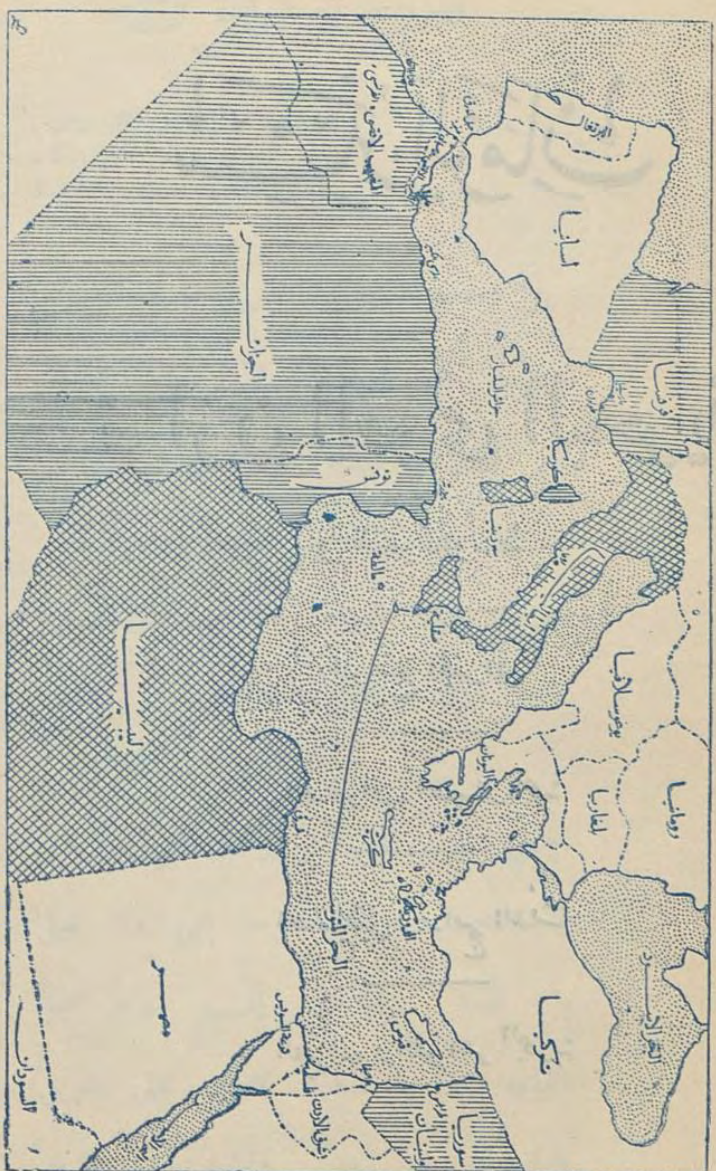
في البحر المتوسط

الوضع الجغرافي

الاهراف الاستراتيجية

الاساطيل وبرامج الانشاء

الطيران والقواعد البحرية



خريطة البحر المتوسط وسواحلها

توازن القوى البحرية

في البحر المتوسط

الوضع الجغرافي

بعد ان انتهت الازمة التشيكوسلوفاكية ، اتجهت الانظار في مقدمة ما انجبت اليه الى المشكلة الخاصة بالحرب الاهلية الاسبانية ، لانها لا تزال كالورم السرطاني تسم جسم العلاقات الاوربية ولا سيما ما كان منها خاصاً بسياسة بريطانيا واطاليا وفرنسا في البحر المتوسط . ونحن المملكة المصرية القائمة على الطرف الشرقي من هذا البحر ، يهمننا بوجه خاص تحول العلاقات بين دوله الكبرى ، لان احدي هذه الدول حليفة لنا ومصيرها في هذا البحر مرتبط بمصيرنا الى حد بعيد . ولذلك نقلنا هذه الدراسة الوافية في توازن القوى البحرية في البحر المتوسط ، لما لهذا الموضوع من شأن كبير بوجه عام . ومن صلة وثيقة بنا بوجه خاص

والبحث في هذا الموضوع ، يقتضي منا اولاً دراسة المواقع الجغرافية للبلدان التي تهتمها شؤون هذا البحر . وذلك لان الخطة البحرية لدولة انما هي اثر من آثار موقعها الجغرافي . فهذا الموقع الجغرافي يعين الاهداف التي تتجه اليها والقواعد البحرية التي تنشئها وتحصنها وطبيعة السفن الحربية التي تبني منها اسطولها ، واذن فالموضوع يشتمل اولاً على بحث الموقع الجغرافي ، ثم الاهداف العسكرية ثم برامج الانشاء البحري ثم قوى الطيران والقواعد البحرية ، ثم المقابلة بين جميع هذه العناصر

هذه الطريقة في البحث تقضي بنا الى تقسيم دول البحر المتوسط او التي تهتمها شؤونه بوجه خاص الى اربع طوائف وهي اولاً طائفة البلدان التي يغمر ماء البحر المتوسط سواحلها ولا منفذها الى الخارج الا عن طريقه . وبلدان هذه الطائفة هي ايطاليا واليونان ويوجوسلافيا وتركيا اذا حسبنا ان البحر الاسود ليس الا بحيرة كبيرة لانه لا يفضي الى مسالك المحيطات الحرة اما الطائفة الثانية فهي البلدان التي لها سواحل على البحر المتوسط واخرى على بحر آخر وهي اسبانيا وفرنسا ومصر . ويدخل في فرنسا ممتلكاتها الافريقية واتدائها السوري واللبناني والطائفة الثالثة هي الامبراطورية البريطانية ولها في البحر المتوسط موقف خاص والطائفة الرابعة هي طائفة البلدان التي موقعها الجغرافي خارج البحر المتوسط ولكن لها بعض

مصلح فيه وتتجه الى الرغبة في ان يكون لها شأن في تصنيف اموره وفي طليعتها المانيا وروسيا ومن الواضح ان اهداف هذه الامم تختلف باختلاف وضعها الجغرافي . فالبلدان التي يمكن ان تحسب اسيرة هذا البحر كإيطاليا ويوجوسلافيا واليونان وهي التي تعتمد في استيراد مواد غذائها على المواصلات البحرية فيه ، لا يمكن ان تكون خطتها وأهدافها شبيهة بخطة دولة اخرى كفرنسا تستطيع اذا سدت في وجهها مسالك البحر المتوسط ، ان تستورد ما تحتاج اليه من الغذاء عن طريق المحيط الاطلنطي ، ولا بخطة الامبراطورية البريطانية التي تستطيع ان تعتمد على طريق الكاب البحري في حال الضرورة ، ولا بخطة المانيا او روسيا اللتين لاتستطيعان ان يكون لهما شأن كبير فيه الا اذا كانتا او كانت احدهما متحالفة مع احدى دول البحر نفسه

فخربة هذا البحر في نظر بعض هذه الدول — كإيطاليا — بمنزلة التنفس اي انها مسألة حياة او موت . وهي في نظر الآخر كفرنسا ذات مقام خطير لعلاقتها بامتلاكها في افريقيا واتدابها في الشرق الادنى وسهولة تعبئتها الافريقية في حالة الحرب . وهو شريان عظيم الشأن في الامبراطورية البريطانية ، ولكنه ليس مما لا يستغنى عنه من جهة التغذية . اما الدول الاخرى التي لا يقسل ماء هذا البحر سواحلها ، فلا حاجة حيوية بها اليه

ويضاف الى هذه الاعتبارات العامة اعتبارات خاصة ، ففرنسا مثلاً تحصر عنايتها بالجانب الغربي من هذا البحر ، لاهتمامها بمواصلاتها التي تربطها بالمغرب الاقصى وتونس والجزائر . وهذه المواصلات محصورة في منطقة واقعة بين شبه الجزيرة الايبيرية وشبه الجزيرة الايطالية فهذه الحقيقة لا بد ان تكيف خطتها البحرية وعلاقاتها السياسية بهذين البلدين . وإيطاليا معدة من قبل الطبيعة بوضعها الجغرافي لقطع المواصلات بين غرب البحر وشرقه . أما بريطانيا ففي يديها مفتاحان تقفل بهما مدخلي البحر اذا اقتضت الحال وهما جبل طارق ورتعة السويس

الاهراف الاستراتيجية

تبيان الاهداف الاستراتيجية طبقاً وفقاً للاعتبارات الجغرافية التي بسطناها في ما تقدم فما هي (إيطاليا) — فلننظر أولاً في موقف إيطاليا . فقد قلنا ان إيطاليا سيجينة هذا البحر وهي لاتستطيع ان تستورد معظم الغذاء اللازم لها الا عن طريقه فأمامها أحد مسالك ثلاثة فإما ان تتفاهم مع الدول الباسطة سؤودها على هذا البحر اي مع انكلترا وفرنسا وإما أن يكون لها أسطول يمكنها من ان تسيطر على البحر وحدها وهو على مدى ما نعلم يتعذر عليها الآن ، واما ان تتفاهم مع إحدى دول القارة الاوربية فتتمكن من ان تحصل منها عند الحاجة على المواد الأولية التي تحتاج اليها صناعاتها والغذائية اللازمة لأود شعبها وحينئذ يكون في وسعها ان تقف وجهاً لوجه مع قوة الكتلة الفرنسية الانكليزية

وقد وضع كاتبان يدعيان همل Hnmmel وسيورت Siewert كتاباً عنوانه البحر المتوسط، خصا معظم فصوله بموقف إيطاليا. وعندهما أنه ليس في الوسع إنكار الميل الإيطالي إلى بسط السيطرة الإيطالية على البحر المتوسط. وأن هذا الميل ناشئ عن عوامل ثلاثة هي الجغرافي والمغرافي والاستعماري. فمانون في المائة من حدود إيطاليا سواحل يغمرها ماء هذا البحر. ولذلك نرى إيطاليا في كل مؤتمر بحري، تبسط موقعها الجغرافي الخاص في البحر المتوسط وما تلاقيه من الصعوبة في استيراد ما تحتاج إليه من مواد الغذاء والصناعة، ثم تعتمد على هذا الوضع الخاص في طلب الحقوق الخاصة بقوة أسطولها. ولا يخفى أن إيطاليا من أفقر البلدان الأوربية في المواد الأولية كالفتح والمعادن والنفط والخشب وغيرها فأودها قائم على الاستيراد كانت إيطاليا سنة ١٨٧١ تعد ٢٧ مليوناً واثنتين عدد سكانها اليوم ٤٢ مليوناً. هذه الزيادة الكبيرة في عدد السكان أحدثت موجة من الهجرة حتى ليقدر عدد الإيطاليين الذين يقطنون خارج إيطاليا بعشرة ملايين منهم ثمانية ملايين في أميركا

والحالة الناجمة عن الموقف الجغرافي وقلة المواد الأولية وموجة الهجرة افضت إلى نشوء الفكرة الفاشستية، النازعة إلى الاستعمار باحياء الامبراطورية الرومانية وجعل البحر المتوسط بحيرة إيطالية، المتجلية في فتح الحبشة والمنشآت الاستعمارية في ليبيا

فلكي تحقق إيطاليا ما تدعو «بحرنا» عليها أن تنهض إلى مستوى قوة نديها في البحر المتوسط أي فرنسا وانكلترا. إلا أن موارد ثروتها تجعل ذلك متعذراً عليها الآن. أن موقعها الاستراتيجي يمكنها من أن تبلغ مرتبة من القوة لا تستطيع ندياتها أن تستهينا بها وذلك بإنشاء سفن حربية من نوع الغواصات على الأكثر، وبالسلاح الجوي. فهي تستطيع أن تعرقل مواصلات فرنسا وشمال أفريقيا بهذه القوة فتعيق تعبئة القوات الفرنسية. ثم انها تستطيع أن تقطع الصلة بين غرب البحر المتوسط وشرقه فتعزل مواصلات بريطانيا مع الهند أن لم تقطعها بتاتا

(فرنسا) — فلنلق الآن نظرة على موقف فرنسا. أن مواصلاتها في غرب البحر المتوسط ذات شأن عظيم جداً في نظرها لأنها السبيل المباشر من مرسلها وطولون إلى أوران والجزائر وتونس. فإذا شاءت أن تعبئ مليون جندي في ممتلكاتها في شمال أفريقيا وتنقلها إلى فرنسا وكانت مواصلاتها في غرب البحر المتوسط مقطوعة أو مخوفة بالخطر، تحتم عليها أن تنقلهم عن طريق المحيط الأطلنطي، فتضيع بذلك وقتاً ثميناً. فخرية المواصلات في غرب البحر المتوسط مسألة على أعظم جانب من خطر الشأن في نظر فرنسا. وما يجب الاعتراف به أن هذه الحرية تغدو معرضة

لخطر عظيم في حالة نشوب حرب عامة تكون فيها أسبانيا وإيطاليا ضد فرنسا
يقابل هذا أن فرنسا تحل — في حالة نشوب حرب عامة — مواقع في البحر المتوسط

يمكنها من الهجوم على شبه الجزيرة الإيطالية . فتمتة أولاً الساحل الفرنسي القريب من إيطاليا ثم جزيرة كورسيكا التي عزز من موقف فرنسا الحربي ازاء إيطاليا . ان المسافة بين كورسيكا وساحل توسكانا الإيطالي ٨٤ كيلومتراً ، وبين كورسيكا وجنوى ١٥٠ كيلومتراً وبين كورسيكا وروما وميلانو وتوران ٢٠٠ كيلومتر . ولذلك يمكن القول بأن كورسيكا أصلح ما يكون مكاناً للشروع في الحملات الجوية التي تبغي فرنسا ان توجهها الى إيطاليا في حالة نشوب حرب . ثم يضاف الى ذلك موقع طولون في جنوب فرنسا وبيزرتة في شمال افريقية . ومن هنا يتبين ان فرنسا لا تعوزها قواعد الهجوم على إيطاليا في حرب تكون فيها إيطاليا عدوة لها

ثم ان المسافة بين بيزرتة وساحل صقلية الغربي قصيرة ، فاذا شاءت إيطاليا ان تستعمل جزيرة بانتلاريا لقطع المواصلات بين غرب البحر وشرقه في مضيق صقلية استطاعت فرنسا ان تعدل هذا العمل وتبطله من بيزرتة وهي قاعدة بحرية وجوية عظيمة . واذا كانت إيطاليا تستطيع في بدء الحرب ان تقطع المواصلات البحرية في المضيق بين صقلية وساحل تونس فان وجود بيزرتة يجعل استعمال إيطاليا لهذا المضيق متعذراً كذلك

أما (اسبانيا) فلا نزاع في ما لموقعها من عظيم الشأن . فساحلها يمتد من الشمال الى الجنوب على حدود البحر الغربية . ثم انها تملك جزائر البليار ومواقع عظيمة الخطر على الساحل الافريقي مثل مليلة وسبتة . فوالاتها لايطاليا والمانيا تعب انكثرتا وفرنسا كثيراً لانها تمرقل مواصلات فرنسا — كما بينا — وتنقص من قيمة جبل طارق كمفتاح لغربي البحر المتوسط . ومن هنا كان للحرب الاهلية الاسبانية ذلك المقام الخاص في دوائر السياسة الاوربية^(١)

ثم كلمة عن (بريطانيا) . فالبحر المتوسط في نظرها طريق اقامت على مراحل خاصة منه الحصون لتأمينه . فتمتة جبل طارق في الغرب ومالطة في الوسط . ثم انها تحرس مدخل البحر من ناحيته الشرقية من مقامها الخاص في فلسطين ومصر . وقد بالغ الكتاب كثيرأ في ما كتبه عن مالطة وسقوط قيمتها الحربية . ولكنها اذا كانت قد غدت غير صالحة تماماً مباءة للاسطول البريطاني كما كانت فانها لا تزال تصلح حصناً ثوب الى مرفأ الغواصات والطائرات فالهدف الذي تسمى اليه بريطانيا هو حفظ الطريق البحري بين جبل طارق وترعة السويس حرأ فاذا حدث ما يقطع عليها هذا الطريق ، فانها تحول سفنها التجارية الى طريق الكاب

ثم ان للسياسة البريطانية هدفاً آخر في البحر المتوسط وهو المحافظة على مصالحها وعلاقاتها السياسية في الشرق الادنى

(١) راجع « الحرب الاهلية الاسبانية وصداها الدولي » مقتطف نوفمبر ١٩٣٦ صفحة ٤٧٥ — ٤٨٥

أما تركيا فلها شأن كبير في البحر المتوسط لانها تستطيع ان تتحكم الى حد بعيد بمخرجه الشرقي ، ولأنها تستطيع ان تمنع روسيا من التدخل في شؤونها بامتلاكها الدردنيل والبوسفور . وأما ألمانيا وهي ليست من دول هذا البحر بحصر المعنى فتستطيع ان تبرز مقامها فيه اذا تحالفت مع إيطاليا وعندئذ فقد تؤيد حليفتها ببعض سفن بحرية من قبيل الغواصات او بعمل عسكري في البلقان يتجه الى اسطنبول وسلافيك

بقي أن نقول أن هدف (مصر) هو الاحتفاظ باستقلالها وهي في حاجة الى دولة كبيرة تحالفها فتحالفت مع بريطانيا لان مصالح البلدين من حيث حفظ السلام في البحر المتوسط واحدة

الساطيل وبرامج الانشاء

ان الشروع في بناء الطراد الايطالي «امبيرو» في جنيف من عهد قريب، بعد خطوة جديدة في تجديد قوة إيطاليا البحرية في البحر المتوسط . وليس في وسع الباحث الا الانحاء باحترام أمام الجهد العظيم الذي بذل في تعزيز الاسطول الايطالي منذ تقلدت الحكومة الفاشستية أزمة الحكم، وذلك لتحقيق الهدف الذي ترمي اليه وهو المساواة بفرنسا التي ما فتئت تطالب بها إيطاليا في المؤتمرات البحرية ثم حققها موسوليني في الواقع تقريباً . فالطرادات السبعة التي بنتها فرنسا - ومحمول كل منها ١٠ آلاف طن - ردت عليها إيطاليا بصنع سبعة مثلها من المحمول نفسه . إلا أن إيطاليا نظرت الى موقعها الجغرافي الحربي فرأت انها لا تحتاج الى سفن حربية تصلح للمدى البعيد ، فاتخذت في بناء سفنها الحربية قاعدة خاصة بها فجعلتها اقل سرعة وأقصر مدى واستعملت فرق الوزن الذي كسبته كذلك لجعل دروعها أكثر وأمن

فنشأ عن ذلك انه اذا كانت إيطاليا تساوي فرنسا في عدد الطرادات التي محمول كل منها عشرة آلاف طن فالرأي بين الخبراء ان الطرادات الإيطالية التي بنيت ردًا على الطرادات الفرنسية ، متفوقة لان الإيطاليين استعانوا في بنائها بالعبارة والاختبار

وقد سمعت الاميرالية الإيطالية ان تتبع برنامج الانشاء البحري الفرنسي ، حذوك النعل بالنعل ، في جميع الاصناف الاخرى من السفن الحربية ، وليكنها كانت تسعى في كل ما تصنعه الى التحسين والاتقان على نحو ما فعلت في الطرادات

فالمدمرات الفرنسية التي محمولها ٢٥٠٠ طن و ٣٠٠٠ طن ردت عليها الاميرالية الإيطالية بطرادات خفيفة من طراز «الكونديتيري» ومحمول كل منها يتفاوت بين ٥ آلاف طن و ٦٧٠٠ طن أما في الغواصات فتسعى إيطاليا الى مساواة فرنسا بل والى التفوق عليها عدداً . وليكنها أي إيطاليا تصنع غواصات أصغر حجماً وأخف وزناً من الغواصات الفرنسية . وسبب ذلك ان

البحر المتوسط وهو بحر داخلي لا يقضي غواصات كبيرة تستطيع ان تسافر مسافات طويلة في المحيطات ، فهي في هذا البحر قريبة من قواعدها . ولذلك تفضل ايطاليا ان يزيد عددها ما تبنيه من الغواصات الصغيرة والمتوسطة . ويقابل هذا ان فرنسا تحتاج الى غواصات من الطبقة الاولى حجماً ومدى لطول مواصلاتها البحرية الاستعمارية

ومع ان ايطاليا عمدت في البدء الى بناء السفن التي توافق خططها البحرية في بحر داخلي — اي السفن الصغيرة الحجم — الا انها عمدت بعد ان شرعت فرنسا في بناء البوارج الكبيرة من طراز الدونكرك والستراسبورج، الى الرد عليهما بالشروع في بناء الطرادين الكبيرين فيتوريو فينتو واليكتوريو . وبدلاً من ان يحمل موسوليني محمول كل منهما ٢٦٥٠٠ طن جعل المحمول أقصى ما تسمح به معاهدة واشنطن وهو ٣٥٠٠ ألف طن . وهو المحمول الذي سيتخذ قاعدة في بناء البارجتين الجديدتين من طراز البارجة « اميرو » التي تقدم ذكرها

ويمكن ان يقال على وجه من الدقة ان الاسطول الايطالي كان في اول يناير سنة ١٩٣٨ مؤلفاً من اربعة طرادات مجددة مجموع محمولها ٩٠ ألف طن و ١٩ طراداً منها سبعة محمول كل منها ١٠ آلاف طن و ١١٤ مدمرة وسفينة طوريد و ٨١ غواصة

أما برنامج الانشاء البحري الذي أذيع فواسع النطاق وعند تمامه يصبح الاسطول الايطالي في البحر المتوسط قوة تحاذر^(١)

يقابل القوة البحرية الايطالية في البحر المتوسط أسطولاً الكتلة الفرنسية البريطانية ، أو ما يستطيعان ان ترصدها منها للخدمة في هذا البحر . فملينا في المقام الاول ان نبين مجموع قوة الاسطولين ، ثم نشير الى القوة التي تستطيعان رصدها للخدمة في البحر المتوسط كانت فرنسا في بدء سنة ١٩٣٨ متفوقة على ايطاليا في جميع اصناف السفن الحربية فمحمول سفنها التي لا تزال تحت مستوى التعمير وصالحة للقتال كان ٥٠٠ ألف طن حالة ان محمول سفن ايطاليا المقابلة لها ٣٨٠ ألف طن . ولكن فرنسا مهددة بخسران هذا التفوق

ولسنا في حاجة في مثل هذا الفصل الى التبسط في وصف العناصر التي يتألف منها الاسطول الفرنسي ويكفي القول انه في مجموعه متفوق على الاسطول الايطالي الآن . ولكن برامج الانشاء البحري الفرنسي ليست على سعة كافية ولا سرعة وافية ولذلك ينتظر ان تلحق ايطاليا بفرنسا في سنة ١٩٤١ وتسبقها سنة ١٩٤٢ اذا لم توسع فرنسا نطاق برنامجها البحري وتزيد البناء سرعة

(١) يشمل برنامج الانشاء البحري لسنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨ اثنتي عشرة (١٢) قائدة مدمرات و ١٦ قارب طوريد وعشرين غواصة . ثم أذيع في ٧ يناير اضافة طرادين (حمولة ٣٥ ألف طن) واثنتي عشرة كشافة وطائفة من الغواصات الى برنامج الانشاء البحري وسيكون اسم الطرادين « روما » « وابير »

ثم لننظر في الاسطول البريطاني. ان مجموع محمول سفنه يفوق المجموع الخاص بفرنسا وايطاليا معاً اذ يبلغ ١١٦٠٠٠ طن وهي متفوقة خاصة في البوارج والطرادات الكبيرة وحاملات الطائرات. وموضع الضعف الوحيد في الاسطول البريطاني هو الغواصات. ولذلك يزعم الخبراء انه اذا عمل حساب لاسطول المانيا في البحر الشمالي، ولمقتضيات الطرق الامبراطورية، استطاعت بريطانيا وحدها ان ترصد للخدمة في البحر المتوسط اسطولاً يفوق الاسطول الايطالي. فاذا ضم اليه جانب من الاسطول الفرنسي كان التفوق حاسماً لا ريب فيه. اما ضعف الغواصات فهناك وسائل لمكافحةها تقلل من خطرها

ويضاف الى هذا ان برنامج الانشاء البحري البريطاني ضخم جداً وهو يبلغ وحده في مجموع محمول سفنه رقماً^(١) اعلى من الرقم الخاص بمجموع محمول الاسطول الايطالي الآن، ومتى تم بلغ مجموع محمول السفن في الاسطول البريطاني ١٧٠٠٠٠ طن وهذا عدا ١٢ سفينة مجموع محمولها ٦٣ الف طن أقر بناؤها ولكن لم يشرع فيه بعد

اما الاساطيل التابعة لاسبانيا ويوجوسلافيا واليونان وتركيا فلا شأن كبير لها بل ان شأنها صغير جداً ولا يذكر لان معظم سفنها صغيرة وقديمة. اما اسطولاً روسيا والمانيا، فالاول محصور في البحر الاسود وبحر بلطيق ولا يحتمل ان يكون له شأن اكبر من ارسال بضعة غواصات الى البحر المتوسط. واما الاسطول الالماني في البحر الشمالي فجل ما يستطيعه ان يقف امام جانب من الاسطول البريطاني وما يؤيده من الاسطول الفرنسي في البحر الشمالي وليس في وسعه ان يرسل نجدة تذكر الى اسطول دولة حليفة في البحر المتوسط

الطيران والقواعد البحرية

لا يتم البحث في موازنة القوى الحربية في البحر المتوسط الا اذا بينا ما للطائرات الحربية من مقام وتأثير في هذه الموازنة. والطائرات كعامل في تقرير القوى الحربية ينظر الى موضوعها من ناحيتين الاولى عملها في الاستكشاف واطلاق القنابل والثانية القواعد التي تستند اليها اما الطائرات المستعملة في الاساطيل البحرية او معها قنوعان، نوع تحمل السفن وينطلق من سطحها، وهذه السفن نوعان نوع خاص بحمل الطائرات ولا عمل له الا حملها والنوع الآخر هو السفن الحربية العادية التي تحمل عدداً يسيراً من الطائرات ولكن ليس لها سطح متسع كما

(١) يشتمل برنامج الانشاء البحري الانكليزي على ستين سفينة مختلفة مجموع محمولها ٤٢٧ الف طن عدا السفن الاثني عشرة الاضافية

ترى في حاملات الطائرات الخاصة ، فتطلقها بالقذف الميكانيكي بجهاز يشبه المنجنيق القديم وقد اتخذ رداءً جديداً

ففي هذا النوع من الطائرات نجد التفوق حاسماً للاسطولين البريطاني والفرنسي ولا سيما الاول الذي يعد بين سفنه سبع حاملات للطائرات

ثم هناك القوات الجوية المستقلة عن الاسطول والمستندة الى قواعد على اليابسة وفي هذا النوع يقر الخبراء بان التفوق في البحر المتوسط لايطاليا . وذلك لاسباب في مقدمتها ان سلاحها الجوي كبير واصنافه كثيرة ثم لان كل سلاحها الجوي مجتمع في شبه الجزيرة الايطالية ، وله قواعد في مواقع غاية في الملائمة للكر والفر . وقد يكون من الشاق ان توضع موازنة دقيقة بين عدد الطائرات التي تستطيع ايطاليا ان تجردها في حالة نشوب حرب وعدد الطائرات التي تستطيع فرنسا وبريطانيا ان ترصدها للبحر المتوسط ، وذلك لسهولة التمثيل والتبديل في أجهزة تسير بسرعة عظيمة كالطائرات الحربية . وإنما يمكن ان يقال ان ايطاليا متفوقة على فرنسا وبريطانيا في سلاح الطيران من حيث خطط الهجوم والدفاع مما يسهل على اسطولها عمله

هذا في ما يتعلق بسلاح الطيران . وقد بقي علينا أن نجمل الكلام في ختام هذا الفصل على القواعد البحرية التابعة لدول البحر المتوسط المختلفة

وأول ما يخطر للباحث الميزة التي تتمتع بها ايطاليا من حيث موقعها الجغرافي وهي امتدادها في وسط البحر المتوسط ، وما لها من قواعد بحرية متعددة يثوب اليها الاسطول للتمون والترميم اذا اقتضى الامر ذلك . ثم قرب هذه القواعد من مواقع المعارك البحرية المحتملة . هذه القواعد هي تراتو عند كعب الخذاء الايطالي وسبازيا وجنوى نابولي على الساحل الغربي وتريستا وبولا في البحر الادرياتيكي ، ومسينا في جزيرة صقلية وقد أعد مرفأها اعداداً خاصاً ليكون قاعدة للغواصات تستند اليها الغواصات التي تقوم من نابولي وتراتو وبرنديزي . وفي صقلية قواعد أخرى منها تراباني وكاجلياري ، وهذه تصلح لقطع الطريق البحري بين غرب البحر المتوسط وشرقه

ثم هناك جزيرة باتنلاريا الصخرية الواقعة بين طرف صقلية الغربي وساحل تونس وهي تحصن الآن لتؤيد القواعد التي تقدم ذكرها في قطع الطريق البحري

وعلاوة على القواعد البحرية التي تملكها ايطاليا في وسط البحر المتوسط ، لها قواعد في شرق البحر ولاسيما في جزيرتي رودس وليروس في بحر ايجه . ثم لها طرابلس الغرب وبنغازي على ساحل لوبيا الشمالي ، ولكن ساحل لوبيا الشمالي مما يصعب الدفاع عنه وحمايته

والخلاصة ان ايطاليا قوية بقواعدها البحرية في الوسط ، ضعيفة في الجناحين يقابل هذا ان انكلترا وفرنسا لهما قواعد لا تقل قوة ومنعة وحسن موقع جغرافي عن قواعد

إيطاليا . والميزة الاولى التي تتمتع بها بريطانيا هي قدرتها على ايجاد بابي البحر المتوسط في الغرب والشرق . فتصبح الدول التي تتوسط هذا البحر وكأنها اسيرة فيه . نعم ان منعة جبل طارق قد يهددها خطر من ناحية اسبانيا اذا كانت معادية لفرنسا وانكلترا . ولكن وجود فرنسا في المغرب الأقصى وقدرتها على استعمال اوران والمرسى الكبير يعزز موقف انكلترا وفرنسا المنيع عند مدخل البحر من ناحيته الغربية

اما المدخل الشرقي أو بالحري المخرج فهو محكم الايجاد بوجود ترعة السويس وأعمال التحصين التي تقيمها بريطانيا في الشرق الأدنى . وليس لمخالفة انكلترا مع مصر غرض أهم من الاشتراك معها في السيطرة على ترعة السويس عندما تقتضي الحاجة ذلك . ثم ان الاسطول البريطاني يستطيع الاستناد الى قواعد الاسكندرية وبور سعيد ومرسى مطروح ويضاف الى ذلك المرفأ العظيم الذي أنشئ في حيفا ، والمعدات التي تم في مرفأ فاما جوستا بقبرص حتى يصبح قاعدة تصلح للطائرات والغواصات والمدمرات

واذا كانت إيطاليا قوية في القلب ضعيفة في الجناحين فانكلترا قوية في الجناحين ضعيفة في القلب . فليس لها في وسط البحر الا مرفأ فاليتا في جزيرة مالطة . نعم ان مالطة فقدت بعض قيمتها الحربية لقربها من قواعد الطائرات الإيطالية ، ولكن اذا حسبنا ان عمل قاعدة بيزرته الفرنسية في تونس يكمل عمل مالطة كان من الحتم علينا ان نقرر ان فرنسا وانكلترا اقوى في القلب مما كان يظن . ولعل بيزرته نفسها في ابداع موقع لقاعدة بحرية في البحر المتوسط كله . والحكومة الفرنسية تقوم هناك بانشاء حصون عظيمة الشأن ، وهي لقربها من سواحل إيطاليا الغربية تصلح أن تكون مرفأ تقوم منه الحملات الجوية والبحرية على إيطاليا هذا وان أجاشيو في جزيرة كورسيكا وطولون قاعدتان بحريتان عظيمتا الشأن وتكملان

العمل الذي تقوم به بيزرته

ولذلك يمكن ان يقال بوجه عام ان القوات البحرية الانكليزية والفرنسية في البحر المتوسط والقواعد البحرية التي تستند اليها تمكن الدولتين من الاحتفاظ بمكائهما البحرية المتفوقة فيه والخلاصة ان مشكلة القوة البحرية وتوازنها في البحر المتوسط لا تقوم الا في حالة نشوب نزاع بين إيطاليا من جهة وانكلترا وفرنسا من جهة اخرى . فاذا حدث ذلك فالتفوق لدولتي لندن وباريس الا ان إيطاليا تستطيع بموقعها الجغرافي وطائراتها من قطع الطريق البحري بين غرب البحر وشرقه ما زالت لم تغلب على امرها

راجع مقال « البحر المتوسط في التاريخ » مقتطف فبراير ١٩٣٧ صفحة ١٦١ ومقال « مشكلة البحر المتوسط » مقتطف اكتوبر ١٩٣٧ صفحة ٣٣٧

مكتبة المقتطف

كتب قرأتها

صقر قريش

دراسة لحياة الأمير عبد الرحمن الاول الملقب
بالداخل مؤسس الدولة الاموية بالاندلس تأليف
الاستاذ علي أدهم صفحاته ١٢٨ طبع مطبعة المقتطف

ما قرأت كتاباً في سيرة بطل من أبطال التاريخ ، أو عظيم من أصحاب الفتوحات ، إلا
وشعرت بانقباض الصدر من وحشية الانسان ومن تفجر روح الشر وانبات أصول الجريمة فيه ،
وكثيراً ما قلت في سري ، ان روح الخير انما هو اسم لمسمى لا وجود له البتة في نفوس من
تواضعنا على تسميتهم بالابطال والعطاء ، وان العظمة والمجد والخلود التي نضفيها ألقاباً مبهجة انما
هي نتيجة ضعف في نفوسنا المريضة ، وصور للخوف والاستسلام والاستكانة للطاغية ، وكثيراً
ما أعدت أسباب هذا الانقباض النفساني الى مؤلف سيرة البطل نفسه وقد ساقته همجية الحادثات
معه ، ولم يقو على صد نفسه عن الانزلاق في وحشية الوقائع ، ولا تحرير عقله من التأثيرات
العاطفية ، فعرض موضوعه عرضاً أشعر القارئ انه يحب في برك من دماء مستنقعة حول
القصور والمنازل ، وبموج في مباءات عامرة تراكم فيها الاشلاء تنبعث منها روائح التّن ، والرم
يعلوها البلى والانحلال ، وما لاحظت ان أنياب الجريمة والشر تبرز في نفس الطاغية الاديب
أكثر مما تظهر في الطاغية الذي لا يحفره خيال مبدع ولا يدفعه الى المغامرات سوى دافع حب
المجد ، واشباع الانانية اشباعاً مطلقاً

قل بين كتاب التراجم وسير الابطال من نظر الى روح أعمال الرجل العظيم قبل تدوين
وقائمه ، والى ملاحظة نفسيته ودراسة عصره وبيئته دراسة عالم باحث منقب متجرد ، وعمل
بحرية وجرأة على اظهار ظروفها وبواعثها ، ملابساتها وخفاياها ، مقدماتها ونتائجها ، وعلى
شحذ عقل القارئ ليشاركه في الموازنة والمقارنة ، والمفاضلة والعدل في الحكم على المترجم
له او عليه كما فعل مؤلف كتاب صقر قريش

لقد تناول صديقنا الفاضل الاستاذ علي أدهم بالبحث والدراسة شخصية من أبرز الشخصيات
الاسلامية جمعت بين خيال الاديب الخالق ، والمصلح الاجتماعي ، والطامح الى استرداد ملك
كان موطداً في سبطه وأرومه انتزعهم منهم من هم أقوى وأقدر ، شخصية عبد الرحمن ، الملقب
بالداخل ، المعروف عند سادة العرب بصقر قريش . وان في اصطفاؤه هذه الشخصية الشاذة ،

الجامعة بين الاشياء واضدادها ، الدالة على العبقرية بأوفر معانيها ومظاهرها ، ومحاولته الاحاطة بها من جميع جوانبها . وابرازه عناصرها الثمينة والخسيسة ، وخصائصها الميكيقالية البشعة وانسانياتها السمحاء ، وعظيم مقدرتها على القفز من الوفاء الى الغدر ، والانقياد والامتناع ، والسكره والرضى وغير ذلك من الاضداد بدون ما ترخ او تذبذب ، وفهمه مئار الانفعالات النفسية فها لا تشوبه شائبة تشكك ، انما هو تجديد في أدبنا العربي في دراسة الشخصيات البارزة على أضواء أحدث العلوم العصرية

والعلوم الحديثة في الحركات التاريخية ، السائرة عفواً الى غاية مجهولة ، تسعى الى معرفة هذه الغاية والقبض على كل فكرة تتناثر عنها . وقد توسلت العلوم الحديثة باجلاء الغوامض ، وتبديد السحب ، وجعلت تاريخ الانسانية سلسلة من افكار توالى على الدنيا بدون انقطاع ولظهور الفكرة التي تتناثر عن الغاية الكبرى طرائق عدة منها : « انبعث الغريزة التاريخية طموح العظيم لتحقيق الفكرة » « والايحاء الى الافراد الذين نسميهم أبطال التاريخ واتخاذهم رواداً للفكرة وطلائع لها » « فبعد الرحمن اذن من العطاء لانه حقق فكرة عصره ، وقام بأكبر مطالب زمنه ، وكان يخضع لعاطفة قوية مسلطة على الغرض الذي يتطلع اليه العصر ، فعبرة التاريخ ليست في الذرائع التي تذرع البطل بها ، بل في تحقيق الفكرة » « ومما يثير حينا للابطال العطاء وعطفنا عليهم ، ان نهاية اكثرهم كانت اشبه بالنساء ، فان الفكرة تنبذهم بعد تحقيقها » فكتابة سيرة البطل اذن ، ليست تأريخ ساعة مولده ويوم وفاته ، ولا معرفة مواقفه الحربية وغزواته جيرانه ، واستلاب الضياع ، وسبي النساء ، وكسب الابل والابق والسائمة ، والتفكيك بالخصوم ، وذبح الآلاف من الاعداء ، انما هي نبش العلل التي سولت كل هذا ومهدت لتحقيق الفكرة الاصلاحية المرتكزة في ضمير البطل التي اوحتها مطالب العصر

كانت اسبانيا في ذلك الوقت مختلة الاحوال ، قد تطاول على اهلها الجور ، وتمادى بهم الشقاء « وكانت هناك اقلية من الاثرياء المستأثرين بالامتيازات والمنافع ، وأكثرية مهملة مطرحة لغاي الفاقة والحرمان ، وكان اشراف الرومان ، وقد صدت سيوفهم في اغمارها » اخذوا « يعيشون عيشة مرفهة مخلدين الى الدعة متهاكين على اللذة »

زحفت قبائل البربر على اسبانيا ، فوجدت الطريق سهلاً معبداً ، فكانت هذه القبائل تسرف في السلب والنهب والتخريب ، فيئس الشعب من الخير والاصلاح ، لا يبالي أحكامه الرومان ام ساس اموره البرابرة . ثم توالى نكبات الحاكمين والمحتاجين ، واستحكمت العداوة

بين المغيرين الغاصبين ، فأودت بهم النكبات الى اقتراف الخيانة العظمى بالذهاب الى موسى ابن نصير حاكم افريقيا العربي ، زين له الاندلس ، يغريه بخيراتها ، ويحفزه على غزوها والاستيلاء عليها

تقياً الاسبان ظل حكومة عربية أبرّ بهم من سائر الحكومات السابقة ، وكان اكثر الحكام ينسبون الى احدى الشعبين الكبيرين من العرب وهما قيس من اليمنية والمضرية ، وكانت سيوف هؤلاء العرب لا تغمد مرة الا لتستل مرات من اقربها لتروي من دماء العرب انفسهم « ولو ساد النفاق وتم الوفاق بين القيسية واليمنية ، لامكن اسبانيا ان تحظى بأيام مليئة بالصفاء بعد تلك الخلاقات المتأججة والمعارك الحامية »

ظهر عبد الرحمن ، الدمشقي المولد وأمه بربرية في الوقت الذي تمت فيه كلمة العباسيين وأخذوا ينقبون أثر بني امية ويعملون فيهم القتل والتهميل

فر عبد الرحمن الى افريقيا حيث نفوذ العباسيين هناك قليل الامتداد ، وهنا تبدأ رواية مسلسلته ، تامة الوحدة ، منسجمة الحبك ، سلسلة السياق ، نضدها ففكر الاستاذ علي أهم واستخلصها من وعورة التاريخ وجفاف روحه ، فهداها ، فصيرها لينة المسالك ، مقبولة المحضر ، لا تستكره العين مرأى الدماء المستباحة ، ولا تشفق على شعب عربي فتح الامصار ، ودوخ الجيوش ، ونشر الدين الاسلامي ، وانتهى نهايته المعروفة « لانه لم يكن شعباً قد تم امتزاجه ، وكملت وحدته ، وتلاقت اهواءه » وان القارىء قد ينتحل الاعذار المسوغة لظلم عبد الرحمن الداخل وقسوته « للفارق الكبير بين مزاج البربري النزاع الى عمق العاطفة الدينية ، يأخذ الدين مأخذ الجد الصارم ، ويوغل فيه بغير رفق ، وهو شديد الاعتقاد ، كثير التصديق لما وراء الطبيعة ، وبين مزاج العربي الذي لا يطبق الاسراف في الدين ، ولا يأخذه مأخذ الجد الشديد العيوس »

أجل ، لقد توفق الاستاذ علي ادهم بما له من مقدرة على تسليط اضواء عقله على كل حادث صعب او سهل ، والنظر اليه نظرة مجردة ، والموازنة بين المسائل المتخذة والنتائج المرتقبة ، واللبانات والاعراض المرتبطة بالفكرة ، المتناثرة من الغاية الكبرى ، أقول قد توفق الى إطفاء حدة النزعة البشرية فينا التي ترى الواقع وتحس أثره في النفس وقلما تأبه الى البواعث والذرائع وتحقيق الغرض ، وجعلنا نقتنع ، بمقتضيات الحرص على النجاح ، وقهر الخصوم والاعداء ، انها هي التي جعلت صقر قريش لا يتعفف عن الغدر والخيانة ، ولا يتورع عن الدسيسة ، ولا يحجم عن الشدة المتناهية ، وهذا — في زعمي — من احسن ما بلغ اليه عقل عصري مستنير في المعرفة ، والتوضيح ، والتبسيط والاقناع . واليك نبذة من ذلك قال : —

« جاء عبد الرحمن الاندلسي طريداً قد شرّده الخوف ، واتعبته المظاردة ، فلم يجد أمة موحدة القصد ، متحدة التقاليد متقاربة الاخلاق ، بل وجد على نقض ذلك اخلاطاً من الامم ، وانماطاً متباينة من الناس ، فقد كانت اسبانيا عند دخوله خليطاً غريباً من بقايا الرومان والاسيان القدماء والقوط والنورمنديين والعرب والبربر ، لا جامعة قومية تربطهم ، ولا مصلحة مشتركة تعين على إدماجهم ، ولا عقلية متشابهة تسيطر عليهم وتسيرهم ، فكان جل ما يرمي اليه ويعمل على تحقيقه هو ان يخلق منهم امة واحدة »

لم يكنف الأستاذ علي أدهم بتطهير حوادث التاريخ من روائح الدماء وتزويق صور الوحشية الآدمية فيها وتحويلها الى قصة سلسلة تملو فيها الجوانب الاصلاحية والاجتماعية على جوانب المجد الذاتي والانانية الفردية ، بل استخلص صوراً قنية من جوانب حياة عبد الرحمن الفنان « الجلاد الرهيب ، والسفاح المبيح ، المستطار الوجدان ، والمستنفر العاطفة » وفرق بين طراز رجل العمل وطراز الشاعر — وكان عبد الرحمن اديباً شاعراً وخطيباً ومحدثاً — فقال مقالة حيتي شاعر الالماني الذي صورّ الاول رجلاً مائل الاغراض ، محدود القصد ، مزن الملكات . وصوّر الثاني رجلاً عاجز الارادة ، تلعب به اهواؤه ، وتستعبده عواطفه ، فهو يسير بالحياة على غير هدى ، ليصل بعد استعراض سجاياه وخلائقه انه كان رجل عمل دنيوي كقومه الذين كانوا في الجاهلية أصحاب تجارة ، وفي الاسلام انتزعوا الملك بالحيلة والدهاء والعصبية المتماسكة ، وطالجوا صناعة الحكم ، ليقول بلباقة الاديب الحريص على ألا يمس تقن الاديب ونخبته ، إذا توفر الروح الادبي في الرجل الطموح ، فان الادب ، وسعة الخيال ، تدفعان به الى ركوب كل مركب تحقيقاً للغاية المجهولة التي تتناثر عنها « الفكرة » لتستقر في ضمير البطل العظيم فيحققها على أتم وجه وأكمل معرفة

والآن وقد تيسر لي بعض ما أود قوله في هذا الكتاب الذي أحسن صديقي الفاضل رئيس تحرير المقتطف جعله احدى هديتيه السنويتين الى قراء مجلته ان أدعو القراء الى الحرص على اقتناء هذه المتعة العلمية والتاريخية والفنية والافادة منها لانها زاخرة بالبحوث الناضجة ، والدراسات المختصرة ، وهي مثال لمن تحذتهم أنفسهم في كتابة التراجم والنقد ، واستحثهم بنوع خاص على قراءة فصول فيه عنوانها « معيار البطولة ، والايام الاخيرة ، وعبد الرحمن الفنان ، وتقويم وتقدير » لان كل فصل على حدته خليق بأن يكون كتاباً بل قنية يستمد منها المتأدب والاديب

أفاعي الفردوس

ديوان شعر لالياس أبي شبكة — ٩٢ صفحة من قطع المقطف تقريباً — نشرته دار المكشوف
طبع مطبعة الاتحاد في بيروت

كان للحرب العظمى أثرها في الافراد كما كان لها أثرها في الأمم ، ولقد هزّت عروش الاخلاق كما هزّت عروش الملوك ، فزعزت في النفوس هقائدها ، وأطلقت الرغائب من عقالها ، وأصاب المثل العليا في صميمها . فخرج الناس على كل مألوف ، وطغت عليهم موجات الاستهتار فاندفعوا يقوّضون ما في طرائقهم ويحطمون ويغيرون ويبدّلون لا ترهبهم قوة ولا يصدّهم خوف وكما ان الحياة الاجتماعية قد تأثرت بهذه الثورات فقد تأثرت بها آداب الأمم الغربية كل التأثير فنشأ جيلٌ تأثر الذهن حاداً الاعصاب صريحاً كل الصراحة ساخطاً قلقاً متشامخاً حرّاً الزعة والفكر لا يقف عند حدٍّ ولا يتهب صعباً ولا يالي بشيء .

ولقد سرى تيار هذه الثورات من الغرب الى الشرق فكان تأثيره أشدّ وقعاً حيث أصاب الناس في روحانياتهم وجرف في طريقه كل ما قدسوا وما حرصوا في المحافظة عليه ، فتغيرت الاذهان وتبدلت أساليب الكتابة وتنوعت موضوعاتها ، وقامت الصراحة في النفوس مقام النفاق فلانطلقت القرائح غير هيابة تطرق ما لم يكن لها ان تطرق وتكشف في جرأة كل ناحية من نواحي الحياة

لقد حالت هذه الخواطر في ذهني وأنا أقرأ ديوان « أفاعي الفردوس » الذي أخرجه للناس حمداً سائلاً شاعرٌ قويّ العاطفة مشبوهاً قويّ الشعاعية الى أبعد حدودها تحسّ في أحرفه النار تلهفك ، وتشعر في جوه بالهامات صاعدة هابطة لا تنقطع زمرها . صريحٌ فيما بهاب الناس الصراحة به ، مصورٌ للثورة العنيفة التي نجتاج نفوس الشباب أروع تصوير ممزّق للقناع الخادع والمظهر المنافق : ذلك هو الياس أبي شبكة شاعر لبنان أو بوديليره بأدقّ تعبير

قد تناول شعراء العربية تصوير الحياة البوهيمية في احضان الشهوات ولقد ترك لنا ابو نواس على الاخص اكبر أثر لذلك على ان هذا التصوير حسيّ يندفع من الجسد الى الجسد في انخراط وزرابة ولا يسمو الى الروح أو يشتعل بجزارتها ، ولا يعبر عن الثورة في النفس بين عوامل الخير والشر ، لا يعنى بالجوهر قدر ما يعنى بالعرض ، ولكن « أفاعي الفردوس » يعبر عن كل هذا . ففي قصيدة « الفاذورة » اروع صورة للحياة المضطربة الحائرة في ظلمة رغباتها اذ يقول :

فطوّفت في غمر من الليل ، والحناء يعربد والارجاس ترغي وتزبد
وللحمار الغالي نشيش ورغوة كأف الورى مستنقع ينهد

وأغمدت في صلب الدجنة ناظري
فأبصرت أطباقاً تعمدها يد
صباغ يفور الخزي منه ملاصقاً
وشاهدت في الأطباق مفسدة الوري
ثم الناس في الدنيا تماويل حنطت
وما هذه الدنيا ، يذري رمادها
تلاشت بها النيران غير بقية
ففي طبق مستنقع في صقيعه
نسالة أقلت في الصدور مراضعاً
مراضعها فطساء فهي ضفادع
على ما بها من شهوة النار تجلد !

وان قصيدته « سدوم » لمن أروع ما كسب الشعر العربي . وفيها تصوير لظاهر الاتفاق
بين الحياة المستهترية في مدينة العصر والحياة المستهترية يوم صب الله على سدوم نار غضبه فأطلقها
لها وسعيراً . وفيها يهتف ساخراً :

مغالك ملهبت وكأسك مترعة
لم تبق في شفئك لذات الدما
قومي ادخلي ، يا بنت لوط ، على الحنا
ان ترجعي دمك الشهي لنبعه
لا تعبأي بعقاب ربك انه
في صدرك المحموم كبرت اذا
في صدرك الدامي مناجم للخنا

الى ان يقول : —

أسدوم هذا العصر لن تنحجي
كانت منكرة كوجهك عندما
قذفتك صحراء الزنى بحضارة
بور مسترة الفساد بخدعة
فبوجه أمك ما برحت مقنعه
هبت عليها من جهنم زوبله
ثكلى مشوهة الوجوه مفاجعة
نكراء بالخز الشهي مرقعة

ثم استمع الى التصوير الدقيق للثورة الجاحمة أو التطاحن بين الروح والجسم وقد بلغ الشاعر
في تصويره هذا الى ابعاد حدود الدقة والتعبير تطاوعه الفاظ مصهورة في اتون هذه العاطفة المشبوبة :
اسلية الفحشاء نارك في دمي فتضرمي ما شئت ان تضرمي

أنا لست أخشى من جهنم جذوة ما دام جسمي، يا سدوم، جهنمي
 طوّفت بي ميتاً بأروقة اللظى فحملتُ تابوتي وسرت بآثمي
 وعصبت بالشبق المحمّر جبتي فرفعتها في عصري المتهم
 علمتني لغة النبوة عندما فجرت الغام السوموم بمنجمي
 وكذلك في قصيدته « الشهوة الحمراء » صورة لهذا النضال وان كانت هادئة النفس محطمة
 الآمال يائسة يهتف فيها بحسرة ومرارة

لقد تعبت من الاحلام في جسد ملّ العفاف بألوان من الألم
 أما قصيدته « شمشون » فمن خالطات قصائده ، وفيها بصور لنا ثورة شمشون وهو يهتف
 بدليّة عند ما امسك بأعمدة الهيكل ليقوضه :

وارقصي انما البراكين تغلي نحت رجليك كالجسيم النذير
 اصبح الليث في يدك اسيراً فاطر حيه سخرية للحمير
 واجعلي الغل رمز كل صريح والواقيت رمز كل غدور
 ان اكن سقت في غرامك شرّاً فالبرايا مطبّة للشور

اما قصيدة « الصلاة الحمراء » فهي اغنية القلوب التي انحنى الجراح وحطمها الايام بعد ان
 عصرتها الليالي ، او هي انشودة الروح اذا خلصت من احضان المادة
 وكذلك في قصيدة « الدينونة » و « الطرح » تحس التسامي وتحس الوصول الى التحرر كما
 تحس المرارة التي تلازم الروح بعد حلاوة النشوات الاولى وبعد ان تبلو الحياة
 ان ديوان « افاعي الفردوس » لجدير بالحياة لانه صوت للحياة لا رياء فيها ولا تزويق ،
 ولا خداع فيها ولا تهويل . وهل هناك ما هو اصدق من هذا البيت لشاعرنا ابي شبكة في تصوير
 العالم الدينيوي ، وهو :

طريقه الشك — انى سار — يملكه وحلمه الشهوات الحمر والقرب !
 حسن كامل الصيرفي

عصفور من الشرق

حين كتب الاستاذ توفيق الحكيم « عودة الروح » و « اهل الكهف » و « شهرزاد » اطمئن
 محبو الادب الى ما كتب راجين ان يكون همزة الوصل بين ادب الغرب وأدب العرب . وقد
 عرض في كتابه الاخير « عصفور من الشرق » لمشكلة « الشرق والغرب » . وأنت لن تعدم في
 الكتاب الغربيين انفسهم من قام على نقد النظم الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع
 الاوربي الحديث نقداً قوياً لا ذعاً يمهّد لقيام الثورات احياناً . أما الاستاذ توفيق الحكيم فانه

اراد ان ينقد هذه النظم الغربية بعين « الشرقي » فصور لنا مصرياً في عهد الشباب يعيش في قلب العاصمة الفرنسية . يغشى الكنيسة فبوخذ بروعة الخشوع والصلاة ويعجب كيف يدخل الاوريون الكنيسة كما يدخلون المقهى دون اعداد خاص . ويغشى المسرح فيعجب برواية « الارليزية » ، وأبهاء الموسيقى فيعجب بسفونية « بهوفن » الخامسة اعجاب صديقه الروسي « ايفان » بشراب « الفودكا » وتلستوى او أشد ولكنه يأخذ على الحاضرين وعلى البهو الاغراق في البذخ والاسراف في الترف اسرافاً لا يتفق مع التجرد وروحانية الفن

وقد أحب « محسن » فكان في حبه على أشد ما يكون حياء الشرقي وخياله حتى اذا أخفق في حبه أو غررت به من يحب أخذ يجرأله وانقلب ساخطاً لا على نفسه وإنما على الغرب ومدنيته . ولعل هذا الاخفاق في الحب قد جعل من « محسن » « عدواً للمرأة »

وماذا يأخذه محسن على أهل الغرب ؟ ان صديقه أندريه الذي يعمل في المصنع ثماني ساعات في اليوم ويشعر انه عبد رق ثم هو يأكل لحم البقر ويختلف الى المقاهي والمسارح ويأكل ابنة « الجاتو » وتتكفل الدولة بتربيته ان لم تستطع أمه تمهده في المنزل ، لهو دون شك أسعد حظاً في حياته من الفلاح المصري أو العامل المصري . وغريب ان يذكر « محسن » من أحوال الشرق في معرض المقابلة جلوس « سليم » الساعات الطوال ليلح طرف ثوب حبيبته ولا يذكر شقاء الفلاح وبؤس العامل . ويستمتع المصفور الى أحاديث صديقه الروسي عن أديان الشرق وأنبيائه ومذاهب الغرب وزعمائه فيخرج من ذلك كله بأن الشرق قد حلَّ مشكلات المجتمع الكبرى حين جعل مملكة السماء من نصيب البؤساء في هذه الارض كأن هذا الشرق الروحاني لا ينوء بمشكلاته التي كادت تذهب بريجه . الا أن الشرق لا جدر بالبكاء اذا جاز للغرب ان يرفع عقيرته بالشكوى

واذا تركنا الموضوع الى الشكل فالكتاب فصول متتالية تجمع بينها هذه الفكرة الغالبة عن روحانية الشرق ومادية الغرب ، وهو ليس قصة كاملة لها عقدة تأخذ في سبيل الحل الى خاتمة حاسمة وبعد فهذا المصفور يردد في براعة ما يسمع من العباد فأنت لا تدري أثار هو أم قانع ومقلد ام مبكر ومتفائل أم متشائم . ولو قدر لهذا المصفور ان يتحدث بلسان من السنة أهل الغرب لما كان في حديثه جديد على أهل الغرب . ولو انه تحدث الينا وفصل الحديث عن هذه الازمة النفسية وألوانها الدقيقة التي يحسها الشرقي المنقشع بشرقيته الروحانية اذا انغمر فجأة في الغرب وحضارته المادية ثم تتبع هذه الازمة الى نهايتها من رجوع الى احضان الشرق ، او احتماء بالتصوف ، او تشكل على غرار الغرب يختلف من حيث سرعته وبطئه او شدته وضعفه — لو انه فعل لجاء في حديثه بالجديد الطريف على أهل الشرق والغرب ولعل

الاحتماء بالنصوف هو السبيل الذي يضطر الى سلوكه أديبنا اذا خيب المجتمع او الواقع آمالهم. فلم يثبت منهم أحد الى الآن لتفقد المجتمع المصري ومهاجته في كافة نواحيه الخلقية والسياسية والاجتماعية فهم سرعان ما يستولى اليأس على نفوسهم ولا يتمثلون بالابطال من كتّاب الغرب فينعكفون في عالمهم الداخلي لا يخرجون منه الا لماماً. وهو سلوك لا يحمد لا دباؤنا ولا سيما من كان منهم على صلة وثيقة بالحضارة الغربية ولا يتفق مع الرسالة السامية التي يؤديها الكتّاب للوطن والمجتمع على أننا نحس ان يكون لهذا العصفور من الشرق صوته «وعصفور من الغرب» « صقر دم »

في الفنون الاسلامية

للدكتور زكي محمد حسن — مطبوعات اتحاد أساتذة الرسم قطع متوسط —
عدد صفحاته ١٠٨ — مطبعة الاعتماد

لئن كانت الفنون الشرقية قد اسدل عليها ستار من النسيان ردحاً من الزمن الا أننا نراها اليوم تعود سيرتها الاولى من النمو والانتعاش ورددت هذه العبارة في الكلمة التي كتبها رئيس اتحاد اساتذة الرسم صاحب العزة الاستاذ احمد شفيق زاهر بك تصديراً لكتاب «في الفنون الاسلامية» للدكتور زكي محمد حسن امين دار الآثار العربية الذي صدر في صيف هذا العام. فعلى عاتق من ياترى تعود اليوم الفنون الاسلامية الى سيرتها السابقة الاولى كما كانت في عصور الامويين والعباسيين والفاطميين والسلطين والماليك

لا شك في ان الفنون الاسلامية بعثت في خلال القرن الماضي على عاتق رجال الفن والاستشراق الالمان والفرنسيين والانجليز. وهي تهب اليوم من مرقدها على عاتق علمائنا النابغين الذين تذوقوا الفنون الاسلامية وأخذوا في دراستها والبحث عن جماها الغامض والتنقيب في آثارها. ونحن نرى في طليعة الركب بين هؤلاء العلماء العاملين والمتحمسين لخلق ثقافة للفن الاسلامي في مصر — الدكتور زكي محمد حسن أستاذ الفنون الاسلامية في معهد الآثار الاسلامية بالجامعة المصرية والذي يعرف آثاره العلمية قراء المقتطف والمتصلون بالحركة العلمية في مصر والحق ان دار الآثار العربية أصبحت على رأس المتاحف التي تقوم برساتها العلمية خير قيام بفضل عملها على نشر الثقافة الفنية بما تصدره من مؤلفات علمية جعلتها محط رجال المشغلين بالآثار الاسلامية في الشرق والغرب. ومن حسن الحظ أننا نقرأ بين كل حين وآخر عن كتاب في الآثار والفنون الاسلامية يخرجها الدكتور زكي أو محاضرة في الموضوع نفسه يلقيها الدكتور زكي أو مقال ينشره هو أو بعض زملائه المتحمسين القليلين

والكتاب الذي نحن بصدده اليوم صورة لما يجب ان يعرفه كل من ذوق للفن الاسلامي عن نشأته وتطوره . ففيه يتحدث المؤلف عن نشوء الفن الاسلامي وانتشاره وأساليبه المختلفة في البلدان التي عم الاسلام فيها : — من طراز اموي الى طراز عباسي الى طراز اسباني مغربي الى طراز مصري سوري فطراز فارسي فتركي فهندي

وبعد ان تكلم المؤلف عن ميزات كل طراز انتقل الى وصف عناصر الزخرفة الاسلامية واهمها الصور الالمانية والحيوانية والرسوم الهندسية والزخارف النباتية والزخارف الخطية وذكر المؤلف بعض خواص الفنون الاسلامية كما درسها على ضوء التحقيقات الفنية في المتاحف او الحفريات فذكر من هذه الخواص كراهية الفنان المسلم للفراغ وحب الزخارف المسطحة وتكرار الموضوعات الفنية . . . الخ . ويشتمل الكتاب على ثلاثة وخمسين لوحة تمثل الفنون الاسلامية في العصور المختلفة كالخزف والتجارة والنسيج المطرز والتجليد والزجاج والقاشاني . . . الخ . وقد طبع هذا السفر النفيس طبعاً متقناً على ورق مصقول مما زاد في رونق الكتاب وبهائه فلا يفوتنا ان نقدم الى اتحاد اساتذة الرسم — وعلى رأسه الاستاذ الجليل احمد شفيق زاهر بك — وافر الشكر على عنايته بالعمل على تشجيع الدراسات الفنية وان تمنى ان يكون التوفيق حليفه وان تكلل جهوده بالنجاح فيكون هذا الكتاب فاتحة سلسلة طيبة في الفنون « عبد الرحمن »

ابن سينا الفيلسوف

تأليف الاب بولس سعد — طبع بمطبعة الاتحاد على السور بيروت ١٩٣٧ في ١٣٦ صفحة قطع متوسط
نشر هذه الرسالة الاب المحترم بولس سعد عن « ابن سينا الفيلسوف » وابتدأ الكتابة بحديث عن بيئة ابن سينا وما للبيئة من اثر في تكوين الفرد الى ان قال « ولقد اقر علماء البيولوجية على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ان للبيئة في حياة ابناء آدم اثراً بالغاً . . . » وفي هذا الفصل ذكر تنافس الفرس والعرب والأتراك وما لهذا التنافس من أثر في حياة ابن سينا . وفي الفصول التالية ذكر نبذة مفيدة عن حياة ابن سينا من الوجهة العامة والخاصة . ثم ابن سينا العالم ومباحثه في المنطق — طبيعيات — النفس — العلة والمعلول — ونبذة عن الوجود الالهي وآراء هذا الفيلسوف العظيم او ارسطو « الاسلام » كما سماه المؤلف الفاضل ، في خالق الكون وآرائه عن حدوث الكون وكيف ثبت والعناية الالهية وفي الفصل الاخير اورد نبذة عن سياسة ابن سينا بين السياسيين

لقد تصفحت هذه الرسالة النفيسة فوجدتها سفرأ مفيداً كاملاً عن حياة وآراء الفيلسوف الايراني الاكبر في مختلف المباحث الفلسفية والطبيعية والالهية ونحن نشير على قرائنا الافاضل الذين

لم تسمح أوقاتهم بمطالعة ما كتب عن ابن سينا في مختلف الكتب ان يغتنموا هذه الفرصة السعيدة لمطالعة هذه الرسالة التي تبحث أطوار حياة ابن سينا وما أسداه من خدمات للعلم والفلسفة « زادة »

علم النفس في الحياة

تأليف ماندر ترجمة نظمي خليل ١٤٠ صفحة — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر أخيراً كتاب علم النفس في الحياة الذي نقله إلى العربية الاستاذ نظمي خليل وقدم له الدكتور عبد العزيز القوسي فقال :

« كان علم النفس قبل الخمسين سنة الأخيرة فرعاً من فروع الفلسفة ، يتخير الباحث فيه المكان الهادئ فيسند رأسه الى يده ، ويطلق العنان الى فكره يحاول ان يهتدي الى موضع العقل أو يقف على خواصه وصلته بالروح وعلاقته بالجسد ، أو يحجز منه وهو المخ . وهكذا يترك الباحث عقله بضلّ في شعاب التفكير على غير طائل ، فيدور في دائرة صغيرة مقفلة لا يعرف اولها من آخرها ، وقد يصل الى أشياء يخيل اليه انها صحيحة فيأخذ بها ويطمئن اليها ، حتى اذا ما جاء باحث آخر وسلك بعقله طريقاً مغايراً للطريق الاول ، وصل الى أشياء مخالفة للاولى كل المخالفة « ظل الامر على هذه الحال حتى قرب نهاية القرن الماضي فتغيرت نظرة العلماء الى علم النفس وتبع هذا تغيير كبير في طريقة البحث والاستقصاء . فبعد ان كانوا يبحثون في خواص العقل والنفس بدأوا يبحثون في مظاهر سلوك الانسان في الحياة

« ولقد ظهرت كتب عدة تعالج هذه الناحية التطبيقية الهامة في حياة الانسان من بينها هذا الكتاب الذي شمل على صغر حجمه ميادين واسعة من الناحيتين النظرية والتطبيقية ، وعالج هذه المشاكل البارزة التي تسكتف حياة جميع الافراد — رجالاً كانوا او نساء — بلغة تجمع بين القوة والجمال ، وطريقة تجمع بين الاسلوب العلمي الهادئ وبين الرض الادبي الاخاذ « يبدأ الكتاب بالتحدث عن الاسس الاولى التي تتكوّن منها الشخصية ثم طريقة هذا التكوين ، ثم يعرض الى وسائل تنمية العادات الطيبة واستئصال العادات الضارة ، ويتخلل هذا الكثير من التفسيرات الصحيحة لغرائب السلوك عند الكبار والصغار ، فهو يفسر لنا سلوك من نقابل من اخوتنا واطفالنا وأصدقائنا وتلاميذنا وأزواجنا ورؤسائنا ومرءوسينا ، كما يفسر الكثير من سلوكنا الخاص وما يدخل في هذا السلوك من القوى والدوافع ، شعورية كانت او لا شعورية ، فطرية او مكتسبة . ولا ريب ان هذا النوع من المعرفة يحملنا اقدر على التعامل مع غيرنا ، ويجعل حياتنا اكثر احتمالاً ، وسعادتنا اقرب منالاً

وخلاصة القول ان هذا الكتاب الصغير يفيد كل قارئ رجلاً كان او امرأة، مهما اختلفت درجة ثقافته. فمقدمته الى القراء، راجين منه النفع، وراجين من مثله العدد الكبير «

مؤتمر المستشرقين العشرون

أهم ما تلي فيه من المحاضرات

[تابع المنشور على الصفحة ٤٨٤]

«كتاب الامتاع والمواثقة» للاستاذ احمد امين (من مصر). (وصف المحاضر هذا الكتاب وهو مخطوط مخزون في الخزانة الزكية لاحمد زكي باشا وذكر السبب الذي من أجله ألفه ابو حيان النوحدي وقال ان لجنة النشر والتأليف والترجمة ستخرج الجزء الاول منه بعد اشهر معدودات) — « ثلاث مخطوطات » للاستاذ عزام (من مصر). وصف المحاضر هذه المخطوطات الثلاث وهي في التاريخ والادب والشعر وترجع الى عهد المماليك) — « تعاون الشرقيين والمستشرقين على دراسة الادب العربي » للاستاذ شاده من (المانيا). (ذكر المحاضر الشرقيين الذين عضدوا علماء الاستشراق في مباحثهم سواء بالتدريس او تأليف المعاجم وكتب قواعد اللغة أو نشر المؤلفات القديمة أو تدوين فهارس خزانات الكتب). « مجرى الادب العربي في مصر لسنة ١٩٣٨ » للدكتور بشر فارس (من مصر) — (بسط المحاضر من باب التوطئة للمحاضرة الطريقة التي يجري عليها في نقد التأليف الادبية فقال انه ينظر الى هذه التأليف من الجانب الاجتماعي ليلمس مقدار الازمة المعنوية والثقافية والاخلاقية التي يعانيها الآن الشرق العربي وفي طبيعته مصر . ثم نقد على هذا الاسلوب ستة كتب ظهرت هذه السنة في مصر وهي « في منزل الوحي » و « على هامش السيرة » و « سارة » و « في الطريق » و « سندباد عصري » و « عصفور من الشرق » — « دراسة تأليف الكندي الصميعة ونشرها » للاستاذ جويدي (من ايطاليا) (أخبر المحاضر ان طائفة من تأليف الكندي تنشر الآن في مجلة علمية في روما مع دراسة وافية لها)

القسم التاسع — « بعض الديارات المصرية بحسب مخطوط الشافعي : كتاب الديارات » للاستاذ عطية (من المانيا) — « المظاهر الاولى للحياة الدولية للاقليات الدينية » للاستاذ سيفريادس (من أثينا) — « النصوص الجديدة للأدب القبطي الفيومي » للاب سيمون (من ايطاليا) — « حول التاريخ الأقدم للخط القبطي » للاستاذ جودمان (من المانيا)

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثالث والتسعين

١ — رؤية ما لا يرى	} حصاد الصيف في حقول العلم ٣٨٩
٢ — الاشعة السيفية في الحوانيت	
٣ — الضغط العالي وخواص المادة	
٤ — صنع فيتامين الحطب	
٤٠١	تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة
٤٠٤	ملتقى الشعر والفلسفة: حول شاعرية المعري وفلسفته : لعلي ادهم
٤١٣	ابو العلاء المعري (قصيدة) : لالياس فرحات
٤١٦	الهيكمل العظمي يدل على سلالة صاحبه وجنسه وقامته وعمره
٤٢١	الحركات العربية المنظمة وأثرها الادبي : لانيس المقدسي
٤٣٧	مصحح ظهر الباشق: عمل انساني وقومي جليل
٤٤١	متحدي اينشتين في الهند : للسيد ابو النصر أحمد الحسيني الهندي
١ — فلسفة الاخلاق والسياسيات	} مجالي الفكر الحديث في الفلسفة والعلم والسياسة ٤٤٦
٢ — العلم والمجتمع	
٣ — بريطانيا والحاكون بأمرهم	
٤ — السياسة الغير	
٤٦٠	موت سوسو (قصيدة) : لسيد قطب
٤٦١	الاسرات الحاكمة : للدكتور زكي محمد حسن
٤٧١	الميكانيكا الكلاسيكية : للدكتور اسماعيل احمد ادهم
٤٧٦	الكيمياء الصناعية : لعوض جندي
٤٧٩	الرسام حسين بدوي : عرض وتحليل لمحمد فهمي
٤٨٣	مؤتمر المستشرقين العشرون : اهم ما تلي فيه من المحاضرات
٤٨٥	حديقة المقتطف * صديقي ا... للكاتب الالماني ارثر شينزلر : شهوة الموت من ديوان أفاعي الفردوس . لآلياس أبي شبكة
٤٩٥	سير الزمان * توازن القوى البحرية في البحر المتوسط
٥٠٤	مكتبة المقتطف * صقر قر يش . أفاعي الفردوس . عصفور من الشرق . في الفنون الاسلامية.
	ابن سينا الفيلسوف . علم انفس في الحياة